

لانا من جاثول

إدجار راييس بوروز

- ♦ المؤلف: إدجار رايس بوروز
- ♦ العنوان : لانا من جاشول
- ♦ ترجمة: شهرت العالم
- ♦ الطبعة : الأولى 2021
- ♦ تصميم الغلاف: عمرو الكفراوي
- ♦ مستشار النشر: سوسن يشير
- ♦ المدير العام: مصطفى الشيخ



رقم الإيداع:

٢٠٢٠ / ١٤١٣٧

الترقيم الدولي : ISBN

978 - 977-765 - 280 - 3

جميع الحقوق محفوظة؛ لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال؛ دون إذن مسبق من الناشر.

All rights are reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form, or by any means without prior permission in writing from the publisher.

Afaq Bookshop & Publishing House

1 Kareem El Dawla st. - From Mahmoud Basiuny st. Talaat Harb

CAIRO – EGYPT - Tel: 00202 25778743 - 00202 25779803 Mobile: +202-01111602787

E-mail: afaqbooks@yahoo.com – www.afaqbooks.com

١ شارع كريم الدولة- من شارع محمود بسيوني - ميدان طلعت حرب - القاهرة - جمهورية مصر العربية

ت: ٠٠٢٠٢ ٢٥٧٧٩٨٠٣ - ٠٠٢٠٢ ٢٥٧٧٨٧٤٣ - موبايل: ٠١١١١٦٠٢٧٨٧

إدجار رايس بوروز

لانا من جاثول

رواية

ترجمة

شهرت العالم

آفاق للنشر والتوزيع

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية

بوروز، إدجار رايس.

إدجار رايس بوروز : لانا من جاثول

ترجمة: شهرت العالم

ط 1 القاهرة - دار آفاق للنشر والتوزيع - 2021

384 ص، 21 سم.

رقم الإيداع 14137 / 2020

الترقيم الدولي 3 - 280 - 765 - 977 - 978

1 - الأدباء (روايات)

2 - بوروز، إدجار رايس

تصدير

لانيكاي هي منطقة، وشاطئ، ومكتب بريد، ومتجر للبقالة؛ وتقع على الشاطئ المواجه للريح في جزيرة أواهو^(١). يا لها من مسافة بعيدة من المريخ. مياهها زرقاء وجميلة وهادئة داخل شعابها المرجانية، وربما كانت أصوات تنهدات الرياح التجارية خلال أوراق أشجار جوز الهند في الليل هي همسات أشباح الملوك والقادة الذين دأبوا على الصيد في مياهها الساكنة منذ فترة طويلة، قبل أن يجلب قباطنة البحر أمراضًا غريبة، أو يجلب المُبشرون الأثواب الفضفاضة طويلة الأكمام للنساء.

كانت أفكار الماضي مجرد تخيلات غامضة، تتجول في ذهني في ليلة لم أتمكن فيها من النوم، وجلست في الشرفة أشاهد سفن الشحن ورجالها بيض البشرة وهي تسرع في اتجاه الشاطئ تحت ضوء القمر الذي يغمر المكان. رأيت ملوك هاواي القديمة العمالقة، وقادتهم

(١) أواهو: إحدى كبرى الجزر في ولاية هاواي الأمريكية - المترجمة.

الأقوياء الذين يرتدون أغطية من الريش وخوذات. وجاء كاميهاميهما^(٢)،
الفتاح العظيم، يعلوهم جميعاً. جاء هابطاً من نوالي بالي^(٣) بخطوات
كبيرة فوق حقول القصب والبيوت. اشتبكت حافة غطاءه الريشي ببرج
الكنيسة، فسقط على الأرض. تقدم بخطواته نحو أرض منخفضة لينة؛
وعندما رفع قدمه، اندفعت مياه مستنقع نحو أثر قدمه، وتكونت بحيرة.
كان اهتمامي كبيراً بمجيء كاميهاميهما الملك؛ لأنني كنت مُعجباً
به دائماً؛ على الرغم من أنني لم أتوقع أن أراه؛ لأنه مات منذ مائة عام
أو نحو ذلك، وعظامه مدفونة في مكان مقدس سري لا يعرفه أحد. بيد
أنني لم أُفاجأ على الإطلاق لرؤيته، بل ما فاجأني هو أنني لم أُفاجأ.
أتذكر رد الفعل هذا بوضوح. وأتذكر أيضاً أنني تمنيت أن يراني وألاً
يخطو فوقني.

وبينما تدور تلك الأفكار في ذهني، توقف كاميهاميهما أمامي ونظر
نحوي. قال: «حسناً، حسناً! تنام في ليلة جميلة مثل هذه! أنا مندهش».
أغمضت عيني بشدة وفتحتهما ونظرتُ مرة أخرى. كان يقف أمامي
بالفعل محارب يرتدي ملابس غريبة، لكنه لم يكن الملك كاميهاميهما.
تلعب العينان أحياناً حيلًا غريبة تحت ضوء القمر. أغمضت عيني ثانية
وفتحتهما، لكن المحارب لم يختفِ. وعندئذ عرفت!

(٢) كاميهاميهما: كاميهاميهما الأول، المعروف أيضاً باسم كاميهاميهما الكبير، موحد جزر هاواي
والمؤسس الفعلي لمملكة هاواي في ١٨١٠ - المترجمة.

(٣) نوالي بالي: جزء من منحدر يقع في مهب الريح عند بقايا سلسلة كولوا الجبلية، في
جزيرة أواهو. وقد فتح كاميهاميهما الأول أواهو في معركة نوانو بالي - المترجمة.

نهضت واقفاً على قدمي، ومددت يدي صائحاً: «جون كارتر!»^(٤).
قال: «دعنا نتذكر أين التقينا آخر مرة، عند منابع نهر كولورادو أم
في طرزاناً؟».

قلت: «أعتقد عند منابع نهر كولورادو في ولاية أريزونا، منذ فترة
طويلة. ولم أتوقع رؤيتك مرة أخرى».

- لا، لم أتوقع أبداً أن أعود.

- ولماذا عدت؟ من المؤكد هناك شيء مهم.

ابتسم قائلاً: «ليس لشيء يتسم بأهمية كونية؛ إلا أنه مهم بالنسبة
لي. أردت أن أراك».

قلت: «وأنا أقدر ذلك».

- أنت آخر أقاربي الذين أعرفهم شخصياً على كوكب الأرض.
وأشعر بين الحين والآخر برغبة في رؤيتك وزيارتك، ويمكنني تلبية
هذه الرغبة على فترات طويلة - كما هو الحال الآن. وبعد موتك، ولن
يطول الأمر الآن، لن توجد لديّ روابط بكوكب الأرض - وما من سبب
لعودتي إلى مشاهد حياتي السابقة.

قلت لتذكيره: «يوجد هنا أطفال، وهم أقاربك بالدم».

قال: «نعم، أعرف؛ لكنهم قد يخافون مني. فقد يعتبرني سكان

(٤) جون كارتر: من فرجينيا، وهو أول رجل من كوكب الأرض يصل إلى المريخ، وأصبح
أحد أعظم أمراء الحرب في تاريخ المريخ - <https://barsoom.fandom.com/wiki/> - John_Carter - المترجمة

كوكب الأرض شيئاً مثل الشبح».

أكدت له قائلاً: «لن يفعل أطفالك ذلك؛ وهم يعرفونك جيداً بمثل ما أعرفك. ويمكنك رؤيتهم أحياناً، بعد أن أموت».

أوماً وقال بما يشبه الوعد: «ربما سأفعل».

قلت: «والآن، أخبرني شيئاً عن نفسك، عن المريخ، عن ديجاه ثوريس^(٥)، عن كارثوريس^(٦) وثوفيا^(٧)، عن تارا^(٨) من هيليوم^(٩). أتذكر أن جاهان من جاثول^(١٠) تزوج من تارا الهيليومية».

أجاب أمير الحرب: «نعم، تزوجت جاهان، جد^(١١) مدينة جاثول

(٥) ديجاه ثوريس: أميرة مملكة هيليوم، وهي زوجة جون كارتر (القادم من كوكب الأرض) - http://barsoom.wikia.com/wiki/Dejah_Thoris - المترجمة

(٦) كارثوريس: هو ابن جون كارتر وديجاه ثوريس، الشقيق الأكبر لتارا. وهو أمير هيليوم. واسمه مزيج من كارتر وثوريس - <https://barsoom.fandom.com/wiki/Carthoris> - المترجمة.

(٧) ثوفيا: الأميرة ثوفيا ابنة ثوفان ديهن، جيداك مملكة بتارث. وقد تزوجت من كارثوريس، ابن جون كارتر وديجاه ثوريس - <https://barsoom.fandom.com/wiki/Thuvia> - المترجمة.

(٨) تارا: هي ابنة جون كارتر وديجاه ثوريس، والأخت الصغرى لكارثوريس - <https://barsoom.fandom.com/wiki/Tara> - المترجمة.

(٩) هيليوم: إحدى الممالك الكبرى في برسوم/ المريخ، وهي تضم مدينتين توأماً رئيسيتين: هيليوم الكبرى وهيليوم الصغرى، وهما معاً بمثابة عاصمة المملكة - <http://barsoom.wikia.com/wiki/Helium> - المترجمة.

(١٠) جاثول: من أقدم مدن المريخ وتضم مريخين حُرماً، ولا تتبع أي مملكة - <https://barsoom.fandom.com/wiki/Gathol> - المترجمة.

(١١) جد: الجد هو لقب قائد مدينة أو جماعة - <http://barsoom.wikia.com/wiki/Jed> - المترجمة.

الحرّة. ولديهم ابنة، شخصيتها وجمالها جديران بوالدتها وأم والدتها، جمالها - مثله مثل جمالهما - دفع الأمم إلى خوض الحروب ضد بعضهم. ربما ترغب في سماع قصتها؛ قصة لانا من جاثول».

قلت إنني أود سماع قصتها؛ وهذه هي القصة التي أخبرني بها تلك الليلة تحت أشجار جوز الهند في أوهاو.



الكتاب الأول
الموتى القدماء

الفصل (١)

مهما كان المرء اجتماعيًا على نحو غريزي، هناك أوقات يتوق فيها إلى العُزلة. أنا أحب الناس. أحب أن أكون مع عائلتي، وأصدقائي، ورجالي المقاتلين. وربما لأنني شديد الحرص على الرفقة، أجدني في بعض الأحيان حريصًا بالقدر نفسه على البقاء بمفردي. ويمكنني في مثل هذه الأوقات التوصل إلى أفضل حلول لمشكلات الحُكم المُعقدة، سواء في زمن الحرب أو السَّلم. كما يمكنني أيضًا تأمل جميع الجوانب المختلفة لحياة كاملة مثل حياتي؛ ولأنني إنسان، فقد ارتكبت الكثير من الأخطاء التي يمكنني تأمُّلها لتحسين نفسي ضد إعادة ارتكابها.

عندما أشعر بأن تلك الرغبة الغريبة في العُزلة تجتاحني، أركب عادة طائرة فضائية تسع رجلًا واحدًا وأجوب فوق قيعان البحر الميت وغيره من البراري غير المأهولة في هذا الكوكب الآخذ في الاحتضار؛ إذ أجد هناك العُزلة بالفعل. توجد على المريخ مساحات شاسعة لم تطأها قدم بشرية، وهناك مناطق شاسعة أخرى لم تعرف خلال آلاف السنوات سوى الرجال العمالقة خُضر البشرة، وهم البدو المتجولون في الصحاري الصفراء.

أمكث أحياناً عدة أسابيع في تلك المغامرات الرائعة من العزلة. ولذا ربما أصبحت أعرف عن جغرافيا المريخ وتضاريسه أكثر من أي إنسان حي آخر؛ فقد حملتني هذه الرحلات، فضلاً عن مغامراتي الأخرى على هذا الكوكب، من بحر كوراس المفقود^(١٢) في وادي دور^(١٣) في الجنوب المتجمد إلى أوكار^(١٤)، أرض الرجال صُفر البشرة ذوي اللحي السوداء في الشمال المتجمد، ومن كاول^(١٥) إلى بانتوم^(١٦). ومع ذلك لا تزال هناك أجزاء كثيرة في برسوم^(١٧) لم أزرها بعد، وهذا ليس بغريب إذا أخذنا في الاعتبار حقيقة أن مساحة يابسة المريخ -على الرغم من أنها أكبر من رُبع مساحة كوكب الأرض- أكبر بحوالي ٨ مليون ميل مربع، وذلك لأن برسوم تخلو من مناطق المياه السطحية الكبيرة، وأكبر محيطاتها المعروفة أصبح تحت الأرض

(١٢) كوراس: كوراس هو بحر مريخي مفقود. وكان يملأ المنطقة التي تُسمى وادي دور، في الأيام التي كانت فيها المياه وفيرة - <https://barsoom.fandom.com/wiki/Korus> - المترجمة.

(١٣) وادي دور: يقع عند نهاية نهر إيس المحيط ببحر كوراس المفقود - https://barsoom.fandom.com/wiki/Valley_Dor - المترجمة.

(١٤) أوكار: مملكة تضم المريخيين الصُفر الذين يعيشون في المناطق الشمالية المتجمدة من المريخ - <https://barsoom.fandom.com/wiki/Okar> - المترجمة.

(١٥) كاول: مملكة قوية، وإن كانت صغيرة، في نصف الكرة الشرقي للمريخ، وتضم مريخيين من ذوي البشرة الحمراء - <http://barsoom.wikia.com/wiki/Kaol> - المترجمة.

(١٦) بانتوم: منطقة صغيرة في المريخ غير معروفة للعالم خارجها، تتكون من وادي للرعي ججدول مائي صغير، ويسكنها الكلدينيون وهم عرق مريخي شديد الذكاء - <https://barsoom.fandom.com/wiki/Bantoom> - المترجمة.

(١٧) برسوم: كوكب يُسميه أهل كوكب الأرض بالمريخ - <http://barsoom.wikia.com/wiki/Barsoom> - المترجمة.

بالكامل. وأعتقد أيضًا أنك سوف تقر بأن معرفة ٥٦ مليون ميل مربع معرفة جيدة يُعد قدرًا كبيرًا من الأراضي.

أما عن القصة التي سوف أخبرك بها؛ فقد بدأت بأن طرت نحو الشمال الغربي من هيليوم، التي تقع على مسافة ٣٠ درجة جنوب خط الاستواء، ثم واصلت لحوالي ١٦٠٠ ميل شرق مدينة إكسوم التي تُعد بمثابة مدينة جرينيتش البرسومية. تمتد حولي، شمالًا وغربًا، منطقة شاسعة وغير مُستكشفة تقريبًا؛ ولذا فكرت أنني قد أجد فيها العُزلة المطلقة التي أنشدها.

قمت بضبط بوصلة الاتجاه نحو مدينة هورز، تلك المدينة المهجورة منذ زمن طويل ذات الثقافة البرسومية القديمة، و طرت بسرعة ٧٥ ميلًا في الساعة على ارتفاع يتراوح بين ٥٠٠ و ١٠٠٠ قدم. رأيت بعض الرجال الأخضر شمال شرق مدينة توركواس^(١٨)، واضطرت إلى الفرار من طلقاتهم النارية، ولم أعد لأنني لم أكن أسعى إلى مغامرة. عبرت شريطين رفيعين من أراضي المريخيين الحُمر الزراعية، المتاخمة للقنوات التي تجلب المياه الثمينة الناتجة عن ذوبان القمم الجليدية سنويًا في القطبين. ولم أشهد، أبعد من ذلك، أي علامات على حياة بشرية طوال الـ ٥٠٠٠ ميل التي تقع بين هيليوم الصغرى وهورز.

يحزنني دائمًا بعض الشيء أن أنظر إلى عالم يموت، وأشاهد

(١٨) توركواس: مدينة كانت في يوم ما إحدى أقوى وأجمل مدن المريخ، لكنها أصبحت من المدن الميتة ويسكنها المريخيين ذوي البشرة الخضراء - <https://barsoom.fandom.com/wiki/Torquas>

الترجمة - com/wiki/Torquas

تلك الأميال اللا نهائية من النباتات الصفراء الشبيهة بالطحالب، التي تغطي مناطق شاسعة تدفقت عليها في يوم ما محيطات المريخ الجبارة عندما كان كوكبًا شابًا وقويًا، وأن أتأمل كيف كانت الأساطيل الفخورة والسفن التجارية لعشرات الدول الغنية والقوية تبحر ذات يوم في هذا الموقع الممتد في الأسفل، بينما تجوب فيه اليوم حيوانات البانث^(١٩) الشرسة، ولا يكسر صمت عزلته سوى زئير القاتل وصراخ الضحية.

هبط الليل ونمت مطمئنًا لمعرفتي أن بوصلة الاتجاه ستوجه طائرتي نحو مدينة هورز، وعلى الارتفاع الذي حددته - ألف قدم، ليس فوق سطح البحر، وإنما فوق الأراضي التي تعبرها سفيتي الفضائية. يمكن ضبط هذا الجهاز الصغير المذهل في اتجاه أي بقعة على برسم، وعلى الارتفاع المرغوب. وعند ضبطه على ارتفاع ألف قدم، كما هو الحال في رحلتي هذه، لن يسمح للسفينة أن تقترب من أي شيء أعلى من ألف قدم، وبالتالي يحول دون خطر الاصطدام. وعندما تصل السفينة إلى هدفها، ستوقفها البوصلة على ارتفاع ألف قدم. ولذلك، لا يحتاج قائد السفينة المزودة بمثل هذه البوصلة الاتجاهية إلى البقاء مستيقظًا، وبالتالي يمكنني السفر ليلاً ونهارًا دون خطر.

(١٩) البانث: حيوان مفترس شرس متعدد الأرجل، أصلع تقريبًا مثل جميع الحيوانات المريخية إلا من شعر كثيف خشن كبير كالأسد حول رقبته السمكية. جسده طويل ورشيق، ويعتمد على عشر أرجل قوية؛ فكاه الضخمان مجهزان بعدة صفوف من أنياب طويلة تشبه الإبرة، مثله مثل حيوانات الكالوت أو الكلاب المريخية؛ وفمه يصل إلى نقطة بعيدة خلف أذنيه الصغيرتين، بينما عيناه الخضراوان هائلتان وجاحظتان وتضيفان لمسة الرعب الأخيرة إلى مظهره الفظيع - <http://barsoom.wikia.com/wiki/Banth> - المترجمة.

شاهدت أبراج مدينة هورز القديمة في حوالي ظهيرة اليوم الثالث. يقع أقدم جزء من المدينة على حافة هضبة واسعة؛ بينما تتخذ الأجزاء الأحدث، التي يزيد عمرها على آلاف لا تُعد ولا تُحصى من السنوات، شكل مدرجات تنحدر نحو خليج كبير، بمثابة علامة على سعي البحر المُنحسر اليائس إلى الشواطئ التي كانت تقع عندها ذات يوم هذه المدينة الغنية والقوية. أما آخر المباني الفقيرة لِعِرْق فانٍ، فقد اختفت أو لم يبقَ منها الآن سوى أنقاض مُهدّمة؛ بيد أن الأبنية الرائعة في قمته لا تزال قائمة على حافة الهضبة، كذكرى صامتة وإن كانت بليغة على الآثار العظيمة الباقية لذلك العِرْق الأشقر أبيض البشرة الذي اختفى إلى الأبد.

تثير اهتمامي دائماً هذه المدن المهجورة للمريخ القديم. لا يُعرَف عن سكانها سوى القليل، غير ما يمكن جمعه من القصص التي تحكيها المنحوتات التي تزين الزخارف الخارجية للعديد من المباني العامة والجداريات القليلة المتبقية، التي صمدت أمام ويلات الزمن والتخريب الذي قامت به جحافل الحُضر التي اجتاحت العديد منها. كما ساعدت شدة انخفاض الرطوبة على الحفاظ عليها، لا سيما ديمومة بنائها. لقد بنيت هذه الصروح الرائعة لا لتبقى سنوات، وإنما لتستمر إلى الأبد؛ في حين ضاعت على مر العصور أسرار أحجارهم ومواد البناء وأصباغهم. وبعد عدد لا يُحصى من العصور، وبعد اختفاء الحياة من على وجه برسوم لفترة طويلة، سوف تبقى أعمالهم تتدافع في المكان إلى الأبد على كوكب ميت بارد دون وجود عين ترى أو عقل يُقدّر. يا لها من تأملات حزينة.

وصلت أخيراً فوق هورز. كنت قد وعدت نفسي، منذ فترة طويلة، أن آتي هنا في يوم ما، إلى هورز - ربما أقدم وأعظم المدن الميتة على برسوم. مدينة بنتها المياه، وحكم عليها فقدان المياه بالموت. أتساءل كثيراً ما إذا كان سكان كوكب الأرض، الذين لديهم وفرة في المياه، يُقدِّرون المياه حقاً. وأتساءل هل كان سكان مدينه نيويورك يدركون معنى أن ينجح عدو - بعد إنشاء قاعدة جوية داخل دائرة يُشكل نصف قطرها المدينة الأولى للعالم الجديد - في قصف وتدمير سد كروتون ومنظومة مياه كاتسكيل. سوف تزدهم السكك الحديدية والطرق السريعة باللاجئين، وسيموت الملايين، ولسنوات - وربما إلى الأبد - ستكف مدينة نيويورك عن الوجود.

طرت بتكاسل فوق المدينة المهجورة، ورأيت أشكالا تتحرك في ساحة أسفلي. هورز، إذن، ليست مهجورة تماماً! أثارني الفضول، فانخفضت قليلاً بسفينتي؛ وحطّمت ما رأيته أفكار العزلة في ذهني: رأيت رجلاً أحمر وحيداً، تحاصره نصف دزينة من المحاربين الخُضر الشرسين.

لم أكن أسعى إلى المغامرة، لكنها هنا أمامي؛ فلا يمكن لرجل جدير بسلاحه أن يتخلى عن رجل مثله يواجه هذا الوضع الرهيب. رأيت موقعاً في ساحة مجاورة، حيث يمكنني الهبوط؛ وصلت أن يحول انهماك الرجال الخُضر دون ملاحظتهم لاقترابي، ثم توجهت بسرعة وصمت نحو المهبط.

الفصل (٢)

هبطت سفيتتي، لحسن الحظ، دون أن يلاحظها أحد؛ حيث أخفاها برج هائل يرتفع بجانب الساحة التي اخترتها. رأيتهم يتقاتلون بسيف طويل، فامتشقت سيفي وركضت في اتجاه المعركة غير المتكافئة. يدل تحمل الرجل الأحمر لهذه المعركة للحظات قليلة على أنه مبارز ممتاز، وتمنيت أن يصمد إلى أن أصل إليه؛ حيث سيكون إلى جواره أفضل مبارز في برسوم كلها لمساعدته بالسيف الذي ذاق دماء ألف خصم على طول هذا العالم وعرضه.

وجدت طريقي من ساحة هبوطي، لكنني واجهت جدارًا يبلغ ارتفاعه عشرين قدمًا ولم أتصور عدم وجود أي فتحة فيه. توجد فتحة دون شك؛ لكن الرجل قد يُقتل بسهولة خلال الوقت الذي يضيع في العثور عليها.

سمعت بوضوح صليل السيوف، ولعنات المقاتلين وهمهماتهم، من الجانب الآخر للجدار الذي يسد طريقي. بل تمكنت أيضًا من سماع تنفس المقاتلين الثقيل. وسمعت الرجال الخضر يطالبون خصمهم بالاستسلام، كما سمعت رده الساخر. أعجني ما قاله وطريقة رده في وجه الموت.

تأكدت من معرفتي بأساليب الرجال الخُضر أنهم سيحاولون القبض عليه لتعذيبه بدلاً من قتله على الفور، وأني يجب أن أتصرف بسرعة لإنقاذه من أي مصير منهما.

لا توجد سوى طريقة واحدة للوصول إليه دون مضيعة للوقت، وهي طريقة متاحة أمامي لأن جاذبية المريح أقل من جاذبية كوكب الأرض ولذا أتمتع بقوة وخفة حركة أكبر. يمكنني ببساطة القفز إلى قمة الجدار، وإلقاء نظرة سريعة لمعرفة وضع الأرض خلف الجدار، ثم القفز من قمة الجدار إلى أسفل وسيُفي الطويل في يدي، وأتخذ مكاني بجانب الرجل الأحمر.

عندما أجتهد، يمكنني القفز إلى ارتفاعات لا تُصدّق؛ حيث العشرين قدم لا شيء. لكنني أخطأت الحساب هذه المرة. كنت على مسافة عدة ياردات من الجدار عندما ركضت قليلاً ثم قفزت في الهواء. وبدلاً من الهبوط على قمة الجدار، حسبما خططتُ، ارتفعت أعلى منه وتجاوزته بحوالي عشر أقدام.

كان المقاتلون في الأسفل. ومن الواضح أنني كنت سأهبط على الأرض في وسطهم. وكانوا منهمكين في المباراة إلى حد أنهم لم يلاحظوني، وهذا جيد؛ فقد كان بإمكان أي من الرجال الخُضر أن يطعنني بسيفه بسهولة خلال سقوطي عليهم.

اشتد ضغط المقاتلين على الرجل الأحمر؛ فمن الواضح أن الرجال الخُضر تخلّوا عن فكرة القبض عليه، ويحاولون الآن قتله. وعندما نزلت من فوق الجدار، انتهب أحدهم فرصة مواتية وكان على وشك

طعنه بسيف طويل . ولحسن الحظ أنني نزلت مباشرة فوق ظهر المقاتل الذي كان على وشك قتله . كان سن سيفي يتجه إلى الأسفل ؛ فطعته في كتفه اليسرى وواصل السيف طريقه إلى قلبه . وقبل أن ينهار ، كنت قد نزلت بقدمي على كتفيه ، ثم اعتدلت وسحبت سيفي من جسمه .

أصابهم مجيئي المذهل بارتباك للحظة ، فقفزت إلى جانب الرجل الأحمر وواجهت مَنْ تبقى من خصومه ، ودماء المحارب الأخضر الحمراء تقطر من سيفي .

ألقي الرجل الأحمر نظرة سريعة نحوي ؛ ثم تكالب علينا باقي الرجال الأخضر ، ولم يكن هناك وقت للكلام . وجّه أحدهم سيفه نحوي لكنه لم يصيبني . يا للهول ! يا لها من ضربة ! لو أصابتنني ، لأصبحت مقطوع الرأس مثل الرايكور^(٢٠) . ومن سوء حظ الرجل الأخضر أنه لم يصيبني ، فقد أصبته . طعنته أفقيًا بكل قوتي كرجل من كوكب الأرض ، وهي قوة كبيرة على كوكب الأرض لكنها أكبر بلا حدود على المريخ . مر سيفي الطويل - بحافته الحادة كالموس وفولاذة الذي لا تتجه سوى برسوم - خلال جسم خصمي تمامًا ، وشقه إلى نصفين .

(٢٠) رايكور: حيوان مستأنس يستخدمه عرق الكلدانيين في جميع الأغراض مثل النقل والطعام ، وأداء المهام التي لا يستطيعون القيام بها لضعف أجسامهم . يبدو الرايكور على شكل إنسان بلا رأس ، وبشرته من اللون الأحمر الفاتح ، عضلاتهم قوية وأجسادهم جميلة ، لكنهم لا يستطيعون الحياة من دون الكلدانيين الذين يوجهونهم نحو الطعام . توجد فيجوة كبيرة في أعلى جسد الرايكور ، يركب فيها الكلدانيون ويمسكون العمود الفقري المكشوف بما يمكنهم من السيطرة على أطراف الرايكور . ويُقال إن الرايكور هو هجين من أسرى المريخيين الحمر وحيوان مريخي أليف كان الكلدانيون يستخدمونه - <http://barsoom.wikia.com/wiki/Rykor> - المترجمة .

«أحسنْتَ!»، هتف الرجل الأحمر وهو يُلقِي نحوي ثانية نظرة سريعة.

لمحت بطرف عيني رفيقي المجهول، ورأيت فيه مبارزاً رائعاً. كنت فخوراً بالقتال إلى جانب هذا الرجل. واستطعنا، حتى الآن، تقليص عدد خصومنا إلى ثلاثة. تراجعوا بضع خطوات، وأنزلوا سيوفهم لالتقاط أنفاسهم. لم أكن في حاجة أو رغبة لالتقاط أنفاسي؛ لكنني أَلقيت نظرة سريعة نحو رفيقي ووجدته مستنفِداً، ولذا أنزلت سيفي أيضاً وانتظرت. وكان عندئذ أن تمكنت من إلقاء نظرة جيدة نحو الرجل الذي تبنيت قضيته؛ وكانت عندئذ أيضاً صدمتي. لم يكن الرجل أحمر البشرة، لكنه رجل أبيض لم أشهد مثله من قبل. وقد اتخذت بشرته لوناً برونزياً نتيجة تعرضه للشمس، مثلي؛ وهذا ما خدعني في البداية. ولا أرى الآن أي شيء لديه يشبه المريخين الحُمر. يختلف عتاده وأسلحته، وكل شيء لديه، عن أي شيء رأيته على المريخ.

كان يرتدي غطاء رأس، وهو أمر غير معتاد في برسوم. وكان عبارة عن شريط جلدي يدور حول رأسه أعلى حاجبيه مباشرة، وشريط جلدي آخر يعبر رأسه من اليمين إلى اليسار، وشريط ثانٍ من الأمام إلى الخلف. وزُينت هذه الشرائط بنقوش منحوتة ومجموعة مع الجواهر والمعادن الثمينة. ويوجد في وسط الشريط الذي يمر بجبهته قطعة مُسطحة من الذهب على شكل رأس حربته يتجه سِنها إلى أعلى. وكان منقوشاً أيضاً على نحو جميل، ويحمل رسماً غريباً مُرصعاً باللونين الأحمر والأسود.

توجد كتلة من الشعر الأشقر محصورة تظهر من غطاء الرأس هذا - إنه أكثر شيء مدهش يمكن رؤيته على المريخ. قفرت في البداية إلى استنتاج مفاده أنه ثيرني^(٢١)، من تلك الأراضي القطبية الجنوبية البعيدة. لكنني استبعدت هذه الفكرة على الفور عندما أدركت أن شعره حقيقي؛ فالثيرن عرق أصلع تمامًا ويرتدون شعرًا مستعارًا أصفر اللون.

رأيت أيضًا أن رفيقي كان وسميًا بشكل غريب، وقد أقول جميلًا، لولا الأنوثة التي تدل عليها الكلمة؛ فلم يكن هناك أي شيء أنثوي في أسلوب قتال الرجل، أو في اليمين الجبار الذي أقسم به دون أن يتحدث مع خصمه. فنحن المقاتلون قلما نتحدث؛ لكنك عندما تشعر أن نصلك يشق جمجمة إلى نصفين أو يخترق قلب خصم، ينطلق أحيانًا قسم عظيم من شفتيك.

لم يكن أمامي سوى وقت قصير لتقييم رفيقي، فبعد لحظات بدأ الثلاثة الباقون في مهاجمتنا ثانية. أتصور أنني قاتلت في ذلك اليوم كما أقاتل دائمًا؛ لكن ما يبدو لي في كل مرة أنني لم أقاتل من قبل بهذه الجودة التي قاتلت بها في تلك المناسبة تحديدًا. لا أستحق تقديرًا كبيرًا على قدرتي القتالية، إذ يبدو لي أن سيفي مُلهَمًا. لا يمكن لأي رجل أن يفكر بمثل سرعة حركة سيفي؛ فهو يتحرك دائمًا نحو الموقع الصحيح في الوقت المناسب، كما لو أنه يتوقع خطوة الخصم التالية. كما أنه ينسج شبكة فولاذية حولي، لم تقدر على اختراقها سوى سيوف قليلة.

(٢١) الثيرنيون أو الثيرن: هم عرق مريخي أبيض البشرة وأصلع، يرتدون باروكات شقراء، ويتمتعون بقوة عقلية خارقة - <http://barsoom.wikia.com/wiki/Thern> - المترجمة.

ويملاً عينيَ الخصم بالذهول، وعقله بالشك، وقلبه بالخوف. وأتصور أن الكثير من نجاحي يرجع إلى التأثير النفسي لتفوقي في المبارزة على أعدائي.

أسقطُ خصماً في الوقت نفسه الذي أسقط فيه رفيقي خصماً آخر، وعندئذٍ استدار المحارب المتبقي هارباً. صاح رفيقي في السلاح: «لا تدعه يهرب!»، وانطلق يطارده وفي الوقت نفسه يصيح بصوت عالٍ طلباً للمساعدة، وهو ما لم يفعله عندما كان قريباً من الموت في مواجهة ستة سيوف. مَنْ كان يتوقع أن يجيب على ندائه في هذه المدينة الميتة والمهجورة؟ ولماذا طلب المساعدة عندما هرب آخر خصومه؟ كنت في حيرة؛ لكنني بعد أن اشتبكت في هذه المغامرة الغريبة، شعرت أنني يجب أن أواصل لأستطلع الأمر، وهكذا انطلقت لمطاردة الرجل الأخضر الهارب.

عَبَرَ الفناء الذي دار فيه قتالنا، وتوجه نحو ممر كبير فوقه قنطرة ويفتح على طريق واسع. اقتربت منه، بعد أن تجاوزته هو والمحارب الغريب. وعندما وصلت إلى الشارع، رأيت الرجل الأخضر يقفز ليمتطي ظهر أحد حيوانات الثوات^(٢٢) الستة التي كانت في الانتظار، كما رأيت في الوقت نفسه ما لا يقل عن مائة محارب يتدفقون من مبنى قريب. كانوا جميعاً بيض البشرة وشعرهم أصفر، ويرتدون مثل رفيقي المقاتل السابق، وانضموا الآن لمطاردة الرجل الأخضر. كانوا مسلحين

(٢٢) الثوات: حيوان مريخي ضخم، يرد وصف تفصيلي له في الفصل التالي - <http://bar-soom.wikia.com/wiki/Throat> - المترجمة.

بالأقواس والسهام وأرسلوا وإبلاً من القذائف نحو الرجل الهارب،
الذي لم يكن في إمكانهم أبداً أن يأملوا في اللحاق به، حيث سرعان ما
ابتعد عن نطاق أسلحتهم.

روح المغامرة قوية جداً في داخلي، إلى حد أنني غالباً ما أستسلم
لمطالبها على الرغم من إملاءات بصيرتي الأفضل. لم يكن لما يحدث
أي علاقة بي. فقد فعلت كل شيء، وحتى أكثر مما يُتَوَقَّع مني؛ على
أنني قفزت الآن فوق ظهر أحد حيوانات الثوات المتبقية، وشرعت
لمطاردة المحارب الأخضر.



الفصل (٣)

يوجد على المريخ نوعان من حيوانات الثوات: السُّلالة الصغيرة، سهلة الانقياد نسبياً، ويستخدمها المريخيون الحُمَر كحيوانات ركوب، وبدرجة أقل كبهائم للجبر أو نقل الأحمال في المزارع التي تحدقنوات الري الكبيرة. وهناك سُلالة من الوحوش الضخمة الشرسة الجامحة، التي يستخدمها المحاربون الخضر بشكل حصري كأحصنة حربية.

يبلغ ارتفاع كل مخلوق من هذه المخلوقات حوالي عشر أقدام إلى الكتف. ولديه أربع أرجل على كل جانب، وذيله عريض مُسطح وحجمه عند الطرف أكبر منه عند المنبت، ويمتد مباشرة خلفه عندما يجري؛ وفمه مفتوح يقسم رأسه من أنفه إلى عنقه الطويل الضخم. يخلو جسمه تماماً من الشعر، والجزء العلوي منه عبارة عن لوح داكن اللون ولامع وأملس بدرجة كبيرة. أما بطنه فلوّنه أبيض، ويتدرج لون سيقانه بظلال من لون الكتفين فالوركين وصولاً إلى اللون الأصفر الزاهي عند أقدامه. والأقدام نفسها مبطنة وبلا أظافر.

كانت تصرفات حيوان الثوات الذي يقوده الرجل الأخضر أكثر بشاعة من أي مخلوق رأيته من قبل، دون استثناء حتى للرجال خضر البشرة. تتقاتل تلك الحيوانات باستمرار فيما بينها، ويا ويل الراكب

الذي يفقد السيطرة على ركوبته الرهيبة؛ ومع ذلك تبدو المفارقة في أن الرجال يمتطونهم دون لجام أو شكيمة ويسيطرون عليهم بوسيلة التخاطر فقط، التي تعلمتها - من حسن حظي - منذ فترة طويلة عندما كنت أسيرًا لدى لوركواس بتومل، جد الثارك، وهم جماعة من المريخين خُضر البشرة.

كان الوحش الذي امتطيته شيطانًا خبيثًا، وتعامل معي بعنف استثنائي، ربما لأن رائحتي غريبة بالنسبة له. حاول أن يطرحني أرضًا، وعندما فشل أدار رأسه إلى الوراء وهو يفتح فكيه الضخمين في محاولة للإمساك بي.

وأود الإشارة إلى وجود وسيلة مساعدة للسيطرة عندما تتمرد هذه الوحوش القبيحة؛ وقد استخدمتها في حالتي هذه، على الرغم من أنني فزت بموافقة كارهة من الثاركين الخُضر الشرسين بالسيطرة على الثوات بالصبر والعطف. لم يكن لديّ وقت لأي من الطريقتين؛ فقد كان الرجل الأخضر يسرع على طول الشارع الواسع الذي يؤدي إلى الأرصفة القديمة لموانئ هورز وقيعان البحر الميت الواسع خلفها. ولذا ضربت رأس وأنف الوحش بشدة بالجزء العريض من سيفي إلى أن خضع، ثم امتثل إلى أوامري التخاطرية، وانطلقت بسرعة كبيرة في المطاردة.

كان الثوات سريعًا جدًا، أحد أسرع الحيوانات التي امتطيتها؛ وعلاوة على ذلك، كان يحمل وزنًا أقل بكثير من الوحش الذي نسعى للحاق به. ولذلك، سرعان ما اقتربنا من الرجل الأخضر الهارب.

لحقنا به عند حافة الهضبة التي بُنيت عليها المدينة القديمة. توقف واستدار بركوبته، واستعد للمعركة. وكان عندئذ أن شعرت بالتقدير لذكاء ركوبتي الرائع؛ إذ تحرك الثوات، وتقريباً دون توجيه مني، إلى الوضع الصحيح الذي يعطيني ميزة في هذه المباراة الوحشية. وعندما حققت أخيراً ميزة مفاجئة تسببت في سقوط خصمي من فوق ركوبته، هرع حيواني الثوات كشیطان مسه الجنون نحو المحارب الأخضر مُمزّقاً حنجرتة بفكيه القويين، بينما يحاول الانقضاض عليه بثقل هجومه الوحشي.

وعندئذٍ سددت ضربة قاضية إلى خصمي الجريح الملطخ بالدماء وتركته حيث سقط، وعُدت لتلقي الاستحسان والشكر من أصدقائي الجُدد.

كانوا ينتظرونني، وعددهم مائة، في موقع ربما كان ذات يوم سوقاً عامة في مدينة هورز القديمة. لم أر ابتسامات على وجوههم، بل بدت حزينة. ترجلت، واحتشدوا حولي. سأل أحدهم، توحى حُليه ومعادنه أنه زعيم: «هل هرب الرجل الأخضر؟». أجبت: «كلا؛ لقد مات».

صدرت تنهدات كبيرة، تنم عن الارتياح، من مائة حنجرة. لم أفهم شعورهم بمثل هذا الارتياح لمجرد قتل رجل أخضر واحد.

شكروني وهم يتجمعون حولي؛ لكن وجوههم لا تزال حزينة وغير مبتسمة. أدركت فجأة أنهم أناس غير ودودين - شعرت بذلك بشكل حدسي، ولكن بعد فوات الأوان. كانوا يدفعونني من جميع الجهات

كي لا أتمكن حتى من رفع ذراع؛ ثم فجأة، وبكلمة من قائدهم، جردوني من سلاحي.

سألت: «ما معنى ذلك؟ لقد جئت من تلقاء نفسي لمساعدة واحد منكم، ولولا ذلك لكان مقتولاً الآن. هل هذا هو الشكر الذي أحصل عليه؟ أعيدوا إليّ أسلحتي واتركوني أذهب».

قال الرجل الذي تحدث سابقاً: «أنا آسف، لا يمكننا... أن نفعل غير ذلك. لقد التمس بان دان تشي، الرجل الذي جئت لمساعدته، أن نسمح لك أن تمضي في طريقك؛ لكن هذا ليس قانون هورز. يجب أن آخذك إلى هوو ران كيم، جيداك^(٢٣) هورز العظيم، وهناك سنلتمس جميعاً من أجلك، لكن التماساتنا لن تكون مُجدية. سوف يقتلك في النهاية؛ لأن سلامة هورز أكثر أهمية من حياة أي إنسان».

أجبت: «أنا لا أهدد سلامة هورز. لماذا أضع خططاً ضد مدينة ميتة، ولا تمثل أي أهمية على الإطلاق لإمبراطورية هيليوم، التي أرثدي عتاد أمير الحرب في خدمة جيداكها تاردوس مورس».

صاح بان دان تشي، وهو يشق طريقه نحوي خلال ضغط المحاربين: «أنا آسف. لقد ناديتك عندما امتطيت الثوات لمطاردة المحارب الأخضر، وقلت لك ألا ترجع؛ ومن الواضح أنك لم تسمعني. قد أموت بسبب تصرفي هذا، لكنني سأموت فخوراً. ثم سعيت للتأثير على لان

(٢٣) جيداك: ما يعادل الإمبراطور -

<http://barsoom.wikia.com/wiki/Special:Search?query=Jeddak> - المترجمة.

سون ون، الذي يتولى قيادة هذا الأوتان^(٢٤)، ليسمح لك بالهروب، ولكن دون جدوى. سوف ألتمس لك الرحمة من الجيداك هوو ران كيم، بيد أنني أخشى أنه لا يوجد أمل».

قال لان سون ون: «هيا! لقد أهدرنا ما يكفي من الوقت هنا. سوف نأخذ السجين إلى الجيداك. بالمناسبة، ما اسمك؟».

أجبت: «أنا جون كارتر، أمير هيليوم، وأمير الحرب في برسوم».

قال: «اللقب الأخير فخور، لكنني لم أسمع عن هيليوم من قبل».

قلت: «إذا أصابني هنا أي ضرر، فسوف تسمع عن هيليوم إذا عرفت هيليوم ذلك».

اصطحبوني خلال طرق لا تزال رائعة ومحاطة بمبانٍ جميلة - لا تزال جميلة رغم اضمحلالها. أعتقد أنني لم أشهد أبدًا مثل هذا الفن المعماري المُلهم، ولا مثل تلك الأبنية الثابتة. لا أعرف كم عُمر هذه المباني، لكنني سمعت علماء المريخ يقولون إن العرق الأصلي المهيم من ذوي البشرة البيضاء والشعر الأصفر كان مزدهرًا منذ مليون سنة. يصعب تصديق أن أعمالهم لا تزال موجودة؛ لكن المريخ يضم العديد من الأشياء التي يصعب على رجال بقعتنا الترابية الصغيرة، كوكب الأرض، تصديقها.

توقفنا أخيرًا أمام بوابة صغيرة في صرح ضخم يشبه الحصن، ولا

(٢٤) الأوتان: سرية من الجنود تضم مائة جندي - <http://barsoom.wikia.com/wiki/> - *Special:Search?query=utan* - المترجمة.

يضم أي فتحة أخرى غير هذه البوابة الصغيرة التي ترتفع بمسافة ٥٠ قدمًا فوق الأرض. نظر إلينا حارس من شرفة ترتفع حوالي ٥٠ قدمًا فوق البوابة. سأل: «من القادم»، على الرغم من أنه يستطيع دون شك رؤية القادم وبالتأكيد يعرف لان سون ون.

أجاب لان سون ون: «أنا الدوّار»^(٢٥) لان سون ون، قائد الأوتان الأول من حرس الجيداك، ومعي سجين».

بدا الحارس حائرًا، وقال: «تقضي الأوامر بعدم إدخال غرباء، وإنما قتلهم على الفور».

قاطعته لان سون ون قائلاً: «يمكنك استدعاء قائد الحرس». جاء إلى الشرفة الآن ضابط مع الحارس.

سأل: «ما هذا؟ لم يتم جلب أي سجين من قبل إلى قلعة هورز. أنت تعرف القانون».

قال لان سون ون: «هذه حالة طارئة. يجب إحضار هذا الرجل أمام هوو ران كيم. افتح البوابة!».

أجاب قائد الحرس: «لا يمكنني فتحها إلا بناء على أوامر من هوو ران كيم نفسه».

قال لان سون ون: «اذهبِ إذنْ لتحصل على الأوامر. قل للجيداك إنني أناشده بقوة أن يستقبلني مع هذا السجين؛ فهو ليس كالسجناء

(٢٥) دّوار: رتبة مريخية تعادل رتبة كابتن (نقيب) - <http://barsoom.wikia.com/wiki/Dwar> - المترجمة.

الآخرين الذين سقطوا في أيدينا سابقاً».

دخل الضابط إلى القلعة وغاب ربما حوالي ١٥ دقيقة، ثم فُتحت البوابة الصغيرة التي وقفنا أمامها، وأومأ لنا قائد الحرس نفسه بالدخول. قال للدوّار لان سون ون: «سوف يستقبلكم الجيداك».

كانت القلعة عبارة عن مدينة ضخمة مُسورة داخل مدينة هورز القديمة. ومن الواضح تمامًا أنها منيعة ضد أي هجوم، ما عدا الهجوم الجوي. ضمت داخلها طرقًا وبيوتًا وحدائق ومحالّ تجارية جذابة. توقف الناس السعداء، الخالين من الهموم، للنظر نحوي في دهشة، خلال اقتيادي عبر شارع واسع في اتجاه مبنى جميل - قصر الجيداك هوو ران كيم. وقف حارس على كل جانب من جانبي البوابة. لا يوجد أي حراس آخرين، وكان وجود هذين الحارسين نوعًا من الشكليات وليس للحماية؛ فلا يحتاج أحد داخل أسوار القلعة إلى حماية من شخص آخر، كما عرفت في ما بعد.

احتجزونا في غرفة الانتظار لبضع دقائق قبل استدعائنا، ثم أخذونا عبر ممر طويل إلى غرفه متوسطه الحجم، حيث يجلس رجل بمفرده عند مكتب. كان هوو ران كيم، جيداك هورز. لم تكن بشرته مائلة إلى الحمرة مثل محاربيه، لكن شعره كان أصفر مثلهم وعيناه زرقاوين.

شعرت بتلك العينين الزرقاوين تنظر نحوي لتقييمي وأنا أقترّب من مكتبه. كانت عينين طبيّتين، وإنما ذاتا بريق من الصُّلب. انتقلت عيناه بعد ذلك إلى لان سون ون، حيث خاطبه هوو ران كيم.

قال بصوت هادئ ورخيم: «هذا شيء غير معتاد على الإطلاق. ألا تعرف أن الهورزيين لقوا حتفهم لأقل من هذا؟».

أجاب الدوّار: «أعرف يا جيداك؛ لكن هذه حالة طارئة غير اعتيادية».

قال الجيداك: «عليك أن توضح».

قاطع بان دان تشي قائلاً: «فلتسمح لي أن أشرح الأمر؛ فهي مسؤوليتي قبل أي شيء، وقد قمت بحثّ لان سون ون للقيام بذلك».

أوماً الجيداك قائلاً: «تفضل».



الفصل (٤)

لم أفهم لماذا يعطون كل هذه الأهمية لأسر سجين، ولا لماذا مات رجال لتصرفات أقل من ذلك كما قال هوو ران كيم لتذكير لان سون ون. ففي هيليوم، يتلقى المحارب الثناء على الأقل لأسر رجل وإحضاره سجينًا. أما إذا تمكن محارب عادي من أسر جون كارتر، أمير الحرب في المريخ، فقد يرقيه أمير الخصم إلى مرتبة النبلاء.

بدأ بان دان تشي حديثه: «يا جيداك، بينما كان ستة من المحاربين الخُضر يحاصرونني، جاء هذا الرجل - الذي يقول إن اسمه جون كارتر، وهو أمير الحرب في برسوم - جاء من تلقاء نفسه ليقاتل إلى جانبي. لا أعرف من أين جاء؛ وكل ما أعرفه أنني كنت في لحظة أقاتل بمفردي في معركة يائسة، ثم وجدتُ جانبي أعظم مبارز عرفته هورز من قبل. كان يمكنه ألا يأتي، وكان يمكنه أن يرحل في أي وقت، لكنه بقي؛ ولأنه بقي، أنا ما زلت حيًا، ومات آخر المحاربين الخُضر الستة عند الواجهة البحرية القديمة. كان هذا المحارب ليهرب إن لم يقفز جون كارتر ويمتطي ظهر أحد حيوانات الثوات الضخمة ويطارده. كان بإمكان جون كارتر أن يهرب، لكنه عاد. لقد حارب من أجل جندي من هورز، ومنح ثقته لرجال هورز. فهل نكافئه بالموت؟».

توقف بان دان تشي عن الكلام، وأدار هوو ران كيم عينيه الزرقاوين نحوي، ثم قال: «جون كارتر، إن ما فعلته جدير باحترام وتعاطف كل رجل في هورز. وقد فزت بشكر جيداك هورز، غير أن...»، تردد الجيداك ثم واصل، «ربما إذا قلت لك شيئاً من تاريخنا، سوف تفهم لماذا يجب أن أحكم عليك بالموت». توقف للحظات، كما لو كان يفكر.

كنت أفكر في الوقت نفسه أيضاً؛ فقد أدهشتني الطريقة العفوية التي أصدر بها هوو ران كيم حكمه عليّ بالموت. كان ودوداً للغاية بحيث لم يكن يبدو جاداً، لكن لمحة سريعة على بريق تلك العينين الزرقاوين أكدت لي أنه لم يكن يمزح.

قلت: «أنا على يقين أن تاريخ هورز مثير للاهتمام، لكنني الآن أكثر اهتماماً بمعرفة لماذا أموت بسبب صداقتي لمقاتل من هورز».

قال: «سوف أشرح لك».

قلت مؤكداً: «سوف يتطلب الأمر قدراً كبيراً من الشرح، جلالتم». لم يُلَقَ بالآب بكلامي، وإنما واصل حديثه. «يُعتبر سكان هورز، بقدر ما نعرف، المجموعة الوحيدة الباقية من العِرق الذي كان مُهيمنًا ذات يوم في برسوم، وهو عِرق الأوروفار. كانت سفننا تجوب، منذ مليون سنة، المحيطات الخمسة العظيمة التي حكمناها. ولم تكن مدينة هورز مجرد عاصمة لإمبراطورية عظيمة، بل كانت مقرّاً لعلم وثقافة أعظم عِرق بشري عرفه العالم. وامتدت إمبراطوريتنا من القطب إلى القطب. كانت هناك أعراق أخرى على برسوم، لكنها قليلة العدد وليس

لها أهمية. نظرنا إليهم كمخلوقات أدنى. امتلك الأوروبيون برسوم، التي كانت مقسمة بين مجموعة قوية من الجيдаك. كانوا شعباً سعيداً ومزدهراً وقانعاً، ونادراً ما كانت الأمم المختلفة تقاثل بعضها. وتمتعت هورز بألف عام من السلام».

«لقد وصلوا إلى أقصى قمة الحضارة والكمال عندما أخذ مصير وشيك يلقي بأولى ظلاله على أفقهم؛ حيث بدأت البحار في الانحسار، وزادت هشاشة الغلاف الجوي. لقد بدأ ما تنبأ به العلم منذ فترة طويلة، وهو أن العالم يحتضر».

«ظلت مدننا لعصور تتبع انحسار المياه. وجفت المضائق، والخلجان، والقنوات، والبحيرات. وأصبحت الموانئ المزدهرة مدناً داخلية مهجورة. وجاءت المجاعة. شنت الجحافل الجائعة الحرب ضد المجموعات الأكثر حظاً. واجتاحت حشود الرجال الخضر الوحشية المتزايدة ما كان في يوم ما أراض زراعية خصبة، وافترت كل شيء».

«لقد أصبحت كثافة الهواء قليلة إلى حد يصعب معه التنفس. وكان العلماء يعملون على بناء مصنع للجو، بيد أن عدداً قليلاً فقط من سكان برسوم ظل في قيد الحياة قبل أن تكتمل عملية البناء بنجاح. لم ينبج سوى الأكثر قوة - الرجال الخضر، والرجال الحمر، وعدد قليل من الأوروبيين - ثم أصبحت الحياة مجرد معركة لبقاء الأصلاح».

«اصطادنا الرجال الخضر، كما كنا نصيد الوحوش الجارحة. لم يتركونا نرتاح، ولم يظهروا نحونا أي رحمة. كان عددنا قليلاً، وكانوا

كثيرين. وأصبحت هورز آخر مدينة نلجأ إليها، وأصبح أملنا الوحيد في البقاء يكمن في منع العالم الخارجي من معرفة أننا موجودون. ولهذا، بقينا لعصور نقتل كل غريب يأتي إلى هورز ويرى أي أوروباري، بحيث لا يغادرنا الغريب ويخوننا بأن ينقل إلى خصومنا أننا ما زلنا أحياء».

«يمكنك الآن أن تفهم أنه مهما كان عمق أسفنا لهذه الضرورة، من الواضح أننا لا نستطيع أن نسمح لك بالعيش».

قلت: «يمكنني أن أتفهم شعورك بضرورة تدمير أي عدو، لكنني لا أرى سبباً لتدمير صديق. ومع ذلك، فالقرار لك».

قال الجيداك: «لقد اتخذت القرار بالفعل، يا صديقي، يجب أن تموت».

صاح بان دان تشي: «انتظر لحظة، يا جيداك! قبل أن تصدر حكمك النهائي، فكر في هذا البديل. إذا بقي جون كارتر هنا في هورز، لن يمكنه نقل أي شيء إلى خصومنا. نحن ندين له بالامتنان. اسمحْ له بالعيش، ولكن دائماً داخل جدران القلعة».

أبدى الحاضرون الآخرون إيماءات بالموافقة، ورأيت أن عيني هوو ران كيم السريعتين قد شاهدتها. تنحج الجيداك وقال: «هذا شيء ربما يجدر التفكير فيه. سوف أؤجل الحكم النهائي إلى الغد. وأنا أفعل ذلك إلى حد كبير بسبب حبي لك يا بان دان تشي؛ ونظرًا لأن وجود هذا الرجل هنا يرجع إلى إلحاحك، فسوف تعاني من نفس المصير المُقَدَّر له».

فُوجئ بان دان تشي بالتأكيد، ولم يستطع إخفاء ذلك؛ لكنه تلقى الضربة كرجل. قال: «سأعتبره شرفاً أن أتناغم أي مصير يواجهه جون كارتر، أمير الحرب في برسوم».

صاح الجيداك: «قول جيد، بان دان تشي! إعجابي بك يزيد بقدر زيادة مرارة حزني عندما أفكر في الحُكم الذي لا مفر منه تقريباً بأن تموت في الغد».

انحنى بان دان تشي، وقال: «أشكر جلالتك على قلقكم العميق. سوف تتشرف آخر ساعاتي بتذكُّره».

تحولت عينا الجيداك إلى لان سون ون، وركزت عليه لما بدا دقيقة كاملة. أراهن عشرة إلى واحد أن هوو ران كيم كان على وشك أن يسبب لنفسه المزيد من الحزن الذي لا يوصف بالحكم على لان سون ون بالموت. وأتصور أن لان سون ون كان يعتقد ذلك أيضاً؛ فقد كان ينظر بقلق.

قال هوو ران كيم: «لان سون وين، خُذهما إلى الحُفر واتركهما هناك هذه الليلة. تأكد أن يحصلا على طعام جيد وكل سُبل الراحة الممكنة، لأنهما ضيفاي الكريمان».

صاح لان سو ون: «لكن الحُفر، فخامتك! لم تُستخدم منذ زمن بعيد أطول من ذاكرة الإنسان. ولا أعرف حتى إن كان يمكنني أن أجد مدخلها».

قال هو رام كيم بعد تفكير: «هكذا إذن. وحتى إن وجدتُها، فمن

المؤكد أنها في حالة من القذارة الشديدة وعدم الراحة. ربما من الأكثر عطفًا تدمير جون كارتر وبان دان تشي على الفور».

قال بان دان تشي: «انتظر، جلالتم. أنا أعرف أين يكمن مدخل الحُفر. لقد كنت فيها من قبل، ويمكن جعلها بسهولة أكثر راحة. لا أريد أن أُغير خططك أو أسبب لك حزنًا عميقًا على الفور من جراء موتي وموت جون كارتر المفاجئ. تعال، لان سون ون! سوف أقود الطريق إلى حُفر هورز!».



الفصل (٥)

كان من حسن حظي أن بان دان تشي كان متحدثًا سريعًا. فقبل أن يتفوه هو و ران كيم بأي اعتراضات، كنا خارج القاعة العامة وفي طريقنا إلى حُفر هورز. ويمكنني القول إنني كنت سعيدًا بالابتعاد عن أنظار ذلك الطاغية العطوف المُكترث. فلا يمكن التنبؤ متى يمكن أن تؤثر عليه بعض الدوافع الإنسانية الجديدة فيأمر بقطع رؤوسنا على الفور.

كان مدخل حُفر هورز يقع في مبنى صغير بلا نوافذ بالقرب من سور القلعة الخلفي. وكانت تغلقه بوابات ضخمة أصدرت صريرًا وهي تتحرك على مفصلات متآكلة عندما فتحتها اثنان من المحاربين الذين رافقونا.

قال بان دان تشي: «المكان هنا مُظلم، سنكسر رقابنا دون ضوء». ونظرًا لأن لان سون ون كان زميلًا جيدًا، فقد أرسل أحد رجاله لإحضار بعض المشاعل. وعندما عاد، دخلت مع بان دان تشي إلى الكهف القائم.

اتخذنا خطوات قليلة نحو قمة منحدر صخري مبتور يتجه إلى الأسفل في الظلام الدامس، ثم صاح لان سون ون: «انتظروا! أين مفتاح هذه البوابات؟».

بان دان تشي: «أنا لا أعرف، ولكن ربما يعرف حارس المفاتيح الذي كان يعمل لدى جيداك عظيم عاش منذ آلاف السنين».

سأل لان سون: «ولكن كيف سأغلق عليكما الباب؟».

قال بان دان تشي: «لم يقل لك الجيداك أن تغلق علينا الباب، بل قال أن تأخذنا إلى الحُفر وتركننا هناك هذه الليلة. أتذكر كلماته جيدًا».

كان لان سون ون في مأزق، لكنه اكتشف أخيرًا أنه طريق للهروب.

قال: «تعالا، سنعود إلى الجيداك ونوضح عدم وجود مفاتيح؛ ونترك الأمر له».

قال بان دان تشي: «وأنت تعرف ما سيفعل!».

سأل: «ماذا؟».

«سيأمر بقتلنا فورًا. هيا، يا لان سون ون، لا تحكم علينا بموت فوري. اترك حارسًا هنا عند البوابات، مع أوامر بقتلنا إذا حاولنا الهرب».

فكر لان سون ون للحظة، وأخيرًا أوماً برأسه موافقًا. وقال: «هذه خطة ممتازة»، ثم قام بتكليف اثنين من المحاربين بالحراسة؛ كما تولى ترتيب مناوبتهما، وبعد ذلك تمنى لنا ليلة جيدة وغادر مع محاربيه.

لم يسبق لي أن رأيت أناسًا يتسمون بالتهذيب والمراعاة مثل الأوروبيين؛ وقد يكون تقريبًا من دواعي السرور أن يشق أحدهم حلق شخص آخر، وسيكون رد فعل هذا الآخر شديد التهذيب. إنهم على النقيض تمامًا لأعدائهم المتوارثين، أي الرجال الخُضر الذين لا يعرفون المجاملة أو المراعاة أو العطف؛ بل يتسمون بالبرود والقسوة والتوحش

البغيض، ولا يعرفون الحب، وعقيدتهم هي الكراهية.

ومع ذلك، لم تكن حُفر هورز مكانًا يبعث على الرضى. تكدس التراب عبر العصور على المنحدر الذي مشينا فيه. امتد من نهايته ممر خارج نطاق ضوء مشاعلنا. كان ممرًا واسعًا، توجد على جانبية فتحات أبواب. أعتقد أنها الزنازين القديمة التي كان الجيداك القدماء يحبسون فيها أعداءهم. سألت بان دان تشي.

قال: «على الأرجح، على الرغم من الجيداك الذين جاءوا بعد ذلك لم يستخدموها».

سألته: «ألم يكن لديهم أعداء؟».

«بالتأكيد كان لديهم أعداء، لكنهم اعتبروا من القسوة حبس الرجال في مثل هذه الثقوب المظلمة؛ ولذلك كانوا يقتلون على الفور مَنْ يشتبهون في أنهم أعداء».

سألته: «لماذا إذن توجد الحُفر هنا؟».

«أوه، لقد بُنيت عندما بُنيت المدينة، ربما من مليون سنة، وربما أكثر. ومن قبيل المصادفة أن القلعة بُنيت حول مدخل الحُفر».

نظرت داخل إحدى الزنانات. رأيت هيكلاً عظيمًا متعفنًا على الأرض، ويوجد في ما بين عظامه الحديد الصدئ الذي كان يربطه بالجدار. ورأيت في الزنانة التالية ثلاثة هياكل عظمية، وصندوقين معدنيين منحوتين بشكل رائع. وعندما رفع بان دان تشي غطاء أحدهم، بالكاد ما أمكنني منع شهقة من الدهشة والإعجاب. امتلأ الصندوق

بجواهر رائعة مُرتبة بجمال متقن، وعينات من الفنون المنسية، والحرف اليدوية لحرفيين ممتازين كانوا يعيشون منذ مليون سنة. أعتقد أنني لم أرى من قبل شيئاً أثار إعجابي على هذا النحو. على أن الأمر كان يبعث على الإحباط؛ فقد ارتدت هذه المجوهرات نساء جميلات ورجالٌ شجعان اختفوا في غياهب النسيان تمامًا بحيث لم تبق منهم حتى أي ذكرى.

قطع صوت أقدام، تسير متناقلة خلفي، استغراقي في تلك الأفكار الخيالية. استدرت، وطارَت يدي بشكل غريزي إلى حيث يجب أن يوجد مقبض سيفي، لكنه لم يكن في مكانه. كان يواجهني، وعلى استعداد للانقضاض عليّ، أكبر أولسيو^(٢٦) رأيته من قبل.

تُعتبر هذه الفئران المريخية أشياء شرسة وقبيحة؛ تمتلك العديد من الأرجل، وخالية من الشعر، وجلدها يشبه جلد فأر مقرز حديث الولادة، وأعينهم عبارة عن مجموعة صغيرة ومغلقة تختفي في فتحات سمينة عميقة. على أن أكثر ملامحها شراسة وإثارة للاشمئزاز تتمثل في فكيها، اللتين يبرز مجمل هيكلهما العظمي عدة بوصات خارج اللحم ويكشف عن خمسة أسنان حادة تشبه المجرفة في كل فك، بحيث يعطي الشكل في مجمله مظهر وجه متعفن انسلخ عنه قدر كبير من اللحم. يصل حجمها عادة إلى حوالي حجم كلاب الأرديل الضخمة، لكن الفأر

(٢٦) أولسيو: مخلوق مريخي مروع، يماثل إلى حد كبير الجرذ على كوكب الأرض. يشبه الفأر الصغير الذي نما إلى حجم كلب الصيد الضخم - <https://barsoom.fandom.com/wiki/Ulsio> - المترجمة.

الذي قفز نحوي في حُفر هورز ذلك اليوم كان ضخماً، في حجم الأسد الأمريكي الصغير وبعشرة أضعاف شراسته.

عندما قفز هذا المخلوق نحو حلقي، ضربت جانب رأسه بشدة وأسقطته على جانبه؛ لكنه نهض على الفور وهاجمني مرة أخرى؛ ثم جاء بان دان تشي إلى المشهد. لم يأخذوا منه سلاحه، فهجم بسيفه القصير على الأولسيو.

كانت معركة بحق. فقد كان هذا الأولسيو أكثر وحش رأيته شراسة وعِنداً، وأعطى بان دان تشي معركة حياته؛ حيث قطع اثنتين من سيقانه، وإحدى أذنيه، وأسقط معظم أسنانه قبل أن تخف ضراوة هجماته المتكررة. لقد قطعه تقريباً إلى شرائط، لكنه كان مُجبراً دوماً على القتال. لم أستطع إلا الاكتفاء بالوقوف والمشاهدة، وهو الدور الذي لا أحبه في القتال. بيد أن المعركة انتهت أخيراً. مات الأولسيو، ونظر بان دان تشي إليّ وهو يتسم.

كان يبحث عن شيء يمسح به الدم من نصله. قلت: «ربما يوجد شيء في الصندوق الآخر»؛ ومشيت إليه، ورفعت الغطاء.

يبلغ طول الصندوق حوالي سبع أقدام، وعرضه قدمين ونصفاً، وعمقه قدمين. ويرقد في داخله رجل؛ يرتدي عتاداً مُتقناً ومرصعاً بالجواهر، وخوذة مغطاة تماماً بالماس - إحدى الخوذات القليلة التي رأيتها على المريخ. وبالمثل كانت زينة غمد سيفه الطويل، وسيفه القصير، وخنجره.

كان رجلاً وسيماً، ولا يزال جسمه وسيماً. كان محفوظاً تماماً

بحيث ربما -بقدر استمرار المظاهر- لا يزال على قيد الحياة، باستثناء طبقة رقيقة من التراب غطت ملامحه. وعندما أزلتها، بدا حيًّا مثلك أو مثلي.

سألت بان دان تشي: «هل تدفنون موتاكم هنا؟». هز رأسه.

وأجاب: «لا. ربما يوجد هذا الرجل منذ مليون سنة».

صحت: «هراء! كان ليحف ويتأكل من آلاف السنين».

قال بان دان تشي: «لا أعرف أي شيء عن ذلك. هناك العديد من الأشياء التي عرفها هؤلاء الزملاء القدماء وتُعتبر اليوم من الفنون المفقودة. وأعرف أن التحنيط كان إحداها. وتوجد أسطورة حول لي أوم لوو، أشهر مُحنِّط في كل العصور. تحكي الأسطورة أن عمله كان مثاليًّا إلى حد أن الجثمان نفسه لا يعرف أنه كان ميتًا؛ وفي العديد من المناسبات، كانت الجثامين تنهض وتسير في مراسم الجنازة. وجاءت نهاية لي أوم لوو عندما لم تتمكن زوجة جيداك عظيم من إدراك أنها ميتة، وسارت مباشرة نحو الجيداك وزوجته الجديدة. وفي اليوم التالي، فقد لي أوم لوو رأسه».

قلت ضاحكًا: «إنها قصة جيدة. وآمل أن يدرك هذا الرجل أنه ميت، لأنني على وشك تجريده من سلاحه. لم يكن ليحلم منذ مليون سنة أنه في يوم ما سيُعيد تسليح أمير الحرب في برسوم».

ساعدني بان دان تشي في رفع الجثة وإزالة عتادها. ودُهشنا من نعومة وليونة ملمس جسمه، ودفعه الطبيعي.

سألته: «هل تفترض أننا ربما نرتكب خطأ؟ هل يمكن ألا يكون ميتاً؟».

هز بان دان تشي كتفيه، وقال: «إن معارف القدماء وفنونهم تتجاوز إدراك الإنسان الحديث».

قلت: «كلامك لا يساعد على الإطلاق. هل تعتقد أن هذا الرجل قد يكون حياً؟».

قال بان دان تشي: «كان وجهه مغطى بالتراب، ولم يأت أحد إلى هذه الحفرة منذ آلاف وآلاف السنين. فإذا لم يكن قد مات، من المؤكد أنه ميت الآن».

وافقت تماماً، وقمت بربط العتاد الرائع حولي دون مزيد من اللغط. سحبت السيوف والخنجر وفحصتها. كانت الأسلحة متألقة وجيدة مثل صقلها الأول، وكانت حوافها حادة. شعرت مرة أخرى أنني رجل كامل، فالسيف يمثل جزءاً أساسياً مني.

عندما خرجنا إلى الممر، رأيت ضوءاً من بعيد؛ لكنه اختفى في لحظة. سألت بان دان تشي: «هل رأيت ذلك؟».

قال بصوت مضطرب: «رأيت ذلك. يجب ألا يوجد ضوء هنا، لعدم وجود أي شخص».

وقفنا مع تركيز بصرنا على طول الممر، لربما يتكرر الضوء. لم يكن هناك شيء، لكن ضحكة جوفاء ترددت من بعيد خلال هذا الممر الأسود.

الفصل (٦)

نظر إليّ بان دان تشي متسائلاً: «ما هذا؟».

أجبت: «بدالي كثيراً كأنه ضحك».

أوماً بان دان تشي وقال موافقاً: «نعم، ولكن كيف يوجد ضحك حيث لا يوجد أحد ليضحك؟»، وكان بان دان تشي في حيرة.

قلت مبتسماً: «ربما تعلم الأولسيو في هورز كيف يضحك».

تجاهل بان دان تشي سخريتي. قال وهو يفكر: «رأينا ضوءاً وسمعنا ضحكاً، ماذا يعني ذلك بالنسبة لك؟».

قلت: «يعني نفس الشيء الذي يعنيه لك، وهو وجود شخص ما بجوارنا هنا في حُفر هورز».

قال: «لا أعرف كيف يمكن أن يحدث ذلك».

اقترحت: «دعنا نتحقق من الأمر».

تقدمنا ممتشقين سيوفنا، لأننا لا نعرف طبيعة أو مزاج صاحب تلك الضحكة. وهناك احتمال دائم أن يقفز أولسيو من إحدى الزنانات ويهاجمنا.

امتد الممر على خط مستقيم لمسافة، ثم بدأ ينحني. هناك العديد من الفروع والتقاطعات، لكننا واصلنا طريقنا على طول ما اعتقدنا أنه الممر الرئيس. لم نشهد أي أضواء أخرى، ولم نسمع المزيد من الضحك. لا يوجد أي صوت في كل تلك المتاهة الشاسعة من الممرات غير قعقة خافتة لأسلحتنا، وأصوات خطوات أقدامنا بصنادلنا على الأرض، فضلاً عن همسات خافتة يصدرها عتادنا الجلدي.

قال بان دان تشي أخيراً: «ما من جدوى للاستمرار في البحث لمسافة أبعد. يمكننا أن نبدأ في العودة».

لم يكن لدي أي نية الآن للعودة إلى موتي. فكرت أن الضوء والضحك يشيران إلى وجود رجل في هذه الحفرة. وإذا كان سكان هورز لا يعرفون شيئاً عنها، فإن عليهم دخولها من خارج القلعة، وهو ما يعني أن طريق الهروب مفتوح أمامي. ولذلك لم أكن أرغب في العودة؛ لذا اقترحت أن نرتاح لفترة ونناقش خططنا المستقبلية.

قال بان دان تشي: «يمكننا أن نرتاح، لكن وليس هناك ما نحتاج إلى مناقشته. فقد وضع هوو ران كيم جميع خططنا».

دخلنا زنزانة لا تضم سوى ذكريات قاتمة عن مأساة الماضي. وبعد أن أدخلنا أحد مشاعلنا في فتحة في الجدار، جلسنا على الأرضية الحجرية الصلبة.

قلت: «ربما حدد لك هوو ران كيم خططك، لكنني وضعت خططي الخاصة».

سألني: «وما هي؟».

«لن أعود لكي أقتل؛ بل سأجد وسيلة للخروج من هذه الحُفرة».

هز بان دان تشي رأسه في حسرة. قال: «أنا آسف، لكنك ستعود لتواجه مصيرك معي».

سألته: «ماذا يجعلك تعتقد ذلك؟».

«لأنني يجب أن أعود بك. فأنت تعرف جيدًا أنني لا يمكن أن أدع غريبًا يهرب من هورز».

قلت: «هذا يعني أننا يجب أن نقاتل حتى الموت يا بان دان تشي، وأنا لا أود قتل شخص قاتلت إلى جانبه وأعجبت به».

قال بان دان تشي: «لديّ شعور مماثل، يا جون كارتر. أنا لا أريد قتلك؛ لكنك يجب أن تتفهم موقفني - إذا لم تأتِ معي عن طيب خاطر، يجب أن أقتلك».

حاولت مجادلته لأثنيه عن موقفه الأحمق، لكنه كان عنيدًا. كنت على يقين أن بان دان تشي يحبني. وشعرت بانقباض من فكرة قتله، لأنني أعرف أنني سأتمكن من قتله. كان مبارزًا ممتازًا، وإنما ما الفرصة المتاحة أمامه في مواجهة سيد المبارزين في عالمين؟ أنا آسف إذا كان كلامي يبدو تفاخرًا؛ فأنا أكره التفاخر - وإنما لم أقل سوى الحقيقة؛ فما من شك أنني أفضل مبارز عاش على الإطلاق.

قلت: «حسنًا، ليس علينا أن نقتل بعضنا على الفور. دعنا نستمتع بصحبتنا المشتركة لفترة أطول».

ابتسم بان دان تشي، وقال: «هذا يناسبني تمامًا».

سألته: «ماذا عن لعبة الجيتان^(٢٧)؟ سوف تساعد على تمرير الوقت بشكل لطيف».

سألني: «كيف يمكننا أن نلعب الجيتان دون لوحة أو قطع؟».

فتحت الحقيبة الجلدية، مثل تلك التي يحملها جميع سكان المريخ، وأخرجت لوحة جيتان صغيرة قابلة للطي ومعها جميع القطع - كانت هدية من ديجاه ثوريس، زوجتي التي لا تُضاهى. وكان بان دان تشي مفتونًا بهذا الجيتان؛ فهو قطعة فنية جميلة وبديعة، قام أعظم فنان في هيليوم بتصميم قطعها، وتولى نحتها تحت قيادته اثنان من أفضل النحاتين في هيليوم.

كانت جميع قطع اللعبة - مثل المحارب، البادوار^(٢٨)، الدوّار، البانتان^(٢٩)، الرئيس - منحوتة على شكل مقاتلين مشهورين في المريخ؛ كما كانت إحدى الأميرتين منحوتة بشكل جميل كصورة مُصغرة من تارا الهليومية، والأميرة الأخرى على شكل لانا من جاثول.

أشعر بفخر غير عادي بهذا الجيتان. ولأن القطع صغيرة جدًا، أحمل معي دائمًا عدسات صغيرة وإن كانت قوية، بحيث لا أستمع

(٢٧) جيتان: لعبة في برسوم تشبه إلى حد كبير لعبة الشطرنج على كوكب الأرض - <http://barsoom.wikia.com/wiki/Jetan> - المترجمة.

(٢٨) بادوار: رتبة مريخية تُعادل رتبة مُلازم - <http://barsoom.wikia.com/wiki/Padwar> - المترجمة.

(٢٩) بانتان: هو جندي مريخي مرتزق، ينتقل من مكان لآخر ويقاوم لصالح من يرغب في شراء خدماته - <http://barsoom.wikia.com/wiki/Panthan> - المترجمة.

بمفردي وإنما قد يستمتع الآخرون أيضًا. أعطيت العدسات لبان دان تشي، وفحص القطع بدقة.

قال: «إنها غير عادية. لم أرَ أبدًا أي شيء أكثر جمالًا». تفحص إحدى القطع لفترة أطول بكثير من القطع الأخرى، وأمسكها بيده كما لو أنه لا يريد التخلي عنها: «يا لروعة خيال الفنان الذي أبدع هذه القطعة، فلا يمكن أن يوجد لديه أي نموذج لهذا الجمال الرائع. لا يوجد في برسوم شيء كهذا».

قلت له: «كل قطعة من هذه القطع تشبه شخصية حقيقية موجودة». قال: «ربما باقي القطع، لكن ليس هذه. فلم تعش من قبل امرأة بمثل هذا الجمال».

سألته: «أي قطعة تقصد؟»، فأعطاه لي. فقلت: «إنها لانا من جاثول، ابنة تارا الهيليومية التي هي ابنتي. وهي تعيش بالفعل، والقطعة تشبهها تمامًا. على أن القطعة لا تمثلها بالطبع على نحو عادل، لأنها لا يمكن أن تعكس حركتها أو سحر شخصيتها».

أخذ مني التمثال الصغير وظل يتطلع إليه لفترة طويلة تحت العدسة، ثم أعاده إلى الصندوق. سألته: «هل نلعب؟».

هز رأسه نافيًا وقال: «لا يصح أن نلعب بتمثال إلهة».

جمعتُ القطع مرة أخرى داخل صندوق صغير، كان أيضًا لوحة اللعب، وأعدته إلى حقيتي. جلس بان دان تشي صامتًا. ألقى ضوء الشعلة الوحيدة ظلًا عميقًا وداكنة على الأرض.

كانت مشاعل هورز هذه بمثابة وحي بالنسبة لي؛ فهي مبتكرة للغاية. كانت أسطوانية، وتضم نواة مركزية تتوهج ساطعة بضوء ضعيف عند تعرضها للهواء. وبتدوير غطاء مفصلي وبالضغط بالإبهام على زر يدفع النواة المركزية إلى أعلى، تصبح معرضة للهواء وتضيء بقوة. وكلما ارتفعت، تعرضت لمزيد من الهواء، وبالتالي تزداد كثافة الضوء. أخبرني بان دان تشي أن اختراعها يرجع إلى عصور طوال، وأن ضوءها لا يتسبب سوى في فقدان قدر محدود من مادة النواة، ولذا فهي تُعتبر عملياً أبدية. بيد أن فن إنتاج النواة المركزية ضاع منذ عصور قديمة، ولم يتمكن أي عالم منذ ذلك الحين من تحليل التركيبة.

ظل بان دان تشي صامتاً لفترة طويلة قبل أن يتحدث مره أخرى؛ ثم نهض. بدا متعباً وحزيناً. قال: «هيا، دعنا ننتهي من الأمر الآن»، وسحب سيفه.

سألته: «لماذا يجب أن نتقاتل؟ نحن أصدقاء. إذا رحلت، أتعهد بشرفي أنني لن أقود الآخرين إلى هورز. اتركني أذهب في سلام. لا أريد أن أقتلك. ومن الأفضل أن تأتي معي. هناك الكثير الذي يمكنك رؤيته في العالم خارج هورز، فضلاً عن الكثير للمغامرة».

قال راجياً: «لا تحاول إغرائي، لأنني أريد أن آتي. لأول مرة في حياتي أريد أن أترك هورز، لكنني لا أستطيع. هيا! جون كارتر. خذ حذرك! يجب أن يموت أحدها، إلا إذا عُدت معي عن طيب خاطر».

قلت لتذكيره: «سيموت أحدها في أي حالة. وهو شيء سخيف للغاية، يا بان دان تشي».

كان رده الوحيد: «خذ حذرك!».

لم يكن أمامي أي شيء أفعله إلا امتشاق سيفي والدفاع عن نفسي.
لم يسبق لي أن امتشقت سيفي دون متعة مثل الآن.



الفصل (٧)

لم يتخذ بان دان تشي موقفًا هجومياً، ولم يفعل الكثير في الدفاع. كان بإمكانه قتله في أي وقت اختاره منذ لحظة امتشاقه لسيفي. أدركت على الفور أنه يمنحني حريتي على حساب حياته، لكنني لن أقتله. وفي النهاية تراجع، وأنزلت سيفي قائلاً: «أنا لست جزاءً، يا بان دان تشي، هيا! فلنكفَّ عن القتال».

هز رأسه وقال ببساطة شديدة: «لا أستطيع أن أقتلك».

سألته: «لماذا؟».

قال: «لأنني أحمق. إن نفس الدماء تتدفق في عروقك وعروقها. ولا يمكنني إراقة هذه الدماء. لا يمكنني أن أتسبب في تعاستها».

سألته: «ماذا تعني؟ عن ماذا تتحدث؟».

قال: «أتحدث عن لانا الجاثولية، أجمل امرأة في العالم، المرأة التي لن أراها أبداً لكنني أقدم لها حياتي بكل سرور».

تبدو الآن الشهامة المفرطة لدى مقاتلي المريخ، لكن الأمر كان يحملنا إلى أبعد كثيراً مما رأيته من قبل.

قلت: «هذا جيد جدًا؛ ونظرًا لأنني لا أنوي قتلك، فلا فائدة من هذه المباراة السخيفة».

أعدتُ سيفي لغمده، وبالمثل فعل بان دان تشي.

سألني: «ماذا نفعل؟ لا أستطيع أن أدعك تهرب؛ ومن ناحية أخرى، لا أستطيع منعك. أنا خائن لبلدي. ولذلك، يجب أن أقتل نفسي».

كان لديّ خطة. يمكنني مرافقة بان دان تشي والعودة معه إلى مدخل الحُفر تقريبًا، وهناك يمكنني التغلب عليه وتقييده وتكميمه، ثم أهرب أو على الأقل أحاول العثور على مخرج آخر من الحُفر. وبعد ذلك سوف يكتشفون بان دان تشي، وقد يواجه حكمًا بالموت وإنما دون أن تعلق وصمة الخيانة باسمه.

قلت له: «أنت لا تحتاج إلى قتل نفسك. سوف أرافقك إلى مدخل الحُفر. لكنني أحذرك أنني إذا اكتشفت فرصة للهرب سأهرب».

قال: «هذا عدل، واقتراح كريم منك. فقد أتحت لي إمكانية الموت بشرف ورضى».

سألته: «هل تريد أن تموت؟»

قال مؤكّدًا: «كلا بالطبع، أتمنى أن أعيش. وإذا عشت، قد أجد طريقتي في يوم ما إلى جاثول».

سألته: «لماذا لا تأتي معي إذن؟ يمكننا معًا أن نعثر على طريق لخروجنا من الحُفر. تبعد طائرتي بمسافة قصيرة عن القلعة، والمسافة

من هورز إلى جاثول لا تزيد على ٤٠٠٠ هاد^(٣٠)».

هز رأسه وقال: «إن الإغراء عظيم؛ وإلى أن أستنفد كل الموارد وأفشل في العودة إلى هوو ران كيم قبل ظهر الغد، فقد لا أفعل أي شيء آخر سوى المحاولة».

سألته: «لماذا عند ظهر الغد؟».

أجاب: «إنه قانون أوروباراني قديم جداً، يحدد موعد حكم الإعدام بظهيرة اليوم الذي يصدر فيه الحكم على الشخص. وقد قرر هوو ران كيم أن نموت غداً. وإذا لم يحدث، لسنا ملزمين بشرف العودة إليه».

توجهنا بحزن إلى المدخل الذي من المتوقع أن نعبره لنصل إلى موتنا. لم تكن لديّ نية لعبوره بالطبع، لكنني كنت حزيناً من أجل بان دان تشي. لقد أحببته كثيراً؛ فقد كان رجلاً يتمتع بشرف كبير، كما كان مقاتلاً شجاعاً.

مشينا كثيراً، إلى أن أصبحت مقتنعاً بأننا إذا كنا في الممر الصحيح كان ينبغي أن نصل إلى المدخل منذ فترة طويلة. أخبرت بان دان تشي بذلك ووافقني. تتبعنا خطواتنا إلى الخلف، وحاولنا في ممر آخر. لكننا فشلنا في العثور على الممر الصحيح.

قال بان دان تشي: «أخشى أننا ضللنا الطريق».

وافقته بابتسامة: «أنا متأكد تماماً من ذلك». إذا كنا قد ضللنا الطريق

(٣٠) الهاد: هو الميل في برسوم، ويعادل الهاد، أو الميل البرسومي، حوالي ٢,٣٣٩ قدم بمقاييس كوكب الأرض - http://barsoom.wikia.com/wiki/Linear_Measurement - المترجمة.

بما يكفي، فلن نجد المدخل قبل الظهيرة القادمة؛ وعندئذٍ يصبح بان دان تشي حرًا في الذهاب إلى حيث يجد سعادته، وكنت أعرف جيدًا إلى أين يسعده أن يذهب.

أنا لست وسيط زواج، ولا أؤمن بسد الطريق لمنع لقاء رجل وامرأة؛ بل أؤمن بترك الأمر للطبيعة كي تأخذ مجراها. إذا كان بان دان تشي يعتقد أنه يحب لانا الجاثولية ويرغب في الذهاب إلى جاثول ومحاولة الفوز بها، لم أكن لأشجعه لو كان ينحدر من أصل متدنٍّ أو كانت طبيعته شائنة. لكنه لم يتسم بأي منهما؛ فهو ينتمي إلى أقدم عرق مثقف في برسوم، وأثبت بان دان تشي أنه رجل يتحلى بالشرف.

لم يكن لديَّ أي سبب للاعتقاد بأن هدفه سوف يُكلل بالنجاح. ذلك أن لانا الجاثولية لا تزال صغيرة، ومع ذلك ألقى بعض رجال أعظم بيوت في برسوم سيوفهم أمام قدميها. وهي عاقلة، مثلها مثل جميع نساء المريخ تقريبًا اللاتي يتمتعن بمنزلة عليا. فقد يختطفها، مثل الكثيرات منهن، خاطب متهور؛ وعندئذٍ إما أن تحبه وإما أن تدس خنجرًا بين ضلوعه، لكنها لن تتزوج أبدًا من رجل لا تحبه. كان خوفي على بان دان تشي أكثر منه على لانا الجاثولية.

تبعنا آثار خطواتنا وحاولنا الدخول إلى ممر آخر، لكننا لم نجد مدخلًا. استلقينا للراحة، ثم حاولنا مرة أخرى. كانت النتيجة هي نفسها.

قال بان دان تشي: «لا بد أن الوقت صباح الآن».

قلت بعد أن نظرت في جهاز الكرونوميتر الخاص بتعيين الوقت: «نعم، نحن عند الظهيرة تقريبًا».

لم أستخدم بالطبع كلمة «الظهيرة»، بل استخدمت بالأحرى ما يعادلها في لغة برسوم: ٢٥ زات بعد الزود الثالث^(٣١) - أي ١٢ ظهرًا بتوقيت كوكب الأرض.

صاح بان دان تشي: «يجب أن نُسرع!».

صدرت ضحكة جوفاء خلفنا. استدرنا سريعًا، ورأينا ضوءًا على بُعد ثم اختفى على الفور.

سألته: «لماذا يجب أن نسرع؟ لقد بذلنا قصارى جهدنا. وليس خطؤنا أننا لم نجد طريقنا للعودة إلى القلعة والموت».

أومأ بان دان تشي وقال: «بغض النظر عن مدى سرعتنا، هناك احتمال ضئيل أن نجد المدخل».

كان هذه الفكرة بالطبع صعبة المنال، إلا أنها كانت أيضًا دقيقة؛ فنحن لم نجد أبدًا مدخل القلعة.

قال بان دان تشي: «هذه هي المرة الثانية التي نسمع فيها هذه الضحكة ونرى ذلك الضوء. أعتقد أننا يجب أن نتحرى الأمر؛ ربما يوجهنا الضوء وصوت الضحك إلى المدخل».

قلت: «ليس لديّ اعتراض على أن نتحرى الأمر؛ وإن كنت أشك في أننا إذا وجدنا صاحب الضحكات سنجده صديقًا».

(٣١) ورد في قصة «آلهة المريخ» أن يوم المريخ يزيد بمقدار ضئيل على ٢٤ ساعة و٣٧ دقيقة (بتوقيت كوكب الأرض). ويقسمه المريخيون إلى عشرة أجزاء متساوية تُسمى زود (أي أن دورة المريخ حول محوره تساوي ١٠ زود)، وينقسم الزود إلى خمسين فترة أقصر تُسمى زات (أي أن الزود يعادل ٥٠ زات) - المترجمة.

قال بان دان تشي: «يا له من أمر يبعث على الحيرة. كنت أعتقد طوال حياتي، كما اعتقد جميع سكان هورز الآخرين، أن حُفر هورز مهجورة. منذ زمن طويل، ربما يمتد لعصور، دخل بعض الرجال المغامرين إلى الحُفر للتحري عنها. وتكرر ذلك على فترات، ولم يُعد على الإطلاق أي من الذين دخلوا الحُفر. على الإطلاق. وافترض الجميع أنهم ضلوا الطريق وجاعوا حتى الموت. ربما سمعوا الضحك أيضًا ورأوا الأضواء!».

قلت: «ربما».



الفصل (٨)

فقدنا، أنا وبان دان تشي، كل شعور بالوقت؛ فقد بقينا لفترة طويلة في حُفر هورز دون طعام أو ماء. يصعب أن يكون أكثر من يومين، فما زلنا نتمتع بالقوة. كما أن أكثر من يومين دون ماء سوف يستنزف قوة أفضل الرجال. رأينا الضوء وسمعنا الضحك ثانية لمرتين. يا لها من ضحكة! ما زلت أسمعها. حاولت الاعتقاد أنها ضحكة إنسان. لم أرد أن يصيبني الجنون.

قال بان دان تشي: «لنعر عليه ونشرب من دمه!».

قلت ناصحًا: «كلا، بان دان تشي. نحن رجال ولسنا وحوشًا».

قال: «أنت على حق. كدت أفقد السيطرة».

قلت: «دعنا نستخدم عقولنا. إنه يعرف مكاننا دائمًا، لأنه يرى ضوء شعلتنا. لنفترض أننا أطفالناها وتسللنا إلى الأمام بصمت. إذا كان فضوليًا، سوف يتحرى الأمر. وسوف ننصت بانتباه، ننصت إلى صوت خطوات أقدامه». وضعت خطة جيدة، ووافق بان دان تشي على أنها كانت خطة دقيقة. وأعتقد أنه لا يزال يفكر في شرب دم المخلوق عندما نجده. كنت أقرب من حالة تجعلني أنا أشرب من دمه أيضًا. يا

إلهي! إذا لم تكن قد عانيت سابقاً من الجوع والعطش، فلا تحكم على الآخرين بقسوة.

أطفأنا الشعلة. كان لدى كل منا واحدة، وما من ضرورة لبقاء الشعلتين مضاءتين. يمكن زيادة ضوء إحداهما إلى درجة قد تصيب الإنسان بالعمى. زحفنا بصمت إلى الأمام، في الاتجاه الذي شهدنا فيه الضوء في المرة الأخيرة. امتشقنا سيوفنا. اقتربت لثلاث مرات بالفعل حيوانات الأوليسو الضخمة التي تعيش في حُفر هورز القديمة، لكننا نتمتع بميزة ضوء الشعلة. لم أستطع إلا أن أتساءل كيف سنخرج إذا هاجمنا أحدهم الآن.

كان الظلام كلياً، ولا يوجد أي صوت. تشبثنا بأسلحتنا حتى يصدر صوت القعقة إذا احتكت بمعادننا. رفعنا أقدامنا وأنزلناها بلطف على الأرضية الحجرية. لا يوجد أي صوت على الإطلاق. وبالكاد ما نتنفس. ظهر الآن ضوء أماننا. توقفنا، وانتظرنا، وأنصت. رأيت هيئة، ربما لإنسان وربما لمخلوق غير بشري. لمستُ ذراع بان دان تشي بخفة، وتحركت إلى الأمام. جاء معي. لم نُصدر أي صوت على الإطلاق. وأعتقد أن كلاً منا حبس أنفاسه.

زاد سطوع الضوء. يمكنني الآن رؤية رأس وكتف بيرزان من مدخل على جانب الممر. كان لهذا المخلوق شكل بشري على الأقل. ويمكنني أن أتخيل أن اختفاءنا المفاجئ أقلقته، ويتساءل عما حدث لنا. انسحب إلى المدخل الذي كان يقف عنده، غير أن الضوء استمر. يمكننا رؤيته ساطعاً من داخل الزنزانة أو الغرفة التي دخلها المخلوق.

تسللنا لمسافة أقرب. قد تكمن هنا الإجابة على سعيينا للحصول على الماء والغذاء. إذا كان المخلوق إنساناً، فإنه يحتاجهما؛ وإذا كانا متوفرين، يجب أن نحصل عليهما.

اقتربنا بصمت من المدخل الذي يتدفق منه الضوء إلى الممر. سيوفنا عالية. كنت في الصدارة. شعرت أن المخلوق سيختفي عند أي تحذير باقترابنا. يجب ألا يحدث ذلك. يجب أن نراه. ويجب أن نمسك به، ونجبره على إعطائنا الغذاء والماء!

وصلت إلى المدخل، وخطوت إلى الفتحة ولمحت لحظياً هيئة غريبة؛ ثم غرق كل شيء في الظلام وتردد صدى ضحكة جوفاء خلال السواد الدامس في حُفر هورز.

حملت في يدي اليمنى السيف الطويل الذي أخذته من الرجل الأوروبي الذي مات منذ زمن طويل. وأمسكت شعلة هورز المذهلة في يدي اليسرى. وعندما انطفأ الضوء في الغرفة، رفعت بإبهامي زر الشعلة، فغمر الضوء الغرفة.

رأيت غرفة كبيرة مليئة بالعديد من الصناديق. كما توجد أريكة بسيطة، ومقعد طويل، وطاولة، ورفوف مليئة بالكتب، وموقد مريخي قديم، وخزان للمياه، فضلاً عن أغرب رجل رآته عيناى على الإطلاق. هرعت إليه ووضعت سيفي أمام قلبه لأنني لم أكن أريده أن يهرب. ارتعد وصرخ، وتوسل ألا أقتله.

قلت: «نحن نريد الماء؛ الماء والطعام. أعطنا الماء والطعام دون أن تلحق بنا أي ضرر، وعندئذ ستكون آمنًا».

قال: «خذوهما بنفسيكما. الماء هناك، والطعام هنا. ولكن، أخبرني مَنْ أنتما وكيف وصلتما هنا إلى حُفر هورز القديمة، هورز الميتة - التي ماتت منذ عصور لا تُعد ولا تُحصى؟ لقد انتظرت لعصور لكي يأتي شخص، وها أنتما هنا الآن. مرحبًا بكما. سنكون أصدقاء رائعين. ستبقيان هنا معي إلى الأبد، مثل كل الآخرين العديدين. سأجد صحبة في حُفر هورز المهجورة». ثم ضحك بشكل جنوني.

كان من الواضح أنه مخلوق مجنون. لم يقتصر الجنون على مظهره، بل تصرفاته أيضًا. كان كلامه أحيانًا عبارة عن تمتمة غير مفهومة، يتخللها غالبًا ضحك بلا معنى وفي غير محله - الضحكة الجوفاء التي سمعناها من قبل.

كان مظهره مثيرًا للاشمئزاز. كان عاريًا باستثناء العتاد الذي يدعم السيف والخنجر، وكانت بشرة جسده المشوه بيضاء شبحية - مثل لون الجثث. وكان فمه المترهل مفتوحًا، ويكشف عن عدد قليل من الأنياب الصفراء المهترئة. أما عيناه، فواسعتان ومستديرتان، ويظهر البياض بالكامل حول القرنية. لا يوجد لديه أنف؛ ويبدو أنه تأكل نتيجة للمرض. أبقيت عيني عليه بينما يشرب بان دان تشي، الذي راقبه وأنا أروي عطشي. وظل المخلوق طوال الوقت يتفوه بثرثرة لا معنى لها. يقول كلمة كالوت^(٣٢)، مثلًا، ويظل يردها مرارًا وتكرارًا كما لو أنه يجري محادثة.

(٣٢) الكالوت: الكلب المريخي، وهو بحجم المُهر ولديه عشر أرجل، ويضم فكاه ثلاثة صفوف من الأنياب الطويلة الحادة - <http://barsoom.wikia.com/wiki/Calot> - المترجمة.

يمكنك اكتشاف جملة استفهامية عن طريق طبقة صوته؛ ويصدق الشيء نفسه على الجملة البيانية، أو صيغة الأمر، أو التعجب. واستمر طوال الوقت في الإيماء مثل خطيب حفل الرابع من يوليو.

وأخيراً قال: «تبدوان غبيّين جدًّا، لكنكما قد تفهمان في النهاية. والآن بشأن الطعام: هل تفضلان الأولسيو نيّئا، كما أتصور؛ أم يجب أن أطبخه؟».

«الأولسيو!»، صاح بان دان تشي، «أنت لا تعني أن تقول إنك تأكل الأولسيو!».

قال المخلوق: «إنه طعام شهّي».

سأله بان دان تشي: «هل لديك أي شيء آخر؟».

أجاب المخلوق: «لا يزال هناك القليل من رو تان بيم^(٣٣)، لكنه بدأ يتصلب قليلاً حتى لرجل ذوّاق مثلي».

نظر بان دان تشي نحوي. فقلت: «أنا لست جائعاً، تعال! دعنا نحاول الخروج من هنا». سألت الرجل العجوز: «أي ممر يقود إلى المدينة؟».

قال: «يجب أن تنالا قسطاً من الراحة، وبعد ذلك سوف أريكما الطريق. يمكنكما الاستلقاء على تلك الأريكة وتستريحان».

كنت أسمع دائماً أنه من الأفضل ملاطفة مختل العقل؛ وكان من الحكمة

(٣٣) رو تان بيم: اسم رجل أورفاري ميت، يوجد جسمه في حفرة هورز - https://barsoom.fandom.com/wiki/Ro_Tan_Bim - المترجمة.

أن أطلب معروفًا من هذا المخلوق. علاوة على ذلك، كنت وبان دان تشي
نشعر بتعب شديد، ولذلك استلقينا على الأريكة وجر الرجل العجوز المقعد
الطويل وجلس بجانبنا. وبدأ يتحدث بصوت منخفض وهادئ.

«أنتما متعبان للغاية»، قالها مرارًا وتكرارًا برتابة، وثبت عينيه
الكبيرتين على أحدهما أولاً ثم حولها إلى الآخر. شعرت باسترخاء
عضلاتي. ورأيت بان دان تشي يغلق جفنيه. همس رجل الحُفر العجوز:
«سرعان ما تنامان. سوف تنامان وتنامان وتنامان، ربما لعصور مثل
أولئك الآخرين. ولن تستيقظا إلا عندما أقول لكم، أو عندما أموت
- وأنا لن أموت أبدًا». نظر نحوي وقال: «أنت سرقت عتاد وأسلحة
هور كاي لان. وسوف يغضب عندما يستيقظ ويكتشف أنك سرقت
أسلحته، لكن هور كاي لان لن يستيقظ. إنه نائم منذ عصور عديدة،
حتى إنني نسيت عددها. دونت عددها في كتابي، لكن ما الفارق الذي
يحدثه ذلك؟ وما الفارق في أن يرتدي شخص آخر عتاد هور كاي لان؟
لن يستخدم أحد سيوفه مرة أخرى أبدًا؛ وعلى أي حال، عندما ينتهي رو
تان بيم، ربما أستخدم هور كاي لان. وربما أستخدمك. مَنْ يدري؟».

وكان صوته مثل تهويده حالمة. شعرت أنني أغرق في سُبات
لطيف. أُلقيت نظرة على بان دان تشي، ووجدته نائمًا. وعندئذ وصل
مغزى كلمات المخلوق إلى ذهني المنطقي. لقد حكم علينا بالموت
الحي باستخدام التنويم المغناطيسي! سعيت لنفص الخمول عني.
استجمعت ما تبقى من قوة إرادتي. كان عقلي دائمًا أقوى من عقل أي
مريخي نفذت إليه.

منحني رعب الوضع قوة: فكرة الاستلقاء هنا لعدد لا يُحصى من
العصور، ويتجمع فوقني تراب حُفر هورس، أو يأكلني هذا المهووس
المهترئ! استجمعت كل قوتي في جهد أخير هائل لتحطيم الروابط
التي قيدتني. كان جهداً أشد كثيراً من الجهد البدني. تفجر عرقي بعنف.
شعرت بأنني أرتجف من الرأس إلى القدمين. هل سأنجح؟
ومن الواضح أن الرجل العجوز أدرك المعركة التي أخوضها من
أجل الحرية؛ لأنه ضاعف جهوده لاحتجازي. التف صوته، كما التفت
عيناه، حولي بقوة بدنية. بدأ المخلوق يتصبب عرقاً الآن، فقد كانت
محاولاته مضنية لإغواء ذهني. هل سينجح؟



الفصل (٩)

إنني أفوز! كنت أعرف أنني أفوز! ولا بد أن المخلوق كان يعرف أيضًا؛ لأنني رأيته يستل خنجره من غمده في جانبه. إذا لم يستطع تقييدي في مظهر الموت، فسوف يقيدني في موت فعلي. سعت إلى تحرير نفسي من آخر مخالف قوى المخلوق العقلية الخبيثة الآخذة في الضعف قبل أن يتمكن من توجيه ضربة مميتة تتسبب في موتي، وفي ما يعادل الموت لبان دان تشي.

ارتفعت يد الخنجر فوقي. نظر في عينيَّ بعينه البشتين المتوهجتين، اللتين تسطعان بنيران الجنون الشيطانية؛ لكنني، وفي تلك اللحظة الأخيرة، فزت! لقد تحررت. ضربت اليد التي تحمل الخنجر وأبعدتها عني، ثم نهضت على قدمي وفي يدي السيف الجيد الطويل الذي أخذته من هور كاي لان.

ارتعد المخلوق وصرخ. صرخ طلبًا للمساعدة حيث لا توجد مساعدة، ثم استل سيفه. لم أرغب في تدنيس فن مبارزتي الجميل مع مثله. تذكرت تفاخره بأنني وبان دان تشي سوف ننام إلى أن يوقظنا أو يموت. وكان هذا وحده كافيًا لاتخاذ قراري - لن أكون مبارزًا، بل جلاذًا ومحررًا.

سددت ضربة واحدة، قطعت رأسه الكريه وتدحرجت فوق الأرضية الحجرية في حُفر هورز. نظرت إلى بان دان تشي. كان يستيقظ. تقلّب وتمدد، ثم جلس وهو ينظر نحوي متسائلاً. تجولت عيناه نحو الجسم والرأس على الأرض.

سأل: «ماذا حدث؟».

وقبل أن أتمكن من الرد، قاطعني وأبْل من الأصوات القادمة من الغرفة التي كنا فيها، ومن الغرف الأخرى في حُفر هورز.

نظرنا حولنا بسرعة. انفتحت أغطية عدد لا يُحصى من الصناديق، وجاءت صيحات أشخاص آخرين بعد فتح أغطية الصناديق التي كانت تحتجزهم. ظهر رجال مسلحون - محاربون في عتاد رائع. ونساء يفركن أعينهن وينظرن في حيرة.

وبدأ آخرون يقتربون من الغرفة خلال الممر، مسترشدين بضوء شعلتنا.

سأل رجل ضخّم، يرتدي أغطية رائعة: «ما معنى هذا؟ مَنْ أحضرني إلى هنا؟ من أنتم؟». أخذ يتطلع حوله بحيرة واضحة، كما لو كان يبحث عن وجه مألوف.

قلت: «ربما أستطيع أن أشرح لك؟ نحن في حُفر هورز. وأنا هنا منذ بضع ساعات فقط. وإنما إذا كان ما أخبرني به هذا المخلوق الميت على الأرض هو الحقيقة، فإن بعضكم هنا منذ عصور. لقد احتجزكم هذا المخلوق المجنون بقدرته على التنويم المغناطيسي، وقد حرركم موته».

نظر الرجل إلى الرأس المُحدَّق المُلقى على الأرض. وقال صائحًا:
«لوم تار أوو! لقد أرسل لي، وطلب مني أن أحضر لأراه بشأن مسألة مهمة.
وأنت قتلتَه. حسابك معي - غدًا. أما الآن، يجب أن أعود إلى ضيوفي».
توجد طبقة من التراب على وجه الرجل وجسمه؛ وبذلك عرفت
أن وجوده هنا لا بد أن يمتد لفترة طويلة. وقد ثبت تخميني الآن بطريقة
أكثر دراماتيكية.

كان الرجال والنساء الذين استيقظوا يجاهدون للخروج من
الصناديق التي احتجزتهم. ووجد المحتجزون في الصناديق السفلية
صعوبة في إزاحة الصناديق المكدسة فوقهم. وأحدث سقوط الصناديق
الفارغة على الأرض جلبة واضطراب شديدين. كما اختلطت أصوات
الحديث، فضلًا عن الشعور بالحيرة والارتباك.

زحف أحد النبلاء، والتراب يغطيه، من صندوق. وعلى الفور
تعرف على الرجل الضخم الذي تحدث. قال الأخير: «ماذا حدث لكم؟
التراب يغطيكم جميعًا. لماذا أتيت إلى هنا؟ هيا! يجب أن أعود إلى
ضيوفي».

هز النبيل رأسه في حيرة واضحة، وصاح: «ضيوفك، يا كام هان
تور! هل تتوقع أن ينتظرك ضيوفك عشرين عامًا».
«عشرون عامًا! ماذا تعني؟».

«كنت ضيفك قبل عشرين عامًا. وتركتنا في منتصف المأدبة ولم
تعد أبدًا».

صاح كام هان تور: «عشرون عامًا؟ أنت مجنون!». نظر نحوي ثم إلى الرأس الملقى على الأرض، وبدأ يضعف. رأيت ذلك بالفعل. كان الرجل الآخر يتحسس وجهه، وينظر إلى التراب الذي أزاله منه؛ ثم وجه كلامه إلى كام هان تور: «يغطي التراب أنت أيضًا». نظر كام هان تور إلى جسده وعتاده، ثم مسح وجهه ونظر إلى أصابعه وصاح: «عشرون عامًا!»، ثم حوّل بصره إلى رأس لوم تار أوو. صائحًا: «أيها الوحش الخسيس! لقد كنت صديقك، وتفعل هذا بي!». التفت نحوي وقال: «عليك أن تنسى ما قلته. لم أفهم. أيّا ما كنت، اسمح لي أن أوكد لك أن سيفي في خدمتك دائمًا». انحنيت تقديرًا له.

«عشرون عامًا!»، أخذ كام هان تور يكرر، كما لو أنه لم يُصدق بعد. «سفيتتي العظيمة! كان يجب أن تبحر من ميناء هورز في اليوم التالي لمأدبتي - وهي أعظم سفينة بُنيت على الإطلاق. لقد أصبحت قديمة الآن، ربما عفا عليها الزمن؛ وأنا لم أرها أبدًا. أخبرني... هل أبحرت جيدًا؟ هل لا تزال سفينة فخورة؟».

قال الآخر: «رأيتها عندما أبحرت على ثروكسيوس^(٣٤). كانت سفينة فخورة في الواقع، لكنها لم تُعد من تلك الرحلة الأولى، كما لم يسمع عنها أحد أي شيء. لا بد أنها دُمرت».

(٣٤) ثروكسيوس: أكبر المحيطات الخمسة التي كانت موجودة في برسوم. كل ما تبقى منه هو مستنقع الملح العظيم - <https://barsoom.fandom.com/wiki/Throxus> - المترجمة.

هز كام هان تور رأسه بأسف، ثم اعتدل في وقفته. وقال: «سوف أبني سفينة أخرى، سفينة أكبر، للإبحار في أقوى بحار برسوم الخمسة». بدأت أفهم الآن ما تشككت فيه ولم أتمكن من تصديقه. يا له من وضع مذهل تمامًا. فقد كنت أنظر وأتحدث مع رجال عاشوا مئات الآلاف من السنين، عندما كان ثروكسيوس ومحيطات المريخ الأربعة الأخرى القديمة تغطي ما نراه الآن امتدادًا صحراويًا شاسعًا لقاع البحر الميت؛ عندما كانت البحرية التجارية الكبرى تحمل تجارة عرق أشقر وبشرته فاتحة اللون، ومن المفترض أنه انقرض منذ عدد لا يُعد ولا يُحصى من العصور.

اقتربت من كام هان تور ووضعت يدي على كتفه. تجمع حولنا الرجال والنساء الذين تحرروا من تعويذة لوم تار أوو الخبيثة، تجمعوا ليستمعوا. قلت: «أنا آسف لتحريرك من هذا الوهم يا كام هان تور، لكنك لن تتمكن من بناء سفينة، ولن تتمكن أي سفينة من الإبحار في ثروكسيوس ثانية».

سألني: «ماذا تعني؟ من ذا الذي يستطيع منع كام هان تور، شقيق الجيداك، من بناء السفن والإبحار بها في ثروكسيوس؟».

قلت: «ثروكسيوس لم يعد موجودًا يا صديقي».

«ثروكسيوس غير موجود؟ أنت مجنون!».

أوضحت له: «أنت هنا في حُفر هورز منذ عدد لا يُحصى من العصور. وخلال تلك الفترة، جفت محيطات برسوم الخمسة الكبرى.

لا توجد محيطات، ولا توجد تجارة. لقد انقرض العرق الذي تنتمي إليه».

صاح: «يا رجل، أنت مجنون!».

سألته: «هل تعرف كيف نخرج من هذه الحُفرة؟ نخرج إلى المدينة مباشرة، وليس من خلال...» كنت سأقول القلعة، لكنني تذكرت أن القلعة لم تكن موجودة عندما تم إغراء هؤلاء الناس للمقدوم إلى الحُفرة. سأل كام هان تور: «تقصد ليس من خلال قصري؟».

قلت: «نعم، ليس من خلال قصرك، وإنما إلى أرصفة الميناء؛ حيث يمكنني أن أوضح لك أن ثروكسيوس لم يعد موجودًا».

قال: «أعرف الطريق بالتأكيد. أَلَمْ تُبْنَ هذه الحُفرة وفقًا لخططي!».

قلت: «هيا، إِدْنْ».

وقف رجل ينظر إلى رأس لوم تار أوو. توجه إلى كام هان تور قائلاً: «إذا كان ما يقوله هذا الرجل صحيحًا، فلا بد أن لوم تار أوو عاش منذ زمن طويل. كيف عاش كل هذه العصور؟ وكيف عشنا نحن؟».

قلت: «أنتم كنتم في حالة من توقف الحيوية. أما بالنسبة إلى لوم تار أوو، فهذا لغز».

أجاب الرجل: «ربما ليس لغزًا. كنت أعرف لوم تار أوو جيدًا. كان ضعيفًا وجبانًا، ويتسم بردود الفعل النفسية للضعيف والجبان. وكان يكره كل مَنْ يتصف بالشجاعة والقوة، ويرغب في إلحاق الضرر بهم. وكان لي أوم لوو بمثابة صديقه الوحيد، وأشهر مُحَنِّط عرفه العالم».

وعندما مات لوم تار أوو، قام لي أوم لوو بتحنيط جسده. ومن الواضح أنه قام بهذا العمل بشكل رائع إلى حد أن جسد لوم تار أوو مات، واستمر كأنه حي. وهذا يوضح استمرار وجود هذا المخلوق طوال تلك الفترة الزمنية الهائلة - وجوده ليس كإنسان، وليس كمخلوق حي، كلا على الإطلاق؛ بل مجرد جثة لا يزال مخها الخبيث يعمل».

ما إن أنهى الرجل حديثه، حتى سمعنا ضجة عند مدخل الغرفة. دخل رجل ضخم مندفعًا، عاريًا تقريبًا؛ وكان غاضبًا جدًا. سأل: «ما معنى هذا؟ ماذا أفعل هنا؟ وماذا تفعلون هنا؟ مَنْ الذي سرق عتادي وأسلحتي؟».

وعندئذٍ تعرفت عليه.. إنه هور كاي لان، الذي أرتدي عتاده وأسلحته. كان منفعلاً للغاية، ولا يمكنني أن ألومه كثيرًا. شق طريقه خلال الحشد، وتعرّف على ممتلكاته بمجرد أن شاهدني.

صاح: «يا لص! أعد لي عتادي وأسلحتي!».

قلت: «أنا آسف؛ لكنني سأحتفظ بها، إلا إذا أعطيتني غيرها».

صاح: «يا كالوت. هل تدرك إلى مَنْ تتحدث؟ أنا هور كاي لان، شقيق الجيداك».

نظر كام هان تور نحوه في ذهول. وصاح: «أنت ميت منذ أكثر من ٥٠٠ سنة يا هور كاي لان، وكذلك شقيقك. وقد خلف شقيقي آخر جيداك في عام ٢٧م٣٨٢ل٤».

قال بان دان تشي: «لقد توفيتم جميعًا منذ عصور. وحتى هذا

التقويم يُعتبر من الماضي الميت».

تصورت أن شرايين هور كاي لان ستنفجر؛ إذ صاح: «مَن أنت؟
إنني أضعك رهن الاعتقال. بل أضعكم جميعًا رهن الاعتقال. هاااااا!
يا حراس!».

حاول كام هان تور تهدئته، ونجح على الأقل في الحصول على
موافقته لأن يرافقنا إلى أرصفة الميناء للتحقق من وجود ثروكسيوس،
حيث إن ذلك بالتأكيد هو ما سيثبت أو يدحض الحقائق التعيسة التي
اضطرت إلى شرحها لهم.

وعندما بدأنا في طريقنا، بقيادة كام هان تور، لاحظت أن غطاء أحد
الصناديق يتحرك قليلًا. ارتفع الغطاء تدريجيًا، ورأيت عينيّن تطلان من
خلال الفتحة التي نتجت عن رفع الغطاء؛ ثم فجاء صرخ صوت فتاة:
«جون كارتر، أمير هيليوم! يا لبركة سلفي الأول!».



الفصل (١٠)

لم أكن لأندهش إذا تجسّد سلفي الأول فجأةً أمام عيني أكثر من دهشتي عند سماع اسمي يصدر من داخل إحدى الصناديق في حُفَر هورز.

ما إن بدأت أتحرى الأمر، حتّى أُلقي غطاء الصندوق جانباً وخرجت منه فتاة. كانت دهشتي أكبر مما قد تبدو عليه دهشة سلفي الأول؛ فقد كانت الفتاة هي لانا من جاثول!

صحت: «لانا! ماذا تفعلين هنا؟».

«قد أطرح عليك السؤال نفسه، يا سَلَفِي المبجل»، أجابت بأسلوب يفتقر إلى الاحترام لكِبر سني؛ الاحترام الذي يتسم به دائماً الأقربون لي في أواصر الدم والمودة.

تقدم بان دان تشي بغم مفتوح وعينين جاحظتين. «لانا من جاثول!»، همس كما لو أنه يذكر اسم إلهة. بدت الغرفة المليئة بالمفارقات التاريخية غير مكترثة إلى حد ما.

سألته لانا الجاثولية: «مَن هذا الشخص؟».

أوضحت: «إنه صديقي، بان دان تشي من هورز».

فك بان دان تشي رباط سيفه ووضعها عند قدميها، وهو التصرف الذي يصعب إلى حد ما شرحه بمعايير السلوك على كوكب الأرض. إنه ليس بالضبط مجاهرة بالحب أو عرض للزواج. بل هو، بطريقه ما، شيء أكثر قدسية. فهو يعني أن هذا السيف، ما دامت الحياة مستمرة، سيكون في خدمة مَنْ وُضع عند أقدامه. قد يضع المحارب سيفه عند قدم رجل أو امرأة؛ مما يعني الولاء مدى الحياة. وإذا كان المُستهدف بالولاء امرأة، ربما يوجد في ذهن الرجل شيء آخر. وأنا على يقين أن هذه كانت حالة بان دان تشي.

قالت لانا الجاثولية: «صديقك يتصرف بسرعة مذهلة»؛ لكنها انحنت وأمسكت بالسيف وأعادته إلى بان دان تشي بحيث كان المقبض ناحيته! مما يعني أنها كانت مسرورة وقبلت عرضه بالولاء. ولو رفضت ببساطة العرض، لكانت تركت السيف في الموضع على الأرض. ولو رغبت في رفض عرضه بازدراء، لكانت أعادت له سيفه وهي ممسكة بالمقبض. ولكانت هذه بمثابة الإهانة الأخيرة والمميتة. كنت سعيدًا لأن لانا الجاثولية أعادت السيف إلى بان دان تشي والمقبض ناحيته، ذلك أنني أحب بان دان تشي. وأسعدني بوجه خاص أنها لم تُعِدْ إليه السيف وهي ممسكة بمقبضه؛ فهذا كان سيعني أنني، بوصفي أقرب أقربائها الذكور الموجودين، يجب أن أقاتل بان دان تشي؛ وأنا لا أرغب بالتأكيد في قتله.

«حسنًا»، قاطع كام هان تور، «هذا كله مثير للاهتمام ومؤثر للغاية»

وإنما ألا يمكننا تأجيله حتى نصل إلى الأرصفة».

غضب بان دان تشي، ووضع يده على مقبض سيفه. أوقفتُ أي تصرف غير لائق من جانبه بالإشارة إلى أن كام هان تور على حق تمامًا، وأن شؤوننا الخاصة يمكن أن تنتظر حتى تنتهي من مسألة المحيط، لأنها مسألة حيوية للغاية بالنسبة للآخرين جميعًا. وافق بان دان تشي؛ وبدأنا طريقنا ثانية إلى رصيف ميناء هورز القديمة.

سارت لانا الجاثولية إلى جانبي. قلتُ: «أخبريني الآن، كيف حدث أنك في حُفر هورز».

قالت: «كان ذلك منذ سنوات عديدة، عندما كنت أنت في مملكة أوكار في الشمال المتجمد. وبعدها مباشرة قام تالو - الأمير المتمرد، الذي نصبته أنت على عرش أوكار - بزيارة هيليوم. ومنذ ذلك الحين، وبقدر ما سمعت، لم يحدث أي تواصل بين أوكار وباقي برسوم».

سألتها: «وما علاقة هذا بوجودك في حُفر هورز؟».

أجابت: «لا تتعجل، سوف أصل إلى ذلك. كان الاعتقاد العام أن المنطقة المحيطة بالقطب الشمالي مأهولة بعدد قليل من السكان ولا يسكنها سوى عرق الرجال الملتحين ذوي البشرة الصفراء».

قلت: «هذا صحيح».

اعترضت قائلة: «ليس صحيحًا. تشغل أمة من الرجال الحُمر مساحة كبيرة، لكنها تبعد عن أوكار. ولديّ انطباع أنك عندما كنت هناك، لم يكن سكان أوكار أنفسهم قد سمعوا عن هؤلاء الناس».

«وجاء مؤخرًا إلى بلاط والدي، جاهان الجاثولي، رجل أحمر غريب. كان مثلنا، ومع ذلك يختلف عنا. جاء في سفينة قديمة، قال والدي إن عُمرها لا بد أن يرجع إلى عدة مئات من السنين - عفا عليها الزمن في جميع جوانبها. كان طاقمها يضم مائة محارب، عتادهم وأسلحتهم غير معروفة لنا. بدا مظهرهم شرسًا مُحبًا للحرب، لكنهم جاءوا في سلام واستقبلناهم في سلام».

«كان قائدهم، واسمه هين أبتول، متفاخرًا ثرثارًا. وكان فظًا وغير مثقف؛ لكنه حصل على كل احترام لأنه ضيفنا. قال إنه جيداك جميع الجيداك في الشمال. أعرب والدي عن اعتقاده بأن هذا هو لقب تالو».

«أجاب هين أبتول: 'كان لقب تالو إلى أن غزت بلده وجعلته تابعًا لي. والآن، أنا جيداك جميع الجيداك في الشمال. بلدي بارد وقاتم، خارج مدننا الزجاجة. وأود أن آتي إلى الجنوب، بحثًا عن أراضٍ أخرى يمكن أن يستقر عليها شعبي ويتزايد'».

«قال له والدي إن جميع الأراضي الصالحة للزراعة قد استقرت وأصبحت تنتمي إلى أمم أخرى منذ قرون».

«هز هين أبتول كتفيه بغطرسة، وقال: 'عندما أجد الأرض التي أريدها، سأغزو شعبها. أنا، هين أبتول، آخذ ما أريده من شعوب برسوم الأدنى مرتبة. وهي جميعًا، مما سمعته، شعوب ضعيفة وعاجزة؛ ليست جسورة ومحبة للحرب مثلنا نحن شعب البانار. نحن نسل مقاتل، بالإضافة إلى ما لدينا من عدد لا يُحصى من المرتزقة. يمكنني أن أقهر برسوم كلها، إذا أردت'».

«وبطبيعة الحال، أثار هذا النوع من الكلام غضب والدي؛ لكنه حافظ على أعصابه لأن هين أبتول ضيفه. وأظن أن هين أبتول تصور أن والدي خاف منه؛ فرجل من هذا النوع غالبًا ما يعتقد أن التهذيب علامة على الضعف. وأعرف أنه قال مرة لوالدي: 'أنت محظوظ لأن هين أبتول صديقك. فالأمم الأخرى قد تسقط أمام جيوشي، لكنني سأسمح لك أن تحتفظ بعرشك. ربما أطالبك بحزيرة قليلة، لكنك ستكون بأمان. وسوف يحميك هين أبتول'».

«لا أعرف كيف تحكم والدي في أعصابه. كنت غاضبة، وأهنت هذا الرجل عشرات المرات، لكنه كان غليظًا وأنا نيتًا ليدرك أنه تعرض للإهانة؛ ثم جاءت القشة الأخيرة. فقد أخبر جاهان الجاثولي أنه قرر تكريمه بأخذي، أنا لانا الجاثولية، زوجة له. كما تفاخر بالفعل أن لديه سبع زوجات!».

«قال له أبي: 'لا يمكنني مناقشة هذه المسألة معك؛ فابنة جاهان الجاثولي سوف تختار زوجها'. ضحك هين أبتول وقال: 'هين أبتول يختار زوجاته، وليس لديه أي شيء لقوله حول هذا الأمر'».

«حسنًا، لقد تمكنت من الصمود ضده إلى أقصى ما أستطيع، ثم قررت الذهاب إلى هيليوم لزيارتك أنت وديجاه ثوريس. قرر والدي أنني لا بد أن أذهب في طائرة صغيرة ومعى خمسة وعشرون من أكثر رجاله ثقة، كل أفراد حرسى الشخصى».

«وعندما سمع هين أبتول أنني سوف أغادر، قال إنه سيغادر أيضًا - وإنه عائد إلى بلده، لكنه سيرجع ثانية من أجلي. وقال: 'وأتمنى ألا

تسببوا مشكلة حول هذه المسألة؛ إذ سيصبح وضع جاثول سيئاً للغاية إن جعلت من هين أبتول الباناري، جيداك جميع جيداك في الشمال، عدواً لها».

«غادر قبل رحيلي بيوم، ولم أغير خططي بسبب ذهابه؛ لأنني كنت، في واقع الأمر، أخطط لهذه الزيارة منذ فترة».

«وما إن قطعت سفيتي بالكاد مائة هاد في اتجاه هيليوم، رأينا سفينة ترتفع من وراء حافة غابة من أشجار السورابوس^(٣٥) أمامنا. تحركت ببطء نحونا، وتعرفتُ عندئذ على خطوطها القديمة. كانت سفينة هين أبتول الباناري، الذي يطلق على نفسه جيداك جميع جيداك في الشمال».

«عندما اقتربت السفينتان بدرجة كافية، وجهت لنا سفينته التحية وأخبرنا قبطانها أن شيئاً ما قد حل بالبوصله وأنهم فقدوا اتجاه الطريق. وطلب أن يقترب إلى جانبنا ليفحص رسومنا البيانية ويعرف الاتجاه. كما قال إنه يأمل أن نتمكن نحن من إصلاح بوصله سفينته».

«لم يكن أمامنا، في ظل هذه الظروف، إلا الموافقة على طلبه؛ فالمرء لا يترك سفينة تعاني من مشكلة دون تقديم المعونة. نزلت إلى مقصورتي، نظراً لعدم رغبتي في رؤية هين أبتول».

«شعرت بتلامس السفينتين عندما جاءت سفينة بانار إلى جوار سفينتنا، ثم سمعت بعد لحظات صيحات ولعنات وأصوات معركة على سطح السفينة العلوي».

(٣٥) سورابوس: نوع من الشجر معروف في برسوم بشارة النظرة المحفوظة داخل ما يشبه قشرة الجوز - <http://barsoom.wikia.com/wiki/Sorapus> - المترجمة.

«صعدت السلم بسرعة، وملأني المشهد الذي رأيته عيناى بالغضب. كان يندفع ما يقرب من مائة محارب مسلح إلى سطح سفينتنا من سفينة هين أبتول القديمة. لم يسبق لي أن رأيت وحشية أكثر من هذه، ولا حتى من الرجال الخُضر. تجاهل الوحوش القواعد الأخلاقية المتعارف عليها في الحرب المتحضرة. كانوا يفوقونا عددًا، أربعة إلى واحد، ولم يكن لدينا أي فرصة. ومع ذلك، خاض رجال جاثول معركة نبيلة، وكبدوا مهاجميهم خسائر جسيمة؛ ولابد أن هين أبتول فقد خمسين رجلًا تمامًا قبل أن يتمكنوا من قتل آخر حارس من حراسي الشجعان».

«ألقي البانار جرحانا في البحر مع الموتى، دون أن يمنحوهم حتى رصاصة الرحمة. لم يبقَ أحد من كل طاقمي على قيد الحياة».

«اختال هين أبتول متباهيًا على متن السفينة وقال: 'لقد أخبرتك أن هين أبتول يختار زوجاته. كان من الأفضل لك ولجاثول تصديقي'».

«أجبت: 'كان من الأفضل لك ألا تسمع عن لانا الجاثولية. وتأكد من الانتقام لموتها'».

«قال: 'أنا لا أنوي قتلِك'».

«فقلت له: 'سوف أقتل نفسي قبل أن أتزوج أولسيو مثلك'. أغضبه كلامي وضربني. فقلت له: 'جبان وأيضًا أولسيو'».

«لم يضربني ثانية، لكنه أمرني بالنزول إلى أسفل. أدركت وأنا في مقصورتي أن السفينة تتحرك مرة أخرى. نظرت من الكوة، ورأيت أنه يتجه شمالًا، نحو أراضي بانار المتجمدة».

الفصل (١١)

«جاء محارب إلى مقصورتى في وقت مبكر من صباح اليوم التالي. قال: 'تقضي أوامر هين أبتول أن تذهبي فوراً إلى غرفه التحكم'». «سألته: 'ماذا يريد مني؟'».

«قال: 'الرُبان لا يفهم هذه السفينة أو أدواتها. وسوف يسألك بعض الأسئلة'».

«فكرت بسرعة. ربما يمكنني إحباط خطط هين أبتول إذا بقيت لبضع دقائق مع لوحات التحكم والأدوات، التي أعرفها كما أعرف وجه شخص محبوب؛ ولذلك تابعت المحارب إلى أعلى».

«كان هين أبتول في غرفه التحكم مع ثلاثة من ضباطه. كان وجهه أسود ومتجههم عندما دخلت. قال: 'نحن خارج مسارنا، وفقدنا اتصالنا ليلاً مع سفينتنا. وعليك إرشاد ضباطي كيف يتعاملون مع هذه الأدوات السخيفة التي أربكتهم؛ ثم غادر غرفة التحكم'».

«نظرت إلى الأفق في كل اتجاه. لم تكن السفينة الأخرى مرئية في أي اتجاه. وضعت خطتي على الفور. لو كانت السفينة الأخرى قادرة

على رؤيتنا، لما نجحتُ. وكنت أعرف أنني سأقتل نفسي، هرباً من مصير أسوأ من الموت، إذا وصلت هذه السفينة التي تسجنني إلى بانار. وقد أواجه الموت أيضاً على الأرض، وإنما ربما توجد لديّ فرصة أفضل للهرب».

«سألت أحد الضباط: 'ما المشكلة؟'».

«أجاب: 'كل شيء. ما هذا؟'».

«أوضحت: 'إنها بوصلة تحديد الاتجاه؛ ولكن، ماذا فعلت بها؟ إنها حطام'».

«لم يعرف هين أبتول ما هي، وهو ما أثار غضبه الشديد؛ فبدأ يفككها لمعرفة ماذا يوجد داخلها».

«قلت: 'لقد أدى مهمة تفكيكها جيداً. والآن يجب أن يتولى هو، أو أي شخص آخر منكم، تركيبها ثانية'».

«قال: 'نحن لا نعرف كيفية إعادة تركيبها. ألا تعرفين؟'».

«كلا، بالطبع».

«ماذا نفعل إذن؟».

«قلت له: 'ها هي البوصلة العادية. يمكنك الطيران شمالاً باستخدامها. وإنما دعوني أرى أولاً الأضرار الأخرى التي لحقت بالسفينة'».

«تظاهرتُ بأنني أفحص جميع الأدوات ولوحات التحكم الأخرى؛ وفي أثناء ذلك، فتحت صمامات خزان الطفو، وقمت بتعطيلها بحيث لا يمكن إغلاقها».

«قلت: 'كل شيء على ما يرام الآن. عليك فقط أن تستمر في اتجاه الشمال باستخدام هذه البوصلة. لن تحتاج إلى بوصلة تحديد الاتجاه'. لم أقل إنهم خلال فترة قصيرة لن يحتاجوا إلى أي بوصلة، بقدر ما يتعلق الأمر بطيران هذه السفينة. ثم نزلت إلى مقصورتي».

«كنت أعرف أن شيئًا ما سيحدث خلال فترة قصيرة جدًا، وقد حدث بالفعل. رأيت من كوة مقصورتي أننا نفقد الارتفاع - ننخفض ببطء - وعلى الفور جاء محارب آخر إلى مقصورتي وأخبرني أنني مطلوبة في غرفة التحكم مرة أخرى».

«كان هين أبتول هناك ثانية. قال لي: 'نحن نهبط' - وهذه الحقيقة كانت شديدة الوضوح دون حاجة إلى ذكرها. قلت: 'لقد لاحظت ذلك منذ فترة'».

«قال: 'حسنًا، افعلي شيئًا حيال ذلك! أنت تعرفين كل شيء عن هذه السفينة'».

«قلت: 'أعتقد أن الرجل الذي يفكر في قهر برسوم كلها لا بد أن يتمكن من قيادة سفينة فضائية دون مساعدة من امرأة'».

«تدفق الدم إلى وجهه، ثم سحب سيفه. قال هادراً: 'ستخبرننا ما المشكلة، وإلا سأشق جسمك من رأسك إلى بطنك'».

«قلت ساخرة: 'يا لك من رجل شهم دائماً! لكنني، وحتى من دون تهديدك، سوف أخبركم بالمشكلة'».

«سألني: 'حسنًا، ما هي؟'».

«عندما عبثتم بلوحات التحكم، ربما قمت أنت، أو بعض المتوحشين الأغبياء مثلك، بفتح صمامات خزان الطفو. كل ما عليك هو إغلاقها. وعندئذ لن ننخفض أكثر من ذلك، لكننا أيضًا لن نتمكن أبدًا من الارتفاع أعلى من ذلك. آمل ألا توجد جبال أو تلال عالية بين موقعنا هنا وبانار».

«سألني: 'أين الصمامات؟'».

«أشرت له إلى مكانها».

«حاولوا إغلاقها؛ لكنني كنت قد أتقنت تعطيلها بحيث لم يتمكنوا من إغلاقها، وأخذنا ننخفض نحو النباتات الصفراء في قاع البحر الميت».

«كان هين أبتول مذعورًا، وكذلك ضباطه. إنهم هنا على مسافة آلاف هاد من ديارهم - ٢٥ رجلًا قضوا الجزء الأكبر من حياتهم في مدن زجاجية دافئة في أراضي القطب الشمال، دون علم أو حتى معرفة قليلة بالعالم الخارجي أو بطبيعة الرجال والوحوش، أو غيرها من التهديدات التي قد تعترض طريقهم نحو ديارهم. بالكاد ما أمكنني أن أمتنع عن الضحك».

«ومع فقداننا الارتفاع، رأيت أبراج مدينة على مسافة شمالنا؛ كما رآها هين أبتول. قال: 'أرى مدينة. نحن محظوظون. يمكننا أن نجد ميكانيكيين لإصلاح سفيتتنا'».

«فكرت: 'نعم، لو كنت جئت من مليون سنة لوجدت الميكانيكيين».

ولن يعرفوا شيئاً عن إصلاح طائفة؛ لأن اختراعها لم يكن قد ظهر بعد؛ لكنهم كانوا يستطيعون بناء سفينة قوية تبحر في محيطات برسوم القديمة الخمسة، لكنني لم أقل أي شيء، وتركت هين أبتول يكتشف ذلك بنفسه».

«لم أذهب إلى هورز من قبل؛ لكنني عرفت أن تلك الأبراج التي ترتفع على بُعد قد تدل على تلك المدينة التي ماتت منذ زمن طويل، وتمنيت أن أسعد بمشاهدة خيبة أمل هين أبتول بعد هذه الرحلة الطويلة عديمة الفائدة».

قلت لها: «يا لك من عفرينة صغيرة، مُحبّة للانتقام».

أقرت لانا الجاثولية قائلة: «أخشى أنني كذلك؛ ولكن، هل تلومني في هذه الحالة؟».

كان عليّ أن أعترف بأنني لا أستطيع لومها، وقلت لأحثها: «أكملي القصة، أخبريني ماذا حدث بعد ذلك».

صاح كام هان تور: «ألن نصل أبداً إلى نهاية هذه الحُفرة البغيضة!». قال بان دان تشي: «أنت الذي يجب أن يعرف؛ فقد قلت إنها بُنيت وفقاً لخططك».

قاطعته كام هان تور: «أنت وقح، ويجب معاقبتك».

قال بان دان تشي: «أنت ميت منذ مليون سنة، يجب أن ترقد».

وضع كام هان تور يده على مقبض سيفه الطويل. كان غاضباً جداً ولا يمكنني أن ألومه، ولكن لم يكن لدينا وقت لنشتبك في متعة المبارزة.

قلتُ: «توقفوا! لدينا أشياء أكثر أهمية الآن من المشاجرات الشخصية. لقد أخطأ بان دان تشي، وسوف يعتذر».

نظر بان دان تشي نحوي في مفاجأة واستنكار، لكنه أعاد سيفه ثانية إلى غمده. وقال: «سوف أفعل ما يأمرني به جون كارتر، أمير هيليوم، وأمير الحرب في برسوم. وأنا أتقدم باعتذاري إلى كام هان تور». حسنًا، تكرم كام هان تور بقبول الاعتذار. وطلبت من لانا الجاثولية أن تواصل قصتها.

تابعت قائلة: «هبطت السفينة برفق على الأرض دون المزيد من الأضرار. لم يقرر هين أبتول في البداية ما إذا كان سيأخذ كل رجاله معه إلى المدينة، أو يترك بعضهم لحراسة السفينة. وقرر أخيرًا أن من الأفضل لهم جميعًا البقاء معًا، فربما يواجهون استقبالا عدائياً عند بوابات المدينة. كان يمكنك أن تتصور، من طريقة حديثه، أن بإمكان خمسة وعشرين باناري الاستيلاء على أي مدينة في برسوم».

«قلت: 'سأنتظركم هنا. فما من سبب لمرافقتكم إلى المدينة'».

«قال: 'وعندما أعود، تكونين قد ذهبت. أنت فتاة داهية، أما أنا فقليل الدهاء. سوف تأتين معنا'».

«لذلك اضطررت إلى السير بتناقل معهم على طول الطريق إلى هورز، وكانت رحلة طويلة وشاقة. وعندما اقتربنا من المدينة، أبدى هين أبتول دهشته أننا لم نشهد أي علامة على الحياة - لم نشهد أي دخان، ولا حركة على طول الطريق الذي نراه موازيًا للسهل المواجه

للمدينة؛ السهل الذي كان في يوم ما محيطاً عظيماً».

«لم يدرك أن المدينة ميتة ومهجورة إلا عندما دخلناها - على أننا سرعان ما اكتشفنا أنها ليست مهجورة تمامًا».

«تقدمنا لمسافة قصيرة إلى الشارع الرئيس، وعندئذ خرج عشرات المحاربين الخُضر من أحد المباني وهاجموا الباناريين. ربما كانت لتصبح معركة جيدة، يا جون كارتر، لو كنت أنت واثنين من المحاربين من حرسك تخوضونها ضد الرجال الخُضر؛ لكنَّ هؤلاء الباناريين ليسوا محاربين، إلا إذا كانت جميع الفرص لصالحهم. كان عددهم يفوق بالطبع عدد الرجال الخُضر، لكن ضخامة حجم المحاربين الخُضر وقوتهم وشراسة وحشيتهم منحتهم ميزة على مثل هؤلاء الخصوم الضعفاء».

«لم أشهد سوى جزء قليل من المعركة. لم يهتم بي المتحاربون. كانوا منهمكين مع بعضهم؛ وعندما رأيت قمة منحدر قريب، دخلته. وكشف آخر شيء رأيته من الاشتباك عن أن هين أبتول يركض متراجعاً بأقصى سرعته نحو السهل، ويتبعه رجاله، ووراءهم الرجال الخُضر. وأمنح كل التقدير لسرعة الباناريين؛ ربما لا يستطيعون القتال، لكنهم يستطيعون الركض».



الفصل (١٢)

واصلت لانا الجاثولية قصتها: «مع معرفتي أن الرجال الخُضر سيعودون لأخذ حيواناتهم الثوات، وبالتالي يجب أن أختبئ، نزلت عبر المنحدر، الذي قادني إلى الحُفر تحت المدينة. كنت أنوي مجرد الابتعاد بما يكفي لتجنب اكتشافني من أعلى، مجرد إيجاد مكان اختباء إذا ما نزل الرجال الخُضر إلى المنحدر بحثاً عني؛ فأنا أعرف أنهم سينزلون، ولن يتخلوا بسرعة عن فرصة القبض على امرأة حمراء لتعذيبها أو استعبادها».

«وصلت إلى نهاية المنحدر، ورأيت ضوءاً خافتاً أمامي على مسافة قصيرة عبر الممر. تصورت أن الأمر يستحق التحري؛ فلم أكن أرغب أن يمسكوا بي بشكل غير متوقع من الخلف، وربما أجد نفسي محتجزة بين خصمين. ولذلك، سرت في الممر نحو اتجاه الضوء، الذي اكتشفت أنه أخذ يتراجع. ومع ذلك واصلت الطريق إلى أن توقفت في غرفه مليئة بالصناديق».

«وعندما نظرت، رأيت مخلوقاً بشع المظهر...».

قلت: «إنه لوم تار أوو، المخلوق الذي قتلته».

«نعم»، قالت لانا، «راقبته للحظة، ولم أعرف ماذا أفعل. توجد شعلة تضيء الغرفة. حمل شعلة أخرى في يده اليسرى. وأصبح الآن في حالة تأهب. بدا أنه ينصت باهتمام، ثم تسلل خارج الغرفة».

قلت لها: «هذا عندما سمع خطواتنا أول مرة، أنا وبان دان تشي».

«أفترض ذلك»، قالت لانا الجاثولية، «على أي حال، أصبحت بمفردي في الغرفة. إذا رجعت عبر الطريق الذي جئت منه، ربما أجد نفسي بين يدي رجل أخضر. وإذا تابعت المخلوق البشع الذي رأيته للتو، قد أقع دون شك في مأزق سيئ. إذا كان بإمكانني فقط أن أجد مكاناً للاختباء إلى أن يصبح الوضع آمناً لكي أخرج من الحُفر من خلال الطريق الذي دخلت به!».

«فكرت في الصناديق. سوف يمدني أحدهم بمكان ممتاز للاختباء. وبمحض الصدفة كان أول صندوق فتحته فارغاً. تسللت إليه وأغلقت الغطاء فوقه. وأنت تعرف بقية القصة».

«وها أنتِ الآن تخرجين من الحُفر»، قلت لها، ونحن نبدأ في صعود المنحدر الذي يمكنني أن أرى في نهايته ضوء النهار».

قال كام هان تور: «سوف نرى، خلال لحظات قليلة، مياه ثروكسيوس الشاسعة».

هزرت رأسي وقلت له: «أرجو ألا تصاب بخيبة أمل كبيرة».

قال كام هان تور: «هل اتفقت أنت وصديقك على خداعي؟ لقد رأيت فقط بالأمس سفن أسطول عند مرساة أمام رصيف الميناء».

هل تعتقدان أنني أحمق، ولذا تقولان لي إنه لم يعد هناك أي محيط، والمحيط كان موجودًا بالأمس حيث كان منذ نشأة برسوم؟ المحيطات لا تختفي بين عشيه وضحاها، يا صديقي».

سرت همهمة من الموافقة من جانب تلك المجموعة الراقية من النبلاء ونسائهم الذين سمعوا حديثنا. كانوا كارهين تصديق ما لا يرغبون في تصديقه، وما يعتبرونه - كما أدركت - إهانة لذكائهم.

ضع نفسك في مكانهم. ربما تعيش في سان فرانسيسكو، ودخلت لتنام في إحدى الليالي، وعندما استيقظت وجدت شخصًا غريبًا عنك تمامًا يخبرك أن المحيط الهادئ قد جف، وعليك أن تذهب إلى هونولولو أو جوام أو الفلبين سيرًا على الأقدام. أنا على يقين أنك لن تصدقه.

وعندما وصلنا إلى الشارع الواسع المؤدي إلى الواجهة البحرية القديمة لمدينة هورز، أخذت هذه المجموعة من الرجال والنساء - الذين يرتدون أغطية رائعة - تنظر في دهشة رهيبة إلى أنقاض مدينتهم المتداعية، التي كانت فخورة في يوم ما.

سأل أحدهم: «أين الناس؟ لماذا شارع الجيداك مهجور؟».

وصاح آخر: «وقصر الجيداك! لا يوجد حراس».

وقالت امرأة: «لا يوجد أحد!».

لم يُعلّق أحد، واندفعوا بشغف نحو الرصيف. وقبل أن يصلوا إلى هناك، كانت أعينهم تحمق بالفعل عبر أنحاء صحراء قاحلة في قاع

البحر الميت، حيث تدفقت ذات يوم مياه ثروكسيوس.

واصلوا طريقهم في صمت إلى شارع أرصفة الميناء. لا يستطيعون ببساطة تصديق ما تشهد به أعينهم. لا أتذكر أبدًا أنني شعرت بالأسف تجاه أي من زملائي البشر أكثر مما شعرت به في تلك اللحظة تجاه هؤلاء المساكين.

«لقد اختفى»، قال كام هان تور بصوت بالكاد ما يمكن سماعه.

بكت امرأة، وسحب محارب خنجره وغرزه في قلبه.

وقال كام هان تور: «لقد اختفت جميع شعوبنا. اختفى عالمنا».

وقفوا ينظرون عبر ذلك الامتداد الصحراوي؛ خلفهم مدينة ميتة كانت، في آخر يوم أمس بالنسبة لهم، تزخر بالحياة والشباب والطاقة. ثم حدث شيء غريب. بدأ كام هان تور ينكمش ويتفتت أمام عيني. كان يتفكك، حرفيًا، هو وعتاده الجلدي. تناثرت أسلحته على الرصيف. وتجمع في كومة صغيرة من التراب من كان منذ لحظة كام هان تور، شقيق الجيداك.

اقتربت مني لانا الجاثولية وأمسكت بذراعي. قالت هامسة: «يا للفظاعة! انظر! انظر إلى الآخرين!».

نظرت حولي. شاهدت رجال ونساء هورز القديمة يعودون - على انفراد، أو في مجموعات من اثنين أو ثلاثة - إلى التراب الذي جاءوا منه - من التراب جئنا وإلى التراب نعود!

قال بان دان تشي: «لقد استمر هذا التفكك ببطء طوال عصور

رقادهم في حُفر هورز. ولم تمنحهم قوى لوم تار أوو الملعونة سوى مظهر من مظاهر الحياة. ومع انتهاء قوته، حدث التحلل النهائي بسرعة». قلت: «لا بد أن هذا هو التفسير. ومن الجيد أن الأمر كذلك؛ فلم يكن ممكناً على الإطلاق أن يجد هؤلاء الناس السعادة في برسوم اليوم -عالم أخذ في الاحتضار- وبالتالي على عكس عالم برسوم المجيد في قمته، ومحيطاته الخمسة، ومدنه الكبيرة، وشعوبه السعيدة المزدهرة التي أطاحت نهائياً -إذا قال التاريخ الحقيقة- بجميع أمراء الحرب ومروجيها، وأقامت السلام من القطب إلى القطب».

قالت لانا الجاثولية: «لا، لم يكن بإمكانهم أبداً الشعور بالسعادة مرة أخرى. ألم تلاحظ مدى وسامتهم؟ كما كان لون بشرتهم مثل لون بشرتك يا جون كارتر. وباستثناء شعرهم الأشقر، ربما كانوا من كوكبك الأرضي».

قلت لها: «يوجد على كوكب الأرض العديد من الناس ذوي الشعر الأشقر. ربما بعد تزواج جميع أعراق كوكب الأرض للعديد من العصور، يتطور عرق من الرجال الحُمر، كما يوجد في برسوم. من يدري؟».

وقف بان دان تشي ينظر بهيام نحو لانا الجاثولية. كان من الواضح أن الوضع مؤلم، ويمكنني أن أرى انزعاج لانا رغم أنه يثير سرورها.

قلت له: «تعال. لن تحصل على أي شيء بوقوفك هنا. توجد طائرتي في الساحة القريبة، ويمكنها أن تحمل ثلاثة أفراد. ألن تأتي معي، بان دان تشي؟ يمكنني أن أؤكد ترحيب هيليوم بك، والحصول

على منصب ما في جيش الجيداك».

هزبان دان تشي رأسه، وقال: «يجب أن أعود إلى القلعة».

قلت لتذكيره: «إلى هوو ران كيم والموت».

قال: «نعم، إلى هوو ران كيم والموت».

قلت: «لا تكن أحمق، بان دان تشي. لقد برأت نفسك بشرف. لا يمكنك قتلي، وأنا أعلم أنك لن تقتل لانا الجاثولية. سنذهب ومعنا سر شعب هورز المنسي، بغض النظر عما ستفعله؛ لكنك يجب أن تعلم أن كلينا لن نستخدم معرفتنا لإلحاق الأذى بشعبك. لماذا تعود إذن إلى موتك دون جدوى؟ تعال معنا».

نظر في عيني لانا الجاثولية مباشرة، ثم سألها: «هل ترغبين أن أذهب معكما؟».

أجابت: «إذا كان البديل يعني وفاتك، فإنني أرغب أن تأتي معنا».

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتي بان دان تشي، ويبدو أنه رأى شعاعاً من الأمل في جوابها غير المُلزم، حيث قال لي: «أشكرك، جون كارتر. سوف أذهب معك. وسيفي لك دائماً».



الفصل (١٣)

لم أجد أي صعوبة في تحديد مكان الساحة التي هبطت فيها طائرتي وتركتها هناك. وعندما اقتربنا منها، رأيت عددًا من الرجال يرقدون موتى في الشارع. كانوا ممددين في أوضاع بشعة للموت. كانت أجساد بعضهم مشقوقة من رؤوسهم إلى بطونهم. قلت: «هذا من فعل الرجال الخُضر».

قالت لانا الجاثولية: «هؤلاء كانوا رجال هين أبتول».

أحصينا ١٧ جثة قبل أن نصل إلى مدخل الساحة. نظرت إلى الساحة، ثم توقفت مفزوعًا - لم تكن طائرتي هناك؛ وإنما يرقد بالقرب من مكانها خمسة قتلى من الباناريين.

قلتُ: «لقد اختفت».

قالت لانا الجاثولية: «فعلها هين أبتول. ترك الجبان رجاله وهرب في طائرتك. لن ينجح سوى اثنين من المحاربين في مرافقته».

قلت: «ربما كان من الغباء أن يبقى. فقد كان ليوواجه نفس الموت الذي واجهوه».

ردّت قائلة: «في ظروف مماثلة، كان يمكن اعتبار جون كارتر أحمق أيضًا».

ربما كلامها صحيح؛ فأنا في واقع الأمر أحب القتال. أعتقد أنني على خطأ، لكنني لا أستطيع كبح جماح نفسي. فالقتال هو مهنتي التي أتذكر ممارستها طوال حياتي كلها. لقد حاربت خلال الحرب الأهلية في الجيش الكونفيدرالي. وقاتلت في حروب أخرى قبل ذلك. لن أثقل عليك بسيرتي الذاتية. يكفيني القول إنني كنت دائمًا أقاتل. أنا لا أعرف كم عمري. ولا أتذكر طفولتي. أبدو دائمًا في حوالي الثلاثين من عمري. وما زلت كذلك. كما أنني لا أعرف من أين أتيت، ولا إذا كنت وُلدت من امرأة مثل الرجال الآخرين. فأنا ببساطة، وبقدر ما أعرف، موجود دائمًا. ربما أنا تجسيد لمحارب من عصر آخر، ومات منذ زمن طويل. مَنْ يعرف؟ وقد يفسر ذلك قدرتي على عبور الفراغ البارد المظلم في الفضاء الذي يفصل بين كوكب الأرض والمريخ. لا أعرف.

حطّم بان دان تشي تعويذة استغراقي في التفكير الخيالي، عندما سألني: «وماذا الآن؟».

قلت: «أمامنا مسافة طويلة نمشيها؛ إنها ٤٠٠٠ هاد تمامًا من هنا إلى جاثول، أقرب مدينة صديقة». وهو ما يعادل ١٥٠٠ ميل - مسافة طويلة جدًا للسير.

سأل بان دان تشي: «وليس أمامنا سوى هذه الصحراء للبحث عن القوت؟».

قلت له: «هناك تلال أيضًا. كما يوجد القليل من الوديان الصغيرة

العميقة، حيث الرطوبة وحيث تنمو أشياء يمكن أن نأكلها. لكننا قد نواجه الرجال الخُضر، وتوجد بالتأكيد حيوانات البانث والوحوش المفترسة. هل أنت خائف، بان دان تشي؟».

قال: «نعم، وإنما على لانا الجاثولية فقط. إنها امرأة - وهذه ليست مغامرة لامرأة. ربما لا تستطيع الاحتمال».

ضحكت لانا الجاثولية، وقالت: «أنت لا تعرف نساء هيليوم، بل ومن تتدفق في عروقها دماء ديجاه ثوريس وجون كارتر. ربما ستعرف قبل أن نصل إلى جاثول». انحنى وجردت أحد القتلى الباناريين من عتاده وأسلحته وارتدتها. كان تصرفها أكثر بلاغة من الكلمات.

قال بان دان تشي ضاحكًا: «نحن الآن ثلاثة مبارزين جيدين؛ إلا أننا كنا نعرف أنه لم يكن يضحك على لانا جاثولية وإنما إعجابًا بها.

وهكذا انطلق ثلاثتنا على درب تلك الرحلة الطويلة نحو جاثول البعيدة - أنا ولانا الجاثولية، من دم واحد وعالمين، وبان دان تشي من دم آخر وعالم منقرض. ربما كنا نبدو مختلفين تمامًا، وإنما لم يكن هناك ثلاثة أشخاص أكثر انسجامًا معًا - على الأقل في البداية.

واصلنا لمدة خمسة أيام دون رؤية أي شيء حي. اعتمدنا في غذائنا على حليب نبات المانتاليا^(٣٦) الذي ينمو دون ماء، بتقطير كميات وفيرة من الحليب من منتجات التربة، فضلًا عن اعتمادنا على رطوبة

(٣٦) مانتاليا: نوع من الأشجار كبيرة الحجم، تُسمى أحيانًا «نبات الحليب»، وتوجد في بساتين على طول قيعان البحر الميت. تنمو عمليًا من دون ماء، وتفرز كمية وفيرة من عصارة تشبه الحليب - <https://barsoom.fandom.com/wiki/Mantalia> - المترجمة.

الهواء الطفيفة، وأشعة الشمس. يمنح النبات الواحد من هذا النوع ثمانية أو عشرة كوارت^(٣٧) من الحليب يوميًا. ومن تدابير العناية الإلهية الرحيمة، أن هذا النبات يتناثر عبر قيعان البحر الميت، مانحًا الطعام والشراب لكل من البشر والوحوش.

ربما لقي رفيقاي حتفهما من العطش أو الجوع إن لم أكن معها، فكلاهما لا يعرف أن هذه النباتات التي نمر بها أحيانًا ومظهرها عادي تمامًا، تحمل في سيقانها وفروعها هذا السائل الذي يمنح الحياة.

كنا نتوقف للراحة في منتصف النهار وننام خلال الجزء الأوسط من الليل، وبتناوب الحراسة - وأصرت لانا الجاثولية أن تتقاسم معنا هذه المهمة.

وعندما استلقينا للراحة في الليلة السادسة، كانت لانا مسؤولة عن أول نوبة في الحراسة؛ ونظرًا لأن نوبتي كانت الثانية، فقد أخذت استعدادي للنوم على الفور. جلس بان دان تشي، وكان يتحدث مع لانا. وخلال غفوتي، سمعته يقول: «هل لي أن أدعوك أميرتي؟».

هذا في برسوم يُعادل اقتراح الزواج على كوكب الأرض. حاولت أن أغلق أذني وأنام، لكنني تمكنت من سماع ردها.

قالت: «أنت لم تقا تل من أجلي حتى الآن، ولا يجوز لأي رجل أن يتقدم للزواج بامرأة من هيلوم إلى أن يثبت بسلاحه أنه جدير بها».

قال: «لم تتوفر أي فرصة للقتال من أجلك».

(٣٧) الكوارت: وحدة لقياس الحجم، والكوارت يعادل رُبع جالون - المترجمة.

قالت بإيجاز: «نتنظر إذن حتى تأتي الفرصة. والآن ليلة سعيدة».

أعتقد أن حديثها معه كان مقتضباً للغاية. بان دان تشي زميل لطيف، وأنا على يقين أنه سيقدم نفسه بشكل جيد عندما تتاح الفرصة. لم يكن عليها أن تعامله كما لو كان حثالة. لكن للنساء طرقهن الخاصة. وهي، كقاعدة، طرق غير سارة؛ وإنما يبدو أنها الطرق الصحيحة للفوز بالرجال. ولذلك افترضت أن الأمر على ما يرام.

سار بان دان تشي خطوات قليلة، ثم استلقى على الجانب الآخر من لانا الجاثولية. كنا نحرس دائماً على إبقائها بيننا في جميع الأوقات، لتوفير حماية أكبر لها.

استيقظت في وقت لاحق على صوت صراخ وهدير بشع. وقفت على الفور، ورأيت لانا الجاثولية على الأرض ويهاجمها بانث ضخمة. وفي تلك اللحظة، قفز بان دان تشي على ظهر الحيوان الجبار آكل اللحم.

حدث ذلك كلة بسرعة مذهلة بحيث بالكاد ما أمكنني تصور الأمر برمته. فقد رأيت بان دان تشي يسحب الوحش الضخم في محاولة لإبعاده عن جسم لانا، وفي الوقت نفسه يغرز خنجره في جانب الوحش. كان البانث يزأر ببشاعة وهو يحاول الاشتباك مع بان دان تشي، مع احتفاظه في الوقت نفسه بقبضته على لانا.

قفزت مقترباً وسيفي القصير في يدي، وكان من الصعب العثور على فتحة دون تعريض لانا أو بان دان تشي للخطر. لا بد أنه كان مشهداً مُسلِّياً للغاية؛ فقد كنا نحن الأربعة مشتبكين على الأرض، مختلطين

جميعاً، والبانث يزأر، وبان دان تشي يلعن مثل فارس في لحظة لا يحاول خلالها أن يخبر لانا الجاثولية كم كان يحبها.

تمكنت أخيراً من العثور على فتحة، وغرزت سيفي القصير في قلب البانث. أطلق الوحش صرخة نهائية وقشعريرة متشنجة، ثم تدرج على الأرض ورقد ساكناً.

عندما حاولت رفع لانا من الأرض، قفزت واقفة. صاحت: «بان دان تشي! هل هو على ما يرام؟ هل أُصيب؟».

قال بان دان تشي: «أنا على ما يرام بالطبع؛ ولكن ماذا عنك؟ ما مدى سوء إصابتك؟».

«أنا لست مصابة على الإطلاق. أنت أبقيت الوحش مشغولاً عني، بحيث لم يكن لديه فرصة لإصابتي بأي جرح».

صاح بان دان تشي بحرارة: «شكراً لأسلافي!». وفجأة التفت إليها قائلاً: «والآن، لقد حاربت من أجلك. ما إجابتك؟».

هزت لانا الجاثولية كتفيها الجميلين وقالت: «أنت لم تقا تل رجلاً... إنه مجرد بانث صغير».

حسنًا، أنا لا أفهم النساء أبداً.



الكتاب الثاني
قراصنة برسوم السود

الفصل (١)

في حياتي السابقة على الأرض، أمضيت على سهوة الفرس وقتاً أكبر مما أمضيته سيراً على الأقدام؛ ومنذ أن وصلت إلى كوكب المريخ، أمضيت الكثير من الوقت على سهوة وحوشه أو على السفن والطائرات السريعة لأسطول هيليوم البحري. وبالتالي، لم أكن أتطلع، بطبيعة الحال، إلى أي قدر كبير من المتعة للسير مسافة ١٥٠٠ ميل. ومع ذلك، لا بد من القيام بذلك؛ وعندما يوجد شيء يجب القيام به، فإن أفضل خطة هي البدء فيه، والاستمرار، وإنجازه في أسرع وقت ممكن. تقع جاثول جنوب غرب هورز. ومع عدم وجود بوصلة أو معالم، توجهت أكثر - كما اكتشفت لاحقاً - نحو الغرب. ولو لم أفعل ذلك، لكننا قد وفرنا على أنفسنا بعض التجارب المروعة. ومع ذلك، وإن كانت حياتي السابقة تمثل أي معيار، كان يمكننا أن نجد العديد من المغامرات الأخرى.

قطعنا حوالي ٢٥٠٠ هاد من الـ ٤٠٠٠ هاد التي تفصل بيننا وبين وجهتنا - أو على الأقل بقدر ما أمكنني حسابه - بحد أدنى من الحوادث غير المرغوب فيها. هاجمتنا حيوانات البانث مرتين، لكننا استطعنا

قتلهم قبل أن يتمكنوا من إيذائنا؛ كما هاجمتنا مجموعة من حيوانات الكالوت الوحشية، لكننا لحسن الحظ لم نلتق بأي كائن بشري - فهم أخطر مخلوقات على برسوم. فهنا، خارج بلدك أو بلدان حلفائك، يُعتبر كل رجل عدوك ويعتزم تدميرك؛ وهذا ليس غريباً في عالم يحتضر، تضاءلت موارده الطبيعية إلى نقطة التلاشي، وبالكاد ما يكفي الهواء والماء لتلبية متطلبات السكان الحاليين.

سرنا مساحات شاسعة على قاع البحر الميت، مغطاه بنباتات صفراء، وتتخللها في بعض الأحيان تلالاً منخفضة. وأحياناً كنا نجد في الوديان المظلمة، جذوراً ودرنات صالحة للأكل. بيد أن الجزء الأكبر من غذائنا اعتمد على السائل الشبيه باللبن الذي تنتجه شجيرة المانتاليا التي تنمو على قاع البحر الميت، على الرغم من أن غزارته ليست كبيرة. حاولنا تتبع الأيام، وواجهنا في اليوم السابع والثلاثين مشكلة خطيرة بحق. كنا في الزود الرابع، أي حوالي الساعة الواحدة بعد الظهر بتوقيت كوكب الأرض، عندما رأينا على بُعد وإلى يسارنا ما تعرفت عليه فوراً: قافلة من المريخييين الخضر.

ونظراً لأنه لا يمكن تصور مصير أسوأ من الوقوع في أيدي هؤلاء الوحوش القساة، أسرعنا على أمل عبور طريقهم قبل أن يكتشفونا. استفدنا مما منحه لنا ما يُغطي قاع البحر، وكان قليلاً جداً؛ وأجبرنا أحياناً على الزحف على بطوننا - وهو الفن الذي تعلمته من الأباتشي^(٣٨) في

(٣٨) الأباتشي: مجموعة من قبائل الهنود الحمر، السكان الأصليين لأمريكا الشمالية - المترجمة.

أريزونا. كنت في المقدمة، ووجدت أمامي هيكلًا عظيمًا بشريًا. كان
يتفتت إلى تراب، وهو ما يدل على أنه لا بد يرقد هنا منذ سنوات عديدة؛
ذلك أن رطوبة المريخ منخفضة للغاية، وبالتالي تتفكك الهياكل العظمية
ببطء شديد. عثرت على هيكل عظمي آخر بعد حوالي ٥٠ ياردة، ثم
رأينا العديد منهم. كان مشهدًا مروّعًا، لم أستطع تخمين ما يُنبئ به.
تصورت في البداية أنهم ربما خاضوا معركة هنا، لكنني عندما رأيت أن
بعض هذه الهياكل العظمية جديدة ومُصانة جيدًا وبعضها الآخر قد بدأ
يتفكك بالفعل، أدركت أن هناك عدة سنوات تفصل بين موت هؤلاء
الرجال.

شعرت أخيرًا أننا اجتزنا خط مسيرة القافلة، وسوف نأمن نسبيًا
بمجرد أن نجد مكانًا للاختباء. وعندئذٍ رأيت حافة صدع مفتوح.

لم يسبق لي أن رأيت شيئًا كهذا، باستثناء الوادي الكبير في
كولورادو. كان بمثابة واد متصدع كبير، يبلغ اتساعه حوالي عشرة
أميال، وربما يصل عمقه إلى ميلين، ويمتد لأميال في الاتجاهين.

توجد نتوءات صخرية على حافة الصدع، اختبأنا خلفها. تناثرت
حولنا هياكل عظمية بشرية أكثر مما شاهدناه من قبل. ربما كانت
تحذيرًا؛ لكنها على الأقل لن تضر بنا، ولذا حولنا انتباهنا إلى القافلة
المقتربة، والتي بدأت الآن تغير اتجاهها قليلًا وتأتي نحونا مباشرة.
رقدنا نراقبهم، على أمل أن يُغيروا اتجاههم مره أخرى ويبعدوا عنا.

عندما نُقلْتُ لأول مرة بأعجوبة إلى المريخ، أمسك بي حشد من
الرجال الخُضر، وعشت معهم لفترة طويلة، بحيث أصبحت أعرف

عاداتهم جيداً. ولذلك، كنت على يقين أن هذه القافلة تقوم بإحدى رحلاتها الطويلة كل خمس سنوات إلى الحاضنة الخفية لبيضها.

تضع كل أنثى مريخية بالغة حوالي ثلاث عشرة بيضة كل عام؛ ويخفون البيض الذي يصل إلى الحجم والوزن والثقل النوعي الصحيح في تجاويف قبو تحت الأرض، حيث درجة الحرارة منخفضة جداً بالنسبة للحاضنة. ويقوم مجلس من عشرين شيخ قبيلة بفحص هذا البيض بعناية كل عام، ويحتفظون بحوالي ١٠٠ بيضة من أكثر البيض كمالاً، ويدمرون الباقي. وبعد خمس سنوات، يختارون حوالي ٥٠٠ بيضة جيدة من بين آلاف البيض الذي كانوا قد جلبوه؛ ثم يضعون البيض في حاضنات مُحكمة الإغلاق، إلى أن يفقس بفعل أشعة الشمس بعد خمس سنوات أخرى.

يفقس جميع البيض ما عدا حوالي ١٪، ويتركون هذه النسبة من البيض عندما يغادر الحشد الحاضنة. ولا يعرف أحد مصير هؤلاء المريخين الصغار إذا فقس بيض هذه المجموعة المهجورة. فهم غير مرغوبين؛ لأن ذريتهم قد ترث وتنقل النزعة إلى فترة حضانة طويلة، وبالتالي يزعمون النظام الذي استمر لعصور، ويسمح للمريخين البالغين تحديد الوقت المناسب للعودة إلى الحاضنة بحوالي ساعة.

تُبنى الحاضنات في أماكن بعيدة منعزلة، حيث لا توجد أو تقل احتمالات اكتشافها من جانب قبائل أخرى. فاكشافها يُعد كارثة، لأنه يعني عدم وجود أي أطفال في المجتمع المحلي لمدة خمس سنوات أخرى.

أما قافله المريخين الخضر، فهي شيء رائع وبربري تجدر رؤيته. ضمت هذه القافلة حوالي ٢٥٠ عربة هائلة ذات ثلاث عجلات، تجرها حيوانات ضخمة معروفة باسم زيتيدار^(٣٩)، ويوحى مظهرها أن أيًا منها يمكنه بسهولة جر قطار بعد تحميله بالكامل.

كانت العربات نفسها ضخمة، واسعة ومزينة بشكل رائع؛ تجلس في كل منها امرأة مريخية مُحملة بالحلي المعدنية والجواهر والحريز والفراء؛ ويمتطي ظهر كل زيتيدار سائق مريخي شاب، يجثم فوق أغطية رائعة. ويركب أمام القافلة حوالي ٢٠٠ محارب، كل خمسة على جانب واحد؛ وعدد مماثل وراء القافلة. ويحيط بالعربات من جانبيها حوالي خمسة وعشرين أو ثلاثين محاربًا راكبًا.

ويصعب بلغة كوكب الأرض وصف الحيوانات التي يمتطيها المحاربون. يبلغ ارتفاع كل منها حوالي ١٠ أقدام إلى الكتف؛ ولدى كل منها أربع أرجل على كل جانب؛ وذيل مسطح عريض، حججه عند الطرف أكبر منه عند المنبت، ويمتد مباشرة خلفه عندما يجري؛ وفم مفتوح يقسم رأسه من أنفه إلى عنقه الطويل الضخم.

وهذه الحيوانات، مثلها مثل أسياهم الضخام، خالية تمامًا من الشعر، ولونها مثل اللوح الداكن، وجلدها أملس ومصقول. أما بطونها فلونها أبيض، ويتدرج لون سيقانها بظلال من لون الكتفين فالوركين

(٣٩) الزيتيدار: حيوان مريخي يشبه الفيل، ويُعتبر من حيوانات الجر الثقيلة حيث يُستخدمه المريخيون غالبًا في حمل الأحمال الكبيرة لمسافات شاسعة وجر المركبات الضخمة

<http://barsoom.wikia.com/wiki/Zitidar> - المترجمة.

وصولاً إلى اللون الأصفر الزاهي عند الأقدام. والأقدام نفسها شديدة
الامتلاء وبلا أظافر. ولا ترتدي هذه الحيوانات أي لجام، مثلها مثل
الزيتيدار، وإنما يمكن توجيهها تمامًا عن طريق التخاطر.

وخلال مشاهدتنا لهذا الموكب الرائع والمثير حقاً للإعجاب،
وجدناه يُغير اتجاهه ثانية. تنفست الصعداء عندما رأيتهم يتعدون
عنا. يبدو أنهم شاهدوا الصدع، من فوق ظهور حيواناتهم الضخمة،
ويتحركون الآن على طريق يوازيه.

لكن شعوري بالراحة كان قصيراً. فعندما كان الجزء الخلفي من
القافلة على وشك الابتعاد عنا، كشفنا أحد المحاربين.



الفصل (٢)

استدار الزميل فوق الثوات على الفور، وصاح منادياً رفاقه، وتحرك نحونا راكضاً. قفزنا على أقدامنا ممتشقين سيوفنا ومتوقعين الموت، وإنما على استعداد لبيع حياتنا غالياً.

وبعد وقوفنا بلحظة، صاحت لانا: «انظروا! يوجد هنا درب يقود إلى الوادي في أسفل».

نظرت حولي. وقفنا، وتأكدتُ تمامًا من رؤية بداية درب ضيق وشديد التحدر يؤدي إلى أسفل، إلى حافة الهاوية. سنكون آمنين إذا استطعنا الوصول إليه، ذلك أن حيوانات الثوات والزيتيدار الضخمة التي يمتطيها الرجال الخضر لا يمكنها عبور هذا الدرب. ربما لم يكن الرجال الخضر على بينة من وجود هذا الصدع قبل أن يتوجهوا نحوه فجأة، وهذا ممكن تمامًا؛ لأنهم يبنون حاضناتهم في أماكن قفر غير مأهولة وغير مُستكشفة، وتبعد أحياناً بمسافة ألف ميل عن أراضيهم.

ركض ثلاثتنا -أنا، ولانا، وبان دان تشي- نحو الدرب. ألقيت نظرة من فوق كتفي ورأيت المحارب الأول يكاد يصل إلينا، وأنا لن نتمكن

جميعاً من الوصول إلى الدرب. ولذلك ناديت على بان دان تشي ليسرع مع لانا. توقف كلاهما واستدارا نحوي.

قلت لهما: «هذا أمر. استدارا ثانية على مضض، وواصلتا طريقهما في اتجاه نهاية الدرب، بينما وقفت أنا وواجهت المحارب.

أوقف المحارب حيوانه الثوات وترجل، ويبدو أنه كان يود الإمساك بي وليس قتلي؛ لكنني لم أكن مستعداً أن يمسكوا بي ويعذبوني، ثم يقتلونني في النهاية. من الأفضل أن أموت الآن.

سحب المحارب سيفه الطويل وهو يتقدم نحوي، وفعلت بالمثل. لم أكن لأقلق كثيراً لو ركض نحوي ستة من زملائه على حيواناتهم الثوات الضخمة، فلا يماثلني في المباراة أي مربي أخضر فقسته بيضة من قبل. حتى حجمهم الضخم لا يعطيهم أي ميزة، ربما يعوقهم؛ فحركاتهم بطيئة وثقيلة مقارنة بخفة حركتي كرجل من كوكب الأرض. وعلى الرغم من أن حجم أي منهم يماثل ضعف حجمي، فلا تقل قوتي عن قوة أي منهم. إن عضلات رجل كوكب الأرض لم تنافس قوة الجاذبية، منذ فجر الإنسانية، من أجل لا شيء. لقد نمت واشتدت؛ لأن الجاذبية تتحدى كل حركة نقوم بها.

كان خصمي شديد الثقة في نفسه بدرجة كبيرة، وهو يواجه مخلوقاً يبدو ضئيلاً مثلي، بحيث إنه تقدم نحوي للهجوم مثل ثور جامح.

رأيت أنه يحمل سيفه على نحو يوضح أنه ينوي تسديد ضربة إلى رأسي بالجانب المسطح من السيف، بحيث يفقدني الوعي ويتمكن من الإمساك بي بسهولة أكبر. ولكن، عندما سقط السيف لم أكن هناك؛

فقد خطوات إلى اليمين مبتعدًا عن طريقه، ووجهت في الوقت نفسه طعنة إلى قلبه. كانت طعنتي يمكن أن تخترقه أيضًا، إن لم يتأرجح أحد ذراعيه الأربع نحو رأس نصلي قبل أن يصل إلى جسده. لقد أصبته بجرح حاد. زأر غاضبًا، ثم التفت وتوجه نحوي ثانية.

كان أكثر حذرًا هذه المرة؛ لكن ذلك لم يغير من الأمر شيئًا. سوف يموت لا محالة؛ لأنه يختبر مهارته ضد أفضل مبارز في عالمين.

اقترب الآن المحاربون الستة الآخرون. لم يكن هذا الوقت مناسبًا لرياضة المبارزة. وجهت له ضربة قوية واخترق سيفي قلبه. نظرت نحو لانا. وعندما تأكدت أنها آمنة، استدرت وركضت على طول حافة الصدع. وفعل المحاربون الستة الخضر ما توقعته تمامًا. ربما فصلوا أنفسهم عن الحرس الخلفي لممارسة رياضة القبض على رجل أحمر لتعذيبه أو زجه في مبارياتهم الوحشية. تجمعوا معًا وتحركوا ورائي، دون أن يصدر من الأقدام المبطنة الخالية من الأظافر لحيواناتهم الثقيلة أي صوت على النباتات الصفراء الشبيهة بالطحالب في قاع البحر الميت. رفعوا رماحهم، وهم يقتربون مني، وكل منهم يحاول أن يقتلني أو يمسك بي. شعرت مثلما قد يشعر الثعلب في مطاردة للثعالب.

توقفت فجأة، واستدرت، ثم ركضت نحوهم. لا بد أنهم ظنوا أن الخوف أصابني بالجنون؛ لأنهم بالتأكيد لا يمكنهم معرفة ما يدور في ذهني، وأناني هربت منهم لمجرد إغرائهم للابتعاد عن بداية التدريب المؤدي إلى الوادي. كانوا على وشك الانقضاض عليّ عندما قفزت فوقهم تمامًا، عاليًا في الهواء، وتجاوزتهم. ساعدتني مرة أخرى، في

هذه الحالة الطارئة، قوتي الكبيرة وخفة حركتي وجاذبية المريخ الأقل من جاذبية كوكب الأرض.

وبمجرد نزولي على الأرض، اندفعت نحو بداية الدرب. وعندما تمكن المحاربين من إيقاف ركوباتهم، استداروا وركضوا ورائي؛ ولكن بعد فوات الأوان. يمكنني التفوق علي أي ثوات. على أن مشكلتي الوحيدة هي أن شعوري بالفخر يجعلني كارهاً للركض؛ وإنما -مثل الزميل الذي كان فخوراً بالقتال- يجب أن أركض أحياناً، كما في هذه الحالة عندما تكون سلامة الآخرين على المحك.

وصلت إلى بداية الدرب خلال فترة طويلة، وأسرعت إلى أسفل وراء لانا وبان دان تشي، ووجدتهما في انتظاري.

نظرت إلى أعلى خلال هبوطنا، ورأيت المحاربين الخُضر عند حافة الصدع ينظرون نحونا. خَمَّنت ما يمكن أن يحدث، ولذا سحبت لانا إلى ملاذ عند الحافة المتدلية. تبعنا بان دان تشي عندما بدأ رصاص الراديوم ينفجر بالقرب منا.

تُصنع البنادق التي يحملها رجال المريخ الخُضر من معدن أبيض ممزوج بالخشب، وهو عبارة عن إنتاج خفيف للغاية وشديد الصرامة، ويحظى بتقدير كبير على المريخ، لكنه غير معروف على الإطلاق لسكان كوكب الأرض. أما معدن أنبوب البندقية، فهو سبيكة تتكون أساساً من الألومنيوم والصُّلب؛ وقد تعلموا تحويلها إلى صلابة تتجاوز بكثير الصُّلب الذي نعرفه. وزن هذه البنادق قليل نسبياً؛ ومع العيار الصغير، فإن مقذوفات الراديوم المتفجرة التي يستخدمونها وطول

أنبوبها الكبير، تصبح مميتة إلى أقصى حد، وعلى نطاقات لا يمكن تصورها على كوكب الأرض.

تنفجر المقذوفات التي يستخدمونها عندما يوجهونها لضرب شيء؛ إذ إنها مغطاة بطلاء خارجي مُعتم، ينكسر نتيجة للتصادم، كاشفاً عن أسطوانة زجاجية، صلبة تقريباً، توجد في نهايتها الأمامية جسيمات دقيقة من مسحوق الراديوم^(٤٠).

وينفجر هذا المسحوق بمجرد أن تلمسه أشعة الشمس، على الرغم من انتشارها؛ ولا يمكن أن يصمد أي شيء أمام عنف هذا الانفجار. وقد لاحظت خلال المعارك الليلية عدم وجود تلك الانفجارات، بينما يمتلئ الصباح التالي مع شروق الشمس بانفجارات حادة من صواريخ أُطلقت في الليلة السابقة. وإنما، كقاعدة عامة، تُستخدم المقذوفات غير المنفجرة بعد الظلام.

شعرت أنه من الأسلم أن نظل حيث كنا بدلاً من كشف أنفسنا إذا حاولنا الهبوط، كما شككت كثيراً أن المحاربين الخُضر الضخام يمكن أن يتبعونا إلى أسفل ذلك المنحدر الحاد سيراً على الأقدام؛ فالدرب كان ضيقاً للغاية بالنسبة لأجسادهم الكبيرة، كما أنهم يكرهون التحرك سيراً على الأقدام.

(٤٠) لقد استخدمت كلمة راديوم لوصف هذا المسحوق؛ لأنني أعتقد - على ضوء الاكتشافات الأخيرة على كوكب الأرض - أن الراديوم يشكل الأساس في هذا الخليط. على أن كابتن جون كارتر يستخدم دائماً في مخطوطاته الاسم المُستخدم في لغة هيلوم المكتوبة، وهو يُنطق بالهيو وغليفية التي تصعب تهجتها، كما أن ذلك عديم الفائدة - [ملحوظة من محرر النسخة الإنجليزية الأصلية].

نظرت بعد بضع دقائق، ووجدت أنهم - على ما يبدو - قد غادروا.
بدأنا نهبط إلى الوادي. وتمنينا عدم مواجهة أي خطر آخر بمقابلة
حشد كبير من المخلوقات القاسية والوحشية.



الفصل (٣)

كان الدرب شديد الانحدار ومحفوظًا بالمخاطر في معظم الأحيان؛ لأنه يتعرج أسفل منحدر عمودي تقريبًا. قد نخطو أحيانًا، عند الحافة، على هيكل عظمي لرجل؛ ومررنا على ثلاث جثث في مراحل مختلفة من التحلل، لرجال ماتوا من فترة قريبة.

سألني بان دان تشي: «ماذا عن هذه الهياكل العظمية والجثث؟».

أجبت: «أنا في حيرة. عدد الذين لقوا حتفهم على الدرب أكبر من عدد أولئك الذين رأينا بقاياهم هنا. وسوف تلاحظ أنها جميعًا توجد عند الحواف، حيث استقرت بعد سقوطها. ومن المؤكد أن عددًا أكبر قد انحدر إلى سفح الهاوية».

سألته لانا: «ولكن كيف يمكننا تصور طريقة موتهم؟».

قال بان دان تشي: «ربما تفشى وباء لمرض ما في الوادي، ومات هؤلاء المساكين أثناء محاولتهم الهرب».

أجبت: «ليس لدي أدنى فكرة عن تفسير موتهم. نحن نرى بقايا عتاد على معظمهم، وإنما لا توجد أسلحة. وأنا أميل إلى أن بان دان

تشي على حق في افتراضه أنهم كانوا يحاولون الهرب، لكننا لن نعرف
أبدًا إذا كان هروبهم من وباء لمرض أم من شيء آخر».

استطعنا رؤية مشهد ممتاز للوادي أدناه، من موقعنا غير المستقر
على ذلك الدرب المحفوف بالمخاطر. كان الوادي مستويًا ومرويًا
بشكل جيد. كما كانت الغابات تكسر رتابة العشب القرمزي الذي ينمو
على سطح المريخ أينما يوجد الماء، مما جعل المشهد برمته مذهلاً
لمن يعرف هذا الكوكب الآخذ في الاحتضار.

توجد محاصيل وأشجار ونباتات أخرى على طول القنوات المائية،
وتوجد مروج وحدائق في المدن التي يتوفر فيها الري؛ على أنه لم يسبق
لي أن رأيت مثل هذا المشهد إلا في وادي دور بالقطب الجنوبي، حيث
يقع بحر كوراس المفقود. ذلك أننا لم نشهد مجرد امتداد واسع لوادٍ
خصب، بل رأينا أيضًا الأنهار وبحيرة واحدة على الأقل على مسافة؛ ثم
لفتت لانا انتباهنا إلى مدينة بيضاء لامعة، ذات أبراج شاهقة.

قالت: «يا لها من مدينة جميلة. تُرى ما نوع الناس الذين يعيشون
فيها؟».

قلت: «ربما أناس لا يحبون شيئًا أكثر من ذبحنا».

قال بان دان تشي: «نحن الأروفار لسنا من هذا النوع، نحن نكره
قتل الناس. لماذا تكره جميع الأعراق الأخرى على المريخ بعضها؟».

قلت: «لا أعتقد أن الكراهية هي التي تجعلهم يريدون قتل بعضهم.
بل أصبح ذلك بمثابة العُرف. فبعد جفاف البحار منذ عصور طويلة،

أصبح البقاء في قيد الحياة أكثر صعوبة؛ واعتاد الناس، خلال تلك العصور، على القتال من أجل الوجود؛ بحيث أصبحت الآن الطبيعة الثانية هي قتل جميع الغرباء».

قالت لانا الجاثولية: «أنا لا أزال أرغب في رؤية تلك المدينة من الداخل».

قلت: «ربما لا يمكن أبدًا إشباع فضولك».

وقفنا لبعض الوقت عند الحافة ننظر إلى هذا الوادي الجميل، ربما أحد أجمل المشاهد على المريخ كله. رأينا عده قطعان من حيوانات الثوات الصغيرة التي يستخدمها المريخيون الحُمر في الركوب والطعام. هناك فارق ضئيل بين الأنواع المخصصة للركوب وتلك المخصصة للذبح، لكننا لم نتمكن من هذه المسافة معرفة نوع هذه الحيوانات. رأينا أيضًا حيوانات الطريدة، التي يتعقبها الصيادون للترفيه أو لأكلها؛ وهو ما أغرانا، ونحن لنا فترة طويلة دون تناول لحم جيد.

قالت لانا: «لنهبط إلى أسفل؛ لم نرَ أي إنسان، ولسنا بحاجة إلى الاقتراب من المدينة. إنه طريق طويل. وأود أن أرى جمال هذا الوادي عن قرب».

قلت: «وأنا أود الحصول على بعض اللحوم الحمراء الجيدة».

قال بان دان تشي: «وأنا أيضًا».

قلت: «تخبرني بصيرتي أن القيام بذلك يُعد حماقة؛ لكنني لو كنت قد اتبعت بصيرتي دائمًا، لكانت حياتي أصبحت مملة للغاية».

قالت لانا: «على أي حال، نحن لا نعرف إن كان الوادي في أسفل أكثر خطورة من وضعنا هنا عند الحافة. ومن المؤكد أننا بالكاد ما تفادينا الكثير من المتاعب هنا في أعلى، وربما لا يزال الخطر يحوم حولنا».

لم أكن أعتقد ذلك؛ على الرغم من أنني كنت أعرف أن المريخين الخضر يمكنهم اصطيد رجلين من الرجال الأحمر لأيام في وقت واحد. على أي حال، أسفرت مناقشتنا عن أننا واصلنا النزول إلى الوادي.

وجدنا عند سفح الهاوية، حيث انتهى الدرب، ركاًماً من العظام البشرية وجثتين مشوهتين بشدة - يا لهم من مساكين بؤساء؛ إما لقوا حتفهم على الدرب أعلاه، وإما سقطوا ليلقوا حتفهم هنا في أسفل. وتساءلت، كيف ولماذا.

ومن حسن حظنا أن المدينة كانت بعيدة، بحيث كنت متأكداً من عدم إمكانية أي شخص أن يرانا منها. ونظراً لمعرفتي بالعادات المريخية، لم تكن لدينا نية للاقتراب منها؛ كما لم يكن لدينا أي اهتمام بالاقتراب منها حتى إن كانت آمنة؛ لأن الوادي كان فاتن الجمال في حالته الطبيعية بحيث قد تبدو مشاهد وأصوات المدينة مثل نغمة متنافرة.

رأينا نهراً صغيراً على مسافة قصيرة منا، وخلفه غابة توصل إلى حافته. عبرنا إلى النهر من خلال مرجة قرمزية، قصيرة العشب بفعل قطعان الرعي وتتناثر فيها العديد من الزهور ذات جمال سماوي.

كانت قطعان الثوات ترعى على مسافة قصيرة من النهر. وكانت من لحوم متنوعة، جيدة المذاق بشكل استثنائي. واقترح بان دان تشي أن نعبّر النهر حتى يتمكن من الاختفاء في الغابة ليقترّب بما يكفي لصيد إحداها.

كان النهر حيًّا بأسمائه، وطعنت بعضها بسيفي الطويل خلال
عبورنا مياهه.

قلت: «لدينا على الأقل أسماك نتناولها في العشاء. وإذا حالف
الحظ بان دان تشي، سنتناول شرائح اللحم».

قالات لانا: «وأنا أرى الفواكه والجوز في الغابة. يا لها من مأدبة!».
قال بان دان تشي: «تمنوا لي حسن الحظ»، ودخل الغابة ليشق
طريقه نحو حيوانات الثوات.

كنت أشاهد مع لانا، لكننا لم نر الشاب الأروفاري إلى أن قفز من
الغابة وقذف شيئاً نحو أقرب ثوات وحجمه مثل الثور الصغير.

صرخ الوحش، ركض بضع أقدام، ثم ترنح وسقط، بينما ركض
بقية القطيع مبتعداً.

سألت لانا: «كيف فعل ذلك؟».

قلت: «أنا لا أعرف، لقد قام بذلك بسرعة شديدة بحيث لم أتمكن
من رؤية ما قذفه. لم يكن رمحاً بالتأكيد لأن ليس لديه رمح، ولم يكن
سيفاً وإلا لرأيناه».

قالت لانا: «لقد بدا وكأنه ألقى عصا صغيرة».

رأينا بان دان تشي يقطع شرائح اللحم من الحيوان الذي قتله؛ وعاد
إلينا الآن وهو يحمل ما يكفي من اللحم لذينة من الرجال.

سألته لانا: «كيف قتلت هذا الثوات؟».

أجاب بان دان تشي: «بخنجري».

قلت: «كان رائعًا. ولكن أين تعلمت ذلك؟».

«يُعتبر إلقاء الخنجر أحد أشكال الرياضة في هورز. ونحن جميعًا نجيدها. لكنني فزت بكأس الجيداك في السنوات الثلاث الماضية؛ ولذا كنت على يقين أنني سأنجح عندما عرضت أن أقتل الثوات، على الرغم من أنني لم أستخدم خنجري من قبل في لعبة قتل طريدة. يندر جدًّا تنظيم مباراة في هورز؛ وعندما يحدث، يختار المتسابقون عادة الخناجر إلا إذا كان أحدهم أكثر مهارة بكثير من الآخر».

بينما كنا أنا وبان دان تشي نشعل النار ونطبخ السمك وشرائح اللحم، كانت لانا تجمع الفواكه والجوز؛ بحيث تناولنا وجبة لذيذة، وعندما جاء الليل استلقينا على المرجة الناعمة ونمنا.



الفصل (٤)

نمنا في وقت متأخر، لشعورنا بالتعب الشديد في الليلة السابقة. اصطدت بعض الأسماك الطازجة، وتناولنا السمك وشرائح اللحم والفواكه والجوز مرة أخرى على الإفطار. ثم بدأنا نتحرك نحو الدرب الذي يقود إلى خارج الوادي.

قال بان دان تشي: «سيكون صعودًا شنيعًا».

قالت لانا: «أوه، أتمنى أن نبقي هنا؛ أكره أن أغادر هذه البقعة الجميلة».

انجذب انتباهي فجأةً نحو الطرف السفلي من الوادي. قلت: «ربما لن تضطري إلى مغادرتها، يا لانا. انظروا!!».

التفتت لانا وكذا بان دان تشي ونظرا في الاتجاه الذي أشرت إليه. رأينا ٢٠٠ محارب يمتطون حيوانات الثوات. كان الرجال من ذوي البشرة السوداء الأبنوسية، وتساءلت ما إذا كانوا من قراصنة برسوم السود سيئي السمعة الذين واجهتهم وقتلتهم منذ سنوات عديدة في

القطب الجنوبي - أولئك الذين يطلقون على أنفسهم الأبناء الأوائل^(٤١).
ركضوا نحونا وحاصرونا، ورماحهم مرفوعة في حالة استعداد لأي
طارئ.

سأل قائدهم: «مَن أنتم؟ وماذا تفعلون في وادي الأبناء الأوائل؟». أجبت: «جئنا إلى أسفل الدرب لتجنب حشد من الرجال الخُضر. وكنا على وشك المغادرة. لقد جئنا في سلام. نحن لا نريد الحرب، لكن سيوفنا الثلاثة جاهزة لتقديمنا بشكل جيد».

قال القائد: «عليكم أن تأتوا معنا إلى كامتول».

سألته: «المدينة؟». أوماً بالإيجاب.

سحبت سيفي من غمده.

قال: «توقف! نحن ٢٠٠، وأنتم ثلاثة. إذا أتيتم إلى المدينة، هناك فرصة على الأقل لعدم قتلكم؛ أما إذا بقيتم هنا وحاربتم، فسوف تُقتلون».

هزرت كتفي قائلاً: «هذا لا يهمني. لكن لانا الجاثولية ترغب في رؤية المدينة، وأنا لا أترك معركة. بان دان تشي، ما رأيك أنت ولانا؟».

قالت لانا: «أنا أود رؤية المدينة، لكنني سأقاتل إذا كنت ستقاتل». ثم أضافت: «ربما لن يتعاملون معنا بقسوة».

قال القائد: «عليكم التخلي عن أسلحتكم».

(٤١) الأبناء الأوائل هم العرق أسود البشرة في المريخ - <http://barsoom.wikia.com/wiki/> - *Special:Search?query=First+Born* - المترجمة.

لم يعجبني ذلك، وترددت.

قال القائد: «إما هذا وإما الموت. هيا! لا أستطيع الوقوف هنا طوال اليوم».

حسنًا، ما من جدوى للمقاومة. ومن الحماقة التضحية بحياتنا إذا كان هناك أمل ولو ضئيل أن يستقبلونا بشكل جيد في كامتول. وهكذا، ركبنا على ظهور ثلاثة من الثوات خلف راكبيهم، وبدأنا نتحرك نحو المدينة البيضاء الجميلة.

لم تشهد الرحلة إلى المدينة أي أحداث، لكنها منحني فرصة ممتازة لفحص خاطفينا عن كذب. كانوا بلا شك من نفس عرق زودار، داتور^(٤٢) الأبناء الأوائل في برسوم - وهذا لقبه بالكامل - الذي كان خصمي في البداية ثم أصبح صديقي أثناء مغامراتي الغربية مع الثيرن المقدسين. إن الأبناء الأوائل عرق وسيم بشكل استثنائي، يتميزون بالحنافة والقوة، ووجوههم ذكية، وملامحهم منحوتة بشكل رائع بحيث قد يحسدهم عليها أدونيس^(٤٣) نفسه. أنا من فرجينيا؛ وقد يبدو غريباً أن أقول ذلك، لكن بشرتهم السوداء، التي تشبه الأبنوس المصقول، تضيف إلى جمالهم بدرجة كبيرة. وكان عتاد ومعادن خاطفينا يتطابق مع تلك التي يرتديها القراصنة السود الذين تعرفت عليهم عند المنحدرات الذهبية أعلى وادي دور.

(٤٢) داتور: هو لقب الأمير بين المريخين السود في وادي دور. - <http://barsoom.wikia.com/wiki/Dator> - المترجمة.

(٤٣) أدونيس هو إله الجمال والرغبة في الأساطير اليونانية - المترجمة.

بيد أن إعجابي بهؤلاء الناس لم يعمني عن حقيقة أنهم عرق قاس لا يرحم، وأن فترة عمرنا المتوقع لحياتنا قد انخفضت إلى أدنى حد بعد أن ألقوا القبض علينا.

لم تخلف مدينة كامتول وعدّها. كانت جميلة عندما رأيناها عن كذب كما كانت عن بُعد. كان سورها الأبيض النقي الخارجي منحوتًا بإتقان، وكذلك واجهات العديد من مبانيها. ارتفعت أبراجها الرشيقة فوق طرقات واسعة، كانت مزدحمة بالناس عندما دخلنا المدينة. رأينا بين الرجال السود عددًا من الرجال الحمر يؤدون مهامًا وضيعة. من الواضح أنهم عبيد، ويوحي وجودهم بالمصير الذي ربما ينتظرنا.

لا يمكنني القول إنني كنت أتطلع بأي قدر كبير من الحماس لاحتمال أن يصبح جون كارتر، أمير هيليوم وأمير الحرب في المريخ، عامل نظافة في الشارع أو جامعًا للقمامة. على أن الشيء الوحيد الذي لاحظته بوجه خاص في كامتول هو عدم إمكانية رفع المساكن على أعمدة أسطوانية، كما هو الحال في معظم المدن المريخ الحديثة، التي أصبح فيها الاغتيال أحد الفنون وازدهرت روابط القتل علنًا بحيث يختال أعضاؤها في الشوارع مثلما فعل رجال العصابات ذات مرة في شيكاغو.

أخذونا تحت حراسة مشددة إلى مبنى كبير، وهناك انفصلنا. اقتادوني إلى شقة وأجلسوني على كرسي بحيث كان ظهري في اتجاه جهاز غريب المظهر، سطحه مُغطى بأقراص لا تُعد ولا تُحصى. امتد من أجزاء مختلفه من الجهاز عدد من الكابلات المعزولة بشدة. وثبتوا

مشابك معدنية في نهايات هذه الكابلات حول معصمي، والكاحلين، ورقبتي، مع تثبيت المشبك الأخير على نحو يضغط على أسفل جمجمتي؛ ثم قاموا بتثبيت شيء مثل سترة ضيقة بإحكام حولي، وشعرت بأن عددًا هائلًا من الإبر يلمس عمودي الفقري بأكمله تقريبًا. تصورت أنهم سوف يصعقونني بالكهرباء، لكنهم يتكبدون كل هذا العناء غير الضروري لتدميري. إن طعنة بسيطة بالسيف كافية لإنجاز الأمر بسرعة أكبر بكثير.

جاء ضابط، بدا واضحًا أنه المسؤول عن تلك الإجراءات، ووقف أمامي. قال: «أنت على وشك أن تبدأ الاختبار. عليك أن تجيب عن جميع الأسئلة بصدق»، ثم أشار إلى مساعده الذي ضغط على مفتاح تشغيل الجهاز.

لن يصعقونني بالكهرباء إذن، وإنما سيختبرونني. لم أستطع أن أتخيل طبيعة الاختبار. شعرت بوخز خفيف في جسدي بأكمله، ثم بدأوا في إلقاء الأسئلة.

كان هناك ستة رجال. يستجوبونني كل منهم منفردًا أحيانًا، بينما في أحيان أخرى يستجوبونني معًا. وعندئذ لم أتمكن بالطبع من الإجابة بذكاء، نظرًا لعدم سماعي الأسئلة بالكامل. وكانو يتحدثون معي بهدوء في بعض الأحيان، ثم يصيحون في وجهي بغضب؛ وكثيرًا ما ينهالون عليّ بالشتائم. سمحوا لي بالراحة لبضع لحظات، ثم دخل عبد إلى الشقة حاملاً صينية طعام مغرية جدًا، وقدمها لي. وعندما كنت على وشك أن آخذها، أبعدوها عني وضحك المعذبون في وجهي. وخزوني

بأدوات حادة إلى أن تدفق الدم، ثم مسحوا الجروح بمادة كاوية حارقة، وبعد ذلك وضعوا عليها مرهمًا يخفف الألم على الفور. استرحت مرة أخرى، وقدموا لي الطعام ثانية. لم أتحرك لأخذه، فأصروا أن أخذه؛ ولدهشتي، سمحوا لي أن أكل.

لقد توصلت الآن إلى استنتاج مفاده أن مَنْ قبضوا علينا ينتمون إلى عِرق من المجانين الساديين، وما حدث بعد ذلك أكد لي أنني على حق. ترك المعذبون جميعًا الشقة. جلست لعدة دقائق أتساءل عن الإجراء بأكمله، ولماذا لا يستطيعون تعذيبني دون ربطني بهذا الجهاز العجيب. كنت أجلس في مواجهة باب في الجدار المقابل، وفجأة انفتح الباب وقفز بانث ضخمة إلى الغرفة وهو يزأر ببشاعة.

تصورت أن هذه هي النهاية؛ إذ اندفع الحيوان الضخم أكل اللحم نحوي. وكما دخل الغرفة فجأة، توقف أمامي على بُعد بضعة أقدام مني، ثم ألقي على الأرض فوراً عند قدمي. وعندئذ رأيت أنه كان مربوطاً بسلسلة قصيرة لا تسمح له بالوصول إليّ. كنت أشعر بكل أحاسيس الموت الوشيك - وهو شكل دقيق من أشكال التعذيب. ومع ذلك، وإذا كان هذا هو غرضهم، فقد فشلوا، لأنني لا أخاف الموت.

سحبوا البانث إلى خارج الشقة باستخدام السلسلة، وأغلقوا الباب؛ ثم دخلت مجموعة المحققين وهم يتسمون في وجهي بلطف شديد. قال الضابط المسؤول: «هذا هو كل شيء؛ انتهى الاختبار».

الفصل (٥)

أخذني حارس، بعد إزالة المُعدات عني، واقتادني إلى الحُفر. كانت تشبه الحُفر الموجودة في كل مدينة من مدن المريخ، سواء قديمة أو حديثة. تُستخدم هذه المتاهة من الممرات والغُرف لأغراض التخزين ولحبس السجناء، وكانت الأولسيو المثيرة للاشمئزاز هي سكانها الآخرون.

قيدوني بالسلاسل إلى جدار زنزانة كبيرة، حيث يوجد سجين آخر، مريخي أحمر؛ ولم يمضِ وقت طويل حتى أحضروا لانا الجاثولية وبان دان تشي، وقيدوهما بسلاسل بالقرب مني. قلت: «أرى أنكما اجتزتما الاختبار».

سألت لانا: «ماذا يتوقعون أن يعرفوا من مثل هذا الاختبار؟ كان غيباً وسخيفاً».

قال بان دان تشي: «ربما يريدون معرفة مدى إمكانية إخافتنا حتى الموت».

قالت لانا: «أتساءل إلى متى يبقوننا في هذه الحُفر؟».

قال الرجل الأحمر: «أنا هنا منذ سنة. يُخرجونني أحيانًا لأعمل مع العبيد الآخرين الذين ينتمون إلى الجيداك؛ لكنني سوف أظل هنا إلى أن يشتريني أي شخص».

سأل بان دان تشي: «يشتريك! ماذا تقصد؟».

أجاب الرجل الأحمر: «جميع السجناء ينتمون إلى الجيداك، لكنّ نبلاءه أو ضباطه قد يشترون أيًا منهم إذا أرادوا عبدًا آخر. وأعتقد أنه يحتجزني ويعرض سعرًا مرتفعًا للغاية؛ لأن عددًا من النبلاء نظروا إليّ وقالوا إنهم يرغبون في شرائي».

صمت للحظة ثم قال: «أرجو أن تعذروني على فضولي، لكنّ اثنين منكم لا يبدوون من برسوم على الإطلاق، وأتساءل من أي جزء من العالم أنتم. تبدو المرأة فقط من برسوم؛ لكن بشرتكما أنتما الاثنين بيضاء، وأحدكما شعره أسود والآخر شعره أصفر».

سألته: «لقد سمعت عن أوروفار؟».

أجاب: «بالتأكيد، لكنها انقرضت منذ عصور».

«ومع ذلك، بان دان تشي أورفاري. توجد مستعمرة صغيرة منهم، الذين نجوا ويعيشون في مدينة أورفار المهجورة».

سألني: «وأنت؟ أنت لست أورفاريًا، بهذا الشعر الأسود».

قلت: «لا، أنا من عالم آخر، من جاسوم^(٤٤)».

(٤٤) جاسوم: هو كوكب الأرض بلغة سكان كوكب المريخ - <https://barsoom.fandom.com/wiki/Jasoom> - المترجمة.

صاح: «أووه، أيمكن أن تكون أنت جون كارتر؟».

«نعم، وأنت؟».

«اسمي جاد-هان. أنا من أمهور».

قلت: «أمهور. أعرف فتاة من أمهور. اسمها جاناي».

سألني: «ماذا تعرف عن جاناي؟».

سألته: «هل تعرفها؟».

«كانت شقيقتي؛ لقد ماتت منذ سنوات. بينما كنت خارج البلاد في رحلة طويلة، اتفق جال هاد، أمير أمهور، مع القاتل جانتون جور على قتل والدي لأنه اعترض على جال هاد كخاطب ليد جاناي. وعندما عدت إلى أمهور، كانت جاناي قد هربت؛ وعرفت بوفاتها في وقت لاحق. وقد كنت مضطراً إلى مغادرة المدينة، هرباً من الاغتيال؛ وبعد تجوالي لفترة، ألقى الأبناء الأوائل القبض عليّ. ولكن أخبرني، ماذا تعرف عن جاناي؟».

أجبت: «أعرف أنها لم تمت. وأنها تزوجت أحد أكثر ضباطي ثقة، وتعيش آمنة في هيليوم».

غمرت السعادة جاد-هان عندما علم أن شقيقته لا تزال تعيش.

قال: «والآن، إذا استطعت الهروب من هنا والعودة إلى أمهور للانتقام لأبي، سأموت سعيداً».

قلت له: «لقد تم الانتقام لوالدك؛ فقد مات جال هاد».

قال جاد-هان: «للأسف لم أكن أنا من قتله».

قلت: «أنت هنا منذ عام، ومن المؤكد أنك تعرف شيئاً عن عادات الشعب. هل يمكنك أن تخبرنا ما المصير الذي ينتظرنا؟».

أجاب: «هناك العديد من الاحتمالات. قد يأخذونكم للعمل كعبيد، وفي هذه الحالة ستلقون معاملة سيئة وإنما قد يتركونكم تعيشون لسنوات؛ أو قد يحتفظون بكم للمشاركة في المباريات التي تُقام على ملعب كبير. وهناك سوف تتقاتلون مع الرجال أو الوحوش لتسلية الأبناء الأوائل. ومن ناحية أخرى، قد يقررون إعدامكم على الفور في أي لحظة. يتوقف ذلك كله على النزوات العقلية لدوكسوس، جيداك الأبناء الأوائل، الذي أعتقد أنه مجنون بعض الشيء».

قالت لانا: «إذا كان الاختبار السخيف الذي مررنا به يمثل أي معيار، فهم جميعاً مجانين».

قال لها جاد-هان: «لا تكوني متأكدة من ذلك. إذا أدركتِ الغرض من هذا الاختبار، لفهمتِ أن مَنْ ابتكره لا يتمتع إلا بعقل سليم. هل رأيت الرجال الموتى عندما دخلتِ إلى الوادي؟».

«نعم، ولكن ما علاقتهم بالاختبار؟».

«لقد مروا بنفس الاختبار؛ وهذا هو سبب موتهم».

قلت: «أنا لا أفهم. اشرح لنا من فضلك».

«لقد سجلت الماكينات التي ربطوك بها المئات من ردود أفعالك؛ كما سجلت تلقائياً مؤشرك العصبي الفردي، وهو يختلف عن المؤشر العصبي لأي مخلوق آخر في العالم».

«الماكينة الرئيسة، التي لم ولن تراها أبداً، تولّد اهتزازات موجة قصيرة يمكن ضبطها تماماً على مؤشر العصبي الفردي. وعندئذ تُصاب بالشلل نتيجة لسكتة دماغية حادة، وتموت على الفور تقريباً».

سأله بان دان تشي: «ولكن، لماذا يقومون بذلك كله لمجرد تدمير عدد قليل من العبيد؟».

أوضح جاد-هان: «ليس هذا هو السبب الوحيد. ربما كان أحد الأغراض الأولية لمنع السجناء من الهرب ونشر الأخبار عن وجود هذا الوادي الجميل على كوكب يحتضر. يمكنك أن تتخيل أن جميع البلدان تقريباً سوف ترغب في امتلاكه. وهناك غرض آخر؛ فهو يحافظ على مكانة دوكسوس العليا. فقد سجل لكل شخص بالغ في الوادي مؤشره العصبي، وبالتالي يقع الجميع تحت رحمة الجيداك. يمكنه إبادتك دون أن تغادر الوادي. قد يكون أحد خصوم الجيداك جالساً في منزله ذات يوم، ويعثر عليه هذا الشيء ويدمره. ودوكسوس هو الشخص البالغ الوحيد في كامتول الذي لم يُسجّل مؤشره العصبي. كما أنه هو ورجل آخر فقط، اسمه مير-لو، من يعرفون تحديداً أين يقع الجهاز الرئيس، أو كيفية تشغيله. ويُقال إنه جهاز حساس للغاية ويمكن أن يتلف في لحظة بشكل يتعذر إصلاحه - كما لا يمكن استبداله أبداً».

سألت لانا: «لماذا لا يمكن استبداله؟».

أجاب جاد-هان: «لأن من اخترعه قد مات. ويُقال إنه كان يكره دوكسوس بسبب الغرض الذي استخدم فيه الجيداك اختراعه، وإن دوكسوس اغتاله خوفاً منه. أما مير-لو، الذي خلفه، فلا يتمتع بالعقرية لتصميم جهاز مماثل آخر».

الفصل (٦)

في تلك الليلة، وبعد أن نامت لانا، تحدثت مع جاد-هان وبان دان تشي همسًا حتى لا نزعجها.

قال جاد-هان وهو ينظر إلى الفتاة النائمة: «يا له من وضع سيئ للغاية؛ من المؤسف أنها جميلة جدًا».

سأله بان دان تشي: «ماذا تقصد؟».

«لقد سألتوني بعد ظهر هذا اليوم عن مصيركم المحتمل؛ وأخبرتكم بالاحتمالات، لكنني تحدثت عن الاحتمالات بالنسبة لكما كرجلين. أما بالنسبة للفتاة...». نظر في حسرة نحو لانا وهز رأسه. لم يتطلب الأمر أن يقول أكثر من ذلك.

وفي اليوم التالي، جاء عدد من الأبناء الأوائل إلى زنارتنا لفحصنا، كما يفحص المرء ماشية يريد شراءها. وكان من بينهم أحد ضباط الجيداك، الذين يتولون مسؤولية بيع السجناء كعبيد بأعلى سعر ممكن. أُعجب أحد النبلاء على الفور بلانا وقدم عرضًا لشرائها. تناقشوا لفترة حول المبلغ، لكنه حصل عليها في النهاية.

أصابنا، أنا وبان دان تشي، حزن شديد لأخذهم لانا، فقد كنا نعرف أننا لن نراها مرة أخرى. هذا على الرغم من أن والدها هو جد جاثول، وتتدفق في عروقها دماء هيليوم، وتعرف نساء هيليوم كيف يتصرفن عندما يواجهن مصيرًا قاسيًا كذلك المصير الذي نعرف أن لانا الجاثولية ستواجهه.

صاح بان دان تشي: «أوو! أن تكون مقيدًا بالسلاسل إلى جدار ومن دون سيف، عندما يحدث شيء من هذا القبيل».

قلت: «أعرف ماذا تشعر؛ لكننا لم نمت بعد، بان دان تشي؛ وسوف تأتي فرصتنا».

قال: «وإذا أتت، سنجعلهم يدفعون ثمن فعلتهم».

تنافس نبيلان على شرائي، وأخيرًا فاز داتور اسمه زازاك. أزالوا أغلالي، وحذرنني مندوب الجيداك أن أكون عبدًا جيدًا ومطيعةً.

كان مع زازاك اثنين من المحاربين، وسارا على جانبي ونحن نغادر الحُفر. كنت هدفًا لفضول كبير ونحن في طريقنا إلى قصر زازاك، الذي يقع بالقرب من قصر الجيداك. تشير دائمًا بشرتي البيضاء وعيناي الرماديتان الكثير من التعليقات في المدن التي لا تعرفني. تتخذ بشرتي بالطبع لونًا برونزيًا نتيجة التعرض للشمس، لكنها لا تكتسي حتى باللون الأحمر النحاسي مثل رجال برسوم الحُمر.

سألني زازاك قبل أخذي إلى مساكن العبيد في القصر: «ما اسمك؟».

أجبت: «دوتار سوجات». وهذا هو الاسم الذي أطلقه عليّ المريخيون الخضر الذين أمسكوا بي عندما جئت لأول مرة إلى المريخ؛ وهو اسم مركب من اسمي أول اثنين قتلتهما من المريخين الخضر في المبارزات؛ وهو في طبيعته لقب مُشَرَّف. لا يُعتبر أي رجل باسم واحد، أوو-ماد، من مكانة عالية. وكنت سعيدًا دائمًا أن الأمر يقتصر على اسمين؛ فلو كان من المفترض أن أحمل اسم كل محارب مريخي أخضر قتلته في مبارزة، لكنت احتجت ساعة لنطقهم جميعًا.

سألني زازاك: «هل قلت داتور؟ لا تقل لي إنك أمير!».

أجبت: «قلت دوتار». لم أذكر اسمي الحقيقي؛ فقد كان لديّ سبب للاعتقاد بأنه معروف جيدًا للأبناء الأوائل، الذين لديهم سبب وجيه ليكرهوني على ما فعلته بهم في وادي دور.

سألني: «من أين أنت؟».

قلت: «ليس لديّ بلد، أنا بانتان».

ونظرًا لأن هؤلاء الجنود المرتزقة ليس لديهم مكان ثابت، بل يتجولون من مدينة إلى أخرى ويقدمون خدماتهم وسيوفهم لمن يوظفهم، فهم الرجال الوحيدون الذين يستطيعون التوجه بحصانة إلى أي مدينة في المريخ تقريبًا.

قال: «أووه، بانتان. أفترض أنك تستخدم السيف جيدًا».

أجبت: «لقد واجهت أسوأ المواقف».

قال: «إذا كنت أعتقد أنك جيد، لأدخلتك إلى المباريات الصغرى؛

لكنك كلفتني الكثير من المال، ولا أود أن أغامر بقتلك».

قلت: «لا أعتقد أنك بحاجة إلى القلق».

قال: «أنت واثق من نفسك تمامًا. حسنًا، دعنا نرى ما يمكنك القيام به». أصدر أمره إلى المحاربين: «خذوه إلى الحديقة». تبعنا زازاك إلى رقعة رملية مفتوحة.

قال لأحد المحاربين: «أعطه سيفك»، ثم قال للثاني: «اشتبك معه، يا بتانج، ولكن لا تقتله»؛ ثم التفت نحوي: «ليست مبارزة للموت، أيها العبد، وأنت تفهم ذلك. أود فقط أن أرى مدى مهارتك. يمكن لأي منكما أن يصيب الآخر بجرح، ولكن دون قتل».

كان بتانج، مثل جميع قراصنة برسوم السود الآخرين الذين التقيت بهم، مبارزًا ممتازًا - كان هادئًا، وسريعًا، ومميتًا. اقترب مني وعلى شفتيه ابتسامة خفيفة ومتغطرة.

وقال موجهًا كلامه إلى زازاك: «ليس من الإنصاف، يا أميري، أن تضعه ضد أحد أفضل المبارزين في كامتول».

أجاب زازاك: «هذه هي الطريقة الوحيدة التي تمكنني من تحديد ما إذا كان ماهرًا على الإطلاق، أو لم يكن. إذا تحملك، فهذا يعني أن مهارته تتيح له الدخول إلى المباريات الصغرى. ربما قد يفوز حتى بما دفعته فيه».

قال بتانج: «سنرى». وبدأنا الاشتباك بسيوفنا.

وخزته في كتفه، قبل أن يدرك ما يحدث. بدت عليه الدهشة،

وغادرت الابتسامة شفثيه.

قال: «هذا حادث، ولن يتكرر ثانية»؛ وعندئذ وخزت كتفه الآخر. ارتكب الآن خطأ فادحاً؛ فقد استشاط غضباً. ففي حين قد يؤدي الغضب إلى تعزيز هجوم الرجل، فقد يضعف أيضاً دفاعه. لقد رأيت ذلك يحدث ألف مرة؛ وعندما أريد التخلص من خصم بسرعة، أحاول دائماً إغضابه.

قال زازاك: «هيا، هيا، بتانج! ألا يمكنك تقديم عرض أفضل من ذلك ضد هذا العبد؟».

وهنا اندفع بتانج نحوي وعيناه بلون الدم، ولم أر أي شيء سوى الرغبة في القتل - اندفع بتانج ليقتلني. صاح زازاك: «بتانج! لا تقتله».

عندئذ ضحكت، وأدميت بتانج بإصابة في صدره. وسألت ساخراً: «ألا يوجد لديكم مبارز حقيقي في كامتول؟».

كان زازاك ومحاربه الآخر في حالة هدوء شديدة. كنت أفتنص أحياناً لمحات نحو وجهيهما، وقد بدت كثيبة بعض الشيء. كان بتانج غاضباً، واندفع نحوي الآن مثل الثور الهائج، ووجه لي ضربة كان يمكن أن تقطع رأسي لو أصابتنني. على أنها لم تصبني؛ وطعنت عضلات ذراعه الأيسر.

سألت زازاك: «أليس من الأفضل أن نتوقف، قبل أن يظل رجلك ينزف حتى الموت؟».

زازاك لم يرد؛ لكنني بدأت أشعر بالملل من الأمر برمته وأردتُ
أن أنهيه؛ ولذلك دفعت بتاج إلى الأمام وضربت سيفه بحيث طار عبر
الحديقة.

سألت: «هل هذا يكفي الآن؟».

أو ما زازاك قائلًا: «نعم، هذا يكفي».

كان بتانج أحد أكثر الرجال دهشة وتعاسة رأيتهم من قبل. وقف
يحدق في وجهي، دون أن يتحرك ليسترده سيفه. شعرت بالأسف الشديد
له.

قلت له: «ليس هناك ما تخجل منه، يا بتانج. أنت مبارز رائع، لكنني
فعلت معك ما يمكنني أن أفعله مع أي رجل في كامتول».

قال: «أعتقد ذلك. قد تكون عبدًا، لكنني فخور بمبارزتي معك. لم
يرَ العالم أبدًا مبارزًا أفضل منك».

قال زازاك: «وأنا مقتنع بذلك، ويمكنني أن أرى أنك ستفوز لي
بمال كثير، يا دوتار سوجات».



الفصل (٧)

عاملني زازاك مثلما يعمل مالك ثري على كوكب الأرض حصانه المحتمل أن يفوز في سباق ديريبي للأحصنة. أسكنني في ثكنات حرسه الشخصي، حيث عوملت على قدم المساواة. وكلف بتانج بمتابعة حصولي على القدر المناسب من التمرين والمبارزة؛ وأظن أنه أراد التأكد أيضًا من عدم محاولتي الهرب. كان مصدر قلقي الوحيد هو مصير لانا الجاثولية وبان دان تشي، حيث لم أكن أعرف أي شيء على الإطلاق عن مكان وجود أي منهما أو حالته.

تطور نوع ما من الصداقة بيني وبين بتانج. كان مُعجبًا بأسلوبي في المبارزة، واعتاد أن يتباهى بها أمام المحاربين الآخرين. كانوا يميلون في البداية إلى انتقاده والسخرية منه لأن عبدًا تفوق عليه؛ ولذلك اقترحت عليه أن يعرض على منتقديه مبارزتي لمعرفة مَنْ منهم يمكنه أن يؤدي أفضل منه.

قال: «لا أستطيع أن أفعل ذلك دون إذنٍ من زازاك؛ وإلا إذا حدث لك أي شيء، سيعلمني المسؤولية».

قلت له: «لا شيء سيحدث لي؛ وأنت تعرف ذلك أكثر من أي شخص».

ابتسم قليلاً بحزن، وقال: «أنت على حق، ومع ذلك يجب أن أسأل زازاك»؛ وقد سأل الداتور بالفعل عندما رآه.

ومن أجل الفوز بصداقة أكبر مع بتانج، قمت بتعليمه بعض النقاط الدقيقة في فن المبارزة الذي تعلمته في عالمين، وفي ألف مبارزة ومعركة. لكنني لم أعلمه، بأي حال من الأحوال، كل حيلي، كما لا يمكنني أن أنقل له القوة وخفة الحركة التي تمنحني إياها على المريخ عضلاتي كرجل من كوكب الأرض.

كان زازاك يشاهدنا في أثناء تمارين المبارزة، عندما سأله بتانج إن كان يسمح أن أبارز بعض منتقديه. هز زازاك رأسه وقال: «أخشى أن يُصاب دوتار سوجات».

قلت له: «إنني أضمن عدم إصابتي».

قال: «حسنًا؛ وأخشى أن تقتل بعض المحاربين».

«أعدك أنني لن أفعل. سوف أوضح لهم ببساطة أنهم لا يستطيعون هزيمتي، مثلهم مثل بتانج».

قال زازاك: «قد تكون رياضة جيدة. من هم الذين انتقدوك، يا بتانج؟».

ذكر له بتانج أسماء خمسة من المحاربين، كانت سخرتهم وانتقاداتهم لاذعة بوجه خاص. أرسل زازاك في طلبهم على الفور.

قال زازاك، عندما جاءوا: «فهمت أنكم أدنتم بتانج لأن هذا العبد تفوق عليه في مبارزة. هل يعتقد أي منكم أنه يستطيع أن يبارزه أفضل من بتانج؟ إذا كان الأمر كذلك، هذه فرصتكم».

أكدوا له جميعاً، في صوت واحد تقريباً، أنهم يستطيعون المبارزة أفضل بكثير.

قال: «سنرى. ولكن، عليكم أن تفهموا جميعاً أن القتل غير مسموح به، وأن المبارزة ستوقف عندما أقرر ذلك. هذا أمر».

أكدوا له أنهم لن يقتلوني، ثم تقدم أولهم متبختراً لمواجهتي. وخزت كلاً منهم، واحداً تلو الآخر في تعاقب سريع، في كتفه اليمنى ونزعت سلاحه.

ولا بد لي من القول إنهم أخذوا الأمر بأسلوب غاية في الاحترام؛ جميعهم ما عدا واحد فقط اسمه بان-تور، وكان أكثرهم عنفاً في نقده لبتانج.

قال متذمراً: «لقد خدعني. اسمح لي بمواجهته مرة أخرى، يا داتور، وسوف أقتله». كان غاضباً جداً، بحيث ارتعد صوته.

قال زازاك: «لا، لقد جرحك ونزع سلاحك، وأثبت أنه أفضل مبارز. وإذا كان ذلك بسبب خدعة، فهي من خدع فن المبارزة الذي يجب أن تتقنه جيداً قبل أن تحاول قتل دوتار سوجات».

كان الزميل لا يزال مقطباً ومتذمراً وهو يتعد مع الأربعة الآخرين. وقد أدركت أنه بينما كان جميع هؤلاء الأبناء الأوائل أعدائي شكلياً،

فإن هذا الزميل، بان-تور، كان عدوًّا فعليًّا. بيد أنني لم أعطِ هذه المسألة اهتمامًا كبيرًا؛ لأن قيمتي كانت عالية جدًا عند زازاك بحيث يصعب أن يخاطر أي شخص بإثارة غضبه من خلال الإضرار بي؛ كما لم أر أي وسيلة يمكن لهذا الزميل استخدامها لأذيتي.

وبعد أن غادر الجميع، قال بتانج: «يكرهني بان-تور دائمًا. يكرهني لأنني أنفوق عليه دائمًا في المبارزة وبطولات القوة؛ وبالإضافة إلى ذلك، فهو مثير للمتاعب من حيث طبيعته. وإذا لم يكن من أقرباء زوجة زازاك، لكان الداتور قد أبعده».

ونظرًا لأنني كنت قد قارنت نفسي بالحصان المحتمل فوزه في سباق ديربي، يمكنني أيضًا بالتماثل أن أصف مبارياتهم الصغرى بمباريات السباق الصغرى. يعقدون مبارياتهم مرة واحدة كل أسبوع في ملعب داخل المدينة، حيث يقدم النبلاء الأثرياء محاربيهم أو عبيدهم لمواجهة محاربي وعبيد نبلاء آخرين في مباريات تضم بطولات القوة، والملاكمة، والمصارعة، والمبارزة. كما يراهنون بمبالغ مالية كبيرة، وتصل الإثارة إلى أقصاها. والمبارزات ليست دائمًا حتى الموت، حيث يقرر النبلاء بدقة مسبقًا على ماذا يراهنون. وهم يضعون رهاناتهم عادة على أول إصابة بجرح أو على نزع سلاح الخصم؛ وإنما توجد دائمًا مبارزة واحدة على الأقل حتى الموت، وهي التي يمكن مقارنتها بسباق أو بطولة ملاكمة.

يبلغ عدد سكان كامتول حوالي ٢٠٠ ألف نسمة، من بينهم ما يقرب من ٥٠٠٠ عبد. ونظرًا لأن الحرية المسموحة لي كانت كبيرة،

كنت أتجول في جميع أنحاء المدينة، ويرافقني بتانج دائمًا. أثار انتباهي ندرة وجود الأطفال، وسألت بتانج عن السبب.

أجاب: «يمكن لوادي الأبناء الأوائل أن يدعم على نحو مريح ٢٠٠ ألف ساكن فقط، ولذلك لا يُسمح إلا بعدد من الأطفال يُعوض عن الخسائر الناجمة عن الوفاة. وربما تكون خمنت، برؤيتك لشعبنا، أنه يجري تدمير العجائز وكذا غير الأكفاء؛ فلدينا حوالي ٦٥ ألف رجل مقاتل، وحوالي ضعف هذا العدد من النساء والأطفال الأصحاء. وهنا يوجد فصيلان، يذهب أحدهما إلى ضرورة خفض عدد النساء إلى حد كبير، بحيث يمكن زيادة عدد الرجال المقاتلين، في حين يصير الفصيل الآخر على أننا لسنا مُهددين من جانب أي أعداء أقوياء، وبالتالي يكفينا ٦٥ ألف رجل مقاتل».

«والغريب أن معظم النساء ينتمين إلى الفصيل الأول، على الرغم من أن هذا الفصيل، الذي يرى ضرورة خفض عدد الإناث، سيفعل ذلك عن طريق السماح بوضع عدد أكبر بكثير من البيض في الحاضنات، وقتل جميع الإناث اللواتي خرجن من البيض وعدد من النساء البالغات يماثل عدد الذكور الذين خرجوا من البيض. وربما يرجع ذلك إلى أن كل امرأة تعتقد أن هناك رغبة شديدة في تدميرها، وأن هذا المصير سيقع على امرأة أخرى. ويرى دو كسوس الإبقاء على الوضع الراهن؛ وإنما قد يرى أي جيداك في المستقبل الأمر بشكل مختلف؛ وحتى دو كسوس قد يغير رأيه لأنه، وأقولها لك بشكل سري، كثير التذبذب».

سرعان ما ذاعت شهرتي كمبارز بين الـ ٦٥ ألف مقاتل في كامتول،

وانقسمت الآراء بشكل غير متساوٍ حول قدرتي. ربما شهدت دزينة من رجال كامتول مبارزتي، وكانوا على استعداد لدعمي ضد أي شخص؛ على أن بقية الـ ٦٥ ألف رجل شعروا أن بإمكانهم التفوق عليّ في قتال فردي؛ لأنه سباق بين مقاتلين، يفتخر كل منهم بمهارته وبسالته.

وفي أحد الأيام، كنت أمارس بعض التمارين التدريبية في الحديقة مع بتانج، عندما جاء زازاك ومعه داتور آخر قال إن اسمه ناستور. أطلق بتانج صفيراً عندما رأهما قادمين، وقال بصوت منخفض: «أنا لم أرَ ناستور هنا من قبل. لا يحتاج زازاك إليه، كما أن ناستور يكره زازاك»؛ ثم صاح: «انتظر! لديّ فكرة عن سبب وجوده هنا. إذا طلبا منا إجراء مبارزة، دعني أطيح بسلاحك وسوف أقول السبب لاحقاً».

قلت: «حسنًا، وآمل أن يحقق ذلك الخير لك».

قال: «ليس لي، وإنما للداتور زازاك».

عندما اقترب الاثنان منا، سمعت ناستور يقول: «هذا إذن هو مبارزك العظيم! أود المراهنة على أن لديّ رجال يمكنهم التفوق عليه في أي يوم».

قال زازاك: «لديك رجال ممتازون؛ ومع ذلك، أعتقد أن رجُلِي يقدم نفسه جيدًا. ما قدر الرهان الذي تود عرضه؟».

قال ناستور: «لقد رأيت قتال رجالي، لكنني لم أرَ هذا الزميل من قبل وهو يقاتل. أريد أن أراه في الممارسة الفعلية، وبعدها يمكنني تحديد الاحتمالات».

قال زازاك: «جيد جدًا، هذا عدل»، ثم التفت إلينا: «يا دوتار سوجات، سوف تقدم عرضًا في فن المبارزة أمام داتور ناستور؛ وإنما ليست مبارزة حتى الموت.. أنفهم؟».

امتشقنا، أنا وبتانج، سيوفنا وتواجهنا. قال: «لا تنسَ ما طلبته منك»؛ ثم اشتبكنا.

لم أتذكر فقط ما طلبه مني، وإنما أدركت الآن أيضًا لماذا طلبه؛ وبالتالي قدمت عرضًا عاديًا تمامًا لفن المبارزة، عرضًا جيدًا بما يكفي إلى أن أسمح لبتانج أن يطيح بسلاحي.

قال ناستور: «إنه مبارز ممتاز»، وكان يعرف أنه يكذب، لكن لا يعرف أننا نعرف ذلك، ثم أضاف: «لكنني سأراهن بالمال أن بإمكان رجلي قتله».

سأله زازاك: «هل تعني مبارزة حتى الموت؟ عندئذ سوف أطلب بنسبة؛ فأنا لا أرغب أن يقا تل رجلي حتى الموت في أول قتال له».

قال ناستور: «سوف أعطيك اثنين إلى واحد، هل هذه نسبة مُرضية؟».

قال زازاك: «تمامًا. بأي مبلغ ترغب في الرهان؟».

أجاب ناستور: «ألف تانبي مقابل ٥٠٠ منك». يُعادل التانبي دولارًا تقريبًا بعملة الولايات المتحدة.

أجاب زازاك: «أريد أكثر مما يكفي لإطعام سوراك زوجتي». وتجدد الإشارة هنا إلى أن السوراك هو حيوان صغير يشبه القط

ولديه ست أرجل، وتحفظ به العديد من نساء مريخ كحيوان أليف؛ ولذا كان ما قاله زازاك يعني إبلاغ ناستور أننا لا نهتم بالقتال من أجل إطعام الدجاج. رأيت أن زازاك يحاول إغصاب ناستور كي يراهن بتهور، وعرفت عندئذ أنه لا بد أنه خمن أن بتانج اتفق معي على هذا العرض عندما تركت بتانج يطيح بسلاحي بسهولة.

كان ناستور يتذمر بغضب، وقال: «أنا لا أريد سرقتك، وإنما إذا كنت ترغب في التخلص من أموالك، يمكنك تحديد مبلغ الرهان». قال زازاك: «إنني أراهنك، لمجرد الإثارة، بمبلغ ٥٠ ألف تانبي في مقابل ١٠٠ ألف منك».

أذهل هذا العرض ناستور للحظة؛ لكنه لا بد فكر في سهولة إطاحة بتانج بسلاحي، لأنه ابتلع الطعم في النهاية. قال: «موافق! وأنا آسف لك ولرجلك»، ثم استدار بتهذيب مصطنع وغادر دون كلمة أخرى.

نظر نحوه زازاك ونصف ابتسامة على شفتيه؛ ثم التفت إلينا بعد أن تحقق من مغادرته. قال: «آمل أنكم كنتم تلعبون مجرد لعبة صغيرة؛ وإلا سوف أفقد ٥٠ ألف تانبي».

قال بتانج: «لا تقلق، يا أميري».

أجاب الداتور: «لن أقلق إلا إذا كان دوتار سوجات قلقاً».

أجبت: «هناك مقاومة دائماً في مشروع مثل هذا؛ لكنني أعتقد أنك حصلت على أفضل ما في الصفقة، وإلا كنت ستحصل على مجرد النسبة».

قال الداتور زازاك: «ثقتك على الأقل أكبر من ثقتي».

الفصل (٨)

أخبرني بتانج أنه لم يشهد من قبل مثل هذا الاهتمام بمبارزة حتى الموت مثلما شهدته بعد الإعلان عن الرهان بين زازاك وناستور. قال: «لن يُمثل ناستور محاربًا عاديًا. فقد تمكن من إقناع داتور أن يقاتل من أجله، وهذا الداتور يُعتبر أفضل مبارز في كامتول، واسمه نولات. لم يسبق لي من قبل أن سمعت عن أمير يقاتل عبدًا؛ لكنهم يقولون إن نولات يدين لناستور بقدر كبير من المال، وإن ناستور سيلغي الدين إذا فاز نولات، ونولات على يقين أنه سيفوز - إلى حد أنه رهن قصره لجمع المال للمراهنة على نفسه».

قلت: «على أي حال، ليس من الغباء أن يفعل ذلك؛ لأنه إذا خسر، لن يحتاج إلى قصره».

ضحك بتانج، وقال: «آمل ألا يحتاج إليه. ولكن لا تكن مفرطًا في ثقتك، لأنه يُعتبر أفضل مبارز بين الأبناء الأوائل؛ ومن المفترض ألا يوجد في برسوم كلها مبارز أفضل منه».

زادت عصبية زازاك وبتانج قبل يوم المحدد لمبارزتي مع نولات؛ كما كان حال جميع محاربي زازاك، الذين بدا أنهم يشعرون باهتمام شخصي تجاهي - باستثناء بان-تور، الذي أثرت عداوته بإطاحة سلاحه. وضع بان-تور عددًا من الرهانات ضدي؛ وظل يتفاخر بهذا الأمر، مُصرًا على أنني لست على مستوى نولات ولا بد أنني سأقتل سريعًا. نمت في غرفة صغيرة على فراء قديم متهالك، غرفة تليق بعبد. وكانت غرفتي متصلة بالغرفة التي شغلها بتانج؛ وبها باب واحد فقط، يفتح على غرفة بتانج. كانت في الطابق الثاني من القصر، وتطل على طرف الحديقة.

أيقظتني ضوضاء في غرفتي، في الليلة التي تسبق المباراة. وعندما فتحت عيني، رأيت رجلًا يقفز خارجًا من النافذة ويده سيف. ونظرًا لأن قمرَي المريخ ليسا في السماء، لم يكن الضوء كافيًا لأتأكد من إمكانية التعرف عليه؛ وإنما كان مألوفًا جدًا.

أخبرت بتانج، في صباح اليوم التالي، عن زائري الليلي. ولم يتمكن كلانا من تصور سبب دخول شخص إلى غرفتي متخفيًا، فليس لدي أي شيء يمكن سرقة.

قال بتانج: «ربما كان قاتلاً يريد وقف القتال».

قلت: «أشك في ذلك؛ فقد كانت لديه فرص كثيرة لقتلي، وأنا لم أستيقظ إلا عندما كان يقفز من النافذة إلى الخارج».

سألني بتانج: «هل نقص أي شيء لديك؟».

أجبت: «ليس لديّ أي شيء يمكن أن ينقص. ليس لديّ سوى عتادي وأسلحتي، وأنا أرتديها الآن».

وفي النهاية طرح بتانج اعتقاده أن الرجل ربما تصور وجود امرأة أمة تنام في الغرفة؛ ورحل عندما اكتشف خطأه. وبهذا التصور أسقطنا هذه المسألة من ذهننا.

ذهبنا إلى الملعب في حوالي الزود الرابع، وذهبنا على نحو أنيق -كان في الواقع موكباً عادياً: زازاك وزوجته، وإماؤها، وضباط زازاك ومحاربوه. امتطينا جميعاً حيوانات الثوات ذات الأغشية المزركشة، ترفرف فوقنا الرايات مثلثة الشكل، وأمامنا عازفي الأبواق. كان ناستور هناك وبصحبه نفس النوع من الأتباع والحاشية. تجولنا جميعاً حول الحلبة تصاحبنا صيحات التحية «كاور!»^(٤٥) - كانت صيحات كاور يصحبها تصفيق، وكان الهدير بمثابة صيحات استهجان. تلقيت من الهدير ما يزيد كثيراً على الكاور؛ لأنني قبل كل شيء عبد يواجه أميراً، رجل من دمهم.

بدأت بعض مباريات المصارعة والملاكمة، بالإضافة إلى عدد من المبارزات تنتهي عند سقوط أول نقطة من الدم، لكن الناس كانوا ينتظرون المبارزة حتى الموت. يتشابه الناس كثيراً في كل مكان. يذهبون في كوكب الأرض إلى مباريات الملاكمة أملاً في رؤية الدماء والضربة القاضية؛ ويذهبون إلى مباريات المصارعة على أمل رؤية شخص يُطرد

(٤٥) كاور: كلمة التحية بلغة أهل المريخ - http://barsoom.wikia.com/wiki/Martian_

Language - المترجمة.

خارج الحلبة مُعاقاً؛ ويأملون عند ذهابهم إلى سباقات السيارات في رؤية شخص يُقتل. وهم لا يعترفون بهذه الأشياء، لكن هذه المسابقات الرياضية لن تجذب الناس دون عنصر الخطر، بل وخطر الموت.

حانت اللحظة أخيراً لأدخل إلى الحلبة. ودخلت أمام جمهور شديد التميز. كان هناك دوكسوس، جيداك الأبناء الأوائل، ومعه الجيدارة^(٤٦). وازدحمت المقصورات بنبلاء كامتول. كان مشهداً رائعاً؛ حيث تألق عتاد الرجال والنساء بالمعادن والمجوهرات الثمينة، ورفرفت الرايات والأعلام من كل موقع.

اصطحبوا نولات إلى مقصورة الجيداك لتقديمه له وتحيته؛ ثم إلى مقصورة زازاك، حيث انحنى؛ وفي النهاية إلى مقصورة ناستور، الذي كان نولات يقاتل من أجله رجلاً غريباً حتى الموت.

أما أنا، ولكوني عبداً، فلم يقدموني إلى الجيداك؛ لكنهم أخذوني إلى ناستور بُغية أن يتعرف عليّ بوصفي الشخص الذي يراهن على هزيمته. وهذه، بطبيعة الحال، مجرد شكليات؛ لكنها تتفق وقواعد المباريات.

لم أتمكن سوى من إلقاء نظرة سريعة على الحاشية المرافقة لناستور ونحن ندور حول الحلبة لأنهم كانوا خلفنا؛ لكنني استطعت الآن إلقاء نظرة جيدة عليهم، عندما وقفت في الحلبة أمام ناستور، ورأيت لانا الجاثولية تجلس هناك بجانب الداتور. إذنً، الآن، سوف أقتل بالفعل رجل ناستور!

(٤٦) جيدارة: الملكة أو الإمبراطور - وهو الاسم الميرخي المؤنث لجيداك (الملك أو الإمبراطور) - <https://barsoom.fandom.com/wiki/Jedda> - المترجمة.

لهشت لانا الجاثولية وبدأت تتحدث معي؛ لكنني هزرت رأسي خشية أن تدعوني بالاسم، وهو ما قد يعادل هنا، عند الأبناء الأوائل، عقوبة الإعدام. كنت مندهشاً من عدم تعرّف أي من هؤلاء الرجال عليّ؛ إذ إن بشرتي البيضاء وعينيّ الرماديتين تجعلني ملفتاً للانتباه، كما لا بد أن يتذكّرني مَنْ كان منهم في وادي دور أثناء وجودي هناك. لكنني عرفت لاحقاً لماذا لم يعرفني أحد من قراصنة برسوم السود هؤلاء.

سألني ناستور: «لماذا تفعل ذلك، أيها العبد؟».

سألته: «أفعل ماذا؟».

أجاب: «تهز رأسك».

قلت: «ربما أنا متوتر».

قال بغير رسة: «يجب أن تكون متوتراً أيها العبد؛ لأنك على وشك الموت».

أخذوني بعد ذلك إلى موقع في الحلبة أمام مقصورة الجيّدك. كان معي بتانج، كمعاون للمبارز على ما أظن. تركانا نقف هناك بمفردنا لعدة دقائق، يبدو لإثارة أعصابي؛ ثم اقترب نولات، يرافقه تادور نبيل آخر. وجاء رجل خامس؛ ربما يمكن أن نسميه الحَكَم، على الرغم من أنه لم يفعل أي شيء غير إعطاء إشارة بدء المباراة.

كان نولات رجلاً ضخماً وقويّاً؛ وبنيته مثل بنية مقاتل. كما كان وسيماً للغاية، لكن تعبيره كان يتسم بالعجرفة والغطرسة. كان بتانج قد أخبرني أننا من المفترض أن نُحيي بعضنا بسيوفنا قبل أن نشبك؛ فقامت

بالتحية ما إن اتخذت موقعي، بينما سخر نولات قائلاً: «تعال يا عبد! أنت على وشك أن تموت».

قلت ونحن نشتبك: «لقد أخطأت يا نولات».

سألني وهو يندفع نحوي: «ماذا تقصد؟».

قلت وأنا أتفادى اندفاعه: «كان يجب أن تُحييني بطريقة أفضل. سيصبح الأمر أكثر صعوبة معك الآن - إلا إذا رغبت في التوقف لتوجه لي التحية كما كان يجب في البداية».

قال هادراً: «يا لك من كالوت وقح!»، واندفع نحوي بشراسة ليطعنني.

وللرد عليه، جرحته جرحاً بليغاً في خده الأيسر، وقلت ساخراً: «أخبرت أنك كان يجب عليك تحيتي».

ثار غضب نولات، واقترب مني بنية واضحة لإنهاء المباراة على الفور. أحدثت قطعاً على طول خده الآخر، وبعد لحظة قمت بنحت علامة تقاطع دموية على صدره الأيسر؛ وهي مناورة صعبة تتطلب خفة الحركة والمهارة الاستثنائية؛ لأن جانبه الأيمن كان في مواجهتي دائماً، أو كان يجب أن يكون في مواجهتي دائماً إذا كان سريعاً بما يكفي لمتابعة حركة أقدامي.

كان الجمهور صامتاً صمت القبور، باستثناء تحيات مجموعة زازاك. وكان نولات ينزف بغزارة، وتباطأت حركته إلى حد كبير.

وفجأة صاح شخص ما: «الموت!»، ثم تعالت أصوات أخرى

بالهتاف نفسه. أرادوا القتل؛ ولما كان واضحًا تمامًا عدم قدرة نولات على قتلي، افترضت أنهم يريدون مني أن أقتله. لكنني لم أقتله، وإنما أطحت بسلاحه، بحيث طار سيفه وقطع نصف الحلبة. ركض الحَكَم خلف السيف؛ فقد أعطيته أخيرًا شيئًا يقوم به.

نظرت نحو مساعد نولات وقلت بصوت عالٍ يمكن سماعه في أي جزء من الملعب: «إنني أمنح الرجل حياته».

تعالت على الفور صيحات «كاور!» و«الموت!». وكانت صيحات «الموت!» تمثل الأغلبية.

قال له مساعده: «إنه يمنحك حياتك، يا نولات».

قلت: «لكن الرهانات يجب سدادها بالدقة كما لو كنت قتلتك».

قال نولات: «إنها مبارزة حتى الموت، سوف أقاتل».

حسنًا، لقد كان رجلًا شجاعًا، ولذلك لم أرغب في قتله.

عاد إليه سيفه الآن، واشتبكنا ثانية. لم يتسم نولات هذه المرة ولم يسخر، ولم يتفوه بأي شيء سيئ ضدي. كان جادًا في قتاله، ويقاقل من أجل حياته مثل جرد مُحاصر. كما كان مبارزًا ممتازًا؛ لكنني لا أعتقد أنه أفضل مبارزي الأبناء الأوائل؛ لأنني رأيت العديد منهم يقاتلون من قبل، ويمكنني تسمية دزينة منهم يستطيعون قتله ببساطة.

كان بإمكانني أن أقتله في أي وقت أريد، لكنني بشكل ما لم أرغب في ذلك. بدا لي من العار أن أقتل مثل هذا المبارز الجيد والرجل الشجاع؛ ولذلك وخزته عدة مرات، وأطحت بسلاحه ثانية. قمت بذلك

ثلاث مرات أخرى؛ وعندما كان الحَكَم يركض ليعيد السيف لنولات مره أخرى، توجهت إلى مقصورة الجيداك وقمت بتحيته.

سألني أحد ضباط حرس الجيداك: «ماذا تفعل هنا، أيها العبد؟».

أجبت: «جئت لأطلب الحياة لنولات. إنه مبارز جيد ورجل شجاع - وأنا لست بقاتل؛ وسيكون اغتيالاً إذا قتلته الآن».

قال دو كسوس: «إنه طلب غريب؛ فالمبارزة حتى الموت، ويجب أن تستمر».

قلت: «أنا غريب هنا، وتقضي القواعد، من حيث جئت، أن المتسابق إذا أمكنه إظهار غش أو خداع، يحق له اتخاذ القرار دون الحاجة إلى إنهاء المسابقة».

سألني دو كسوس: «هل تعني أن هناك غش أو خداع من جانب داتور ناستور أو داتور نولات؟».

«أعني أن أقول إن رجلاً دخل غرفتي الليلة الماضية وأنا نائم، وأخذ سيفي، وترك سيفاً أقصر مكانه في الغمد. وهذا السيف أقصر بعدة بوصات من سيف نولات؛ وقد لاحظت ذلك عند بداية اشتباكنا. هذا ليس سيفي، ويمكن أن يشهد بذلك زازاك وبتانج إذا فحصاه».

استدعى دو كسوس كل من زازاك وبتانج، وطلب منهم فحص السيف وتحديده. قال زازاك إنه بإمكانه التعرف على السيف باعتباره من ترسانته، لكنه لا يعرف ما السيف الذي كان ممنوحاً لي، وأن بتانج هو من يعرف. وعندئذ التفت دو كسوس إلى بتانج.

سأله: «هل هذا هو السيف الذي تسلمه العبد دوتار سوجات؟».

أجاب بتانج: «لا، ليس هو».

«هل يمكنك أن تتعرف عليه؟».

«نعم».

«لمن هذا السيف؟».

أجاب بتانج: «إنه سيف محارب اسمه بان-تور».



الفصل (٩)

لم يكن هناك شيء أمام دوكسوس سوى اعتباري الفائز؛ كما أمر أيضًا بسداد جميع الرهانات، تمامًا كما لو كنت قتلت نولات. لم يكن ذلك جيدًا بالنسبة إلى ناستور، لا سيما أن دوكسوس جعله يدفع ١٠٠ ألف تانبي إضافية إلى زازاك في حضور الجيداك؛ ثم أرسل في طلب بان-تور.

كان دوكسوس غاضبًا؛ ذلك أن الأبناء الأوائل يفتخرون كثيرًا بشرفهم كمقاتلين، وما حدث يُعتبر وصمة عار على نُبلهم جميعًا. سألني: «هل هذا هو الرجل الذي دخل غرفتك الليلة الماضية؟». «كان الظلام حالكًا، ولم أر سوى ظهره؛ كان هناك شيء مألوف في هيئته، لكنني لم أتمكن من التعرف عليه تمامًا».

سأل بان-تور: «هل وضعت أي رهانات في هذه المباراة؟».

أجاب الرجل: «رهانات قليلة، يا جيداك».

«على مَنْ؟».

«على نولات».

التفت دو كسوس إلى أحد ضباطه وقال: «استدع جميع الذين راهن معهم بان-تور في هذه المباراة».

أرسلوا عبدًا يطوف بالفناء ويصيح لاستدعاء المطلوب مثلهم أمام الجيداك؛ وسرعان ما تجمع ٥٠ محاربًا أمام مقصورة دو كسوس. بدت التعاسة على وجه بان-تور؛ فمن كل محارب من الخمسين، توصل دو كسوس إلى معلومات مفادها أن بان-تور قد راهن بمبالغ كبيرة مع كل منهم، وأعطى في بعض حالات نسبًا كبيرة جدًا.

سأله دو كسوس: «كنت تعتقد أنك تراهن على شيء مؤكد، أليس كذلك؟».

أجاب بان-تور: «تصورت أن نولات سوف يفوز؛ فلا يوجد مبارز أفضل منه في كامتول».

«وكنت متأكدًا من أنه سيفوز ضد خصم سيفه أقصر. لقد جلبت العار، وأهنت الأبناء الأوائل. وعقوبتك أنك ستقاتل دوتار سوجات»؛ ثم التفت نحوي قائلاً: «يمكنك أن تقتله؛ وقبل أن تشتبك، سوف أرى بنفسى أن سيفك بنفس طول سيفه؛ على الرغم من أنه من العدل إجباره على القتال بالسيف الأقصر الذي أعطاه لك».

أجبت: «أنا لن أقتله، لكنني سأترك عليه علامة يحملها طوال حياته لتذكير الجميع بأنه مخادع».

عندما بدأنا في اتخاذ أماكننا أمام مقصورة الجيداك، سمعت الرهانات التي تُقدَّم مع نسب عالية مثل فوزي بنسبة مائة إلى واحد،

وعرفت لاحقاً تقديم عرض بنسبة ألف إلى واحد ولم يأخذها أي شخص. بدأنا المواجهة، وعندئذ سمعت ناستور يصيح: «لن أراهن، لكنني سأعطي بان-تور ٥٠ ألف ثاني إذا قتل العبد». يبدو أن الداتور النبيل كان غاضباً مني.

لم يكن بان-تور خصماً ضعيفاً؛ فهو ليس مبارزاً جيداً فحسب، بل يقاتل أيضاً من أجل حياته والفوز بـ ٥٠ ألف ثاني. لم يحاول هذه المرة القيام بأي تكتيكات مندفعة، وإنما قاتل بعناية، وغالباً في وضع دفاعي انتظاراً لأي خطوة خادعة مني تتيح له فرصة؛ لكنني لا أقوم بأي حركات خادعة، بل كان هو من قام بخطوة خادعة. فقد وجه لي طعنة، بعد هجوم مخادع، متصوراً أنه سوف يفقدني توازني.

أنا لا أفقد توازني أبداً. حركت سيفي مرتين بسرعة الضوء، وتركت قطعاً عميقاً على شكل حرف X في وسط جبين بان تور، ثم أطحت بسلاحه.

ودون أن أنظر حتى إليه مرة أخرى، توجهت إلى مقصورة دو كسوس وقلت: «أنا راضٍ. سوف يحمل هذه الندبة طوال حياته، وهذا عقاب كافٍ بالنسبة لي، وأسوأ من الموت».

أوماً دو كسوس موافقاً؛ ثم أمر نافخي الأبواق إعلان انتهاء المباريات، وبعد ذلك التفت نحوي ثانية. «من أي بلد أنت؟».

أجبت: «ليس لديّ بلد؛ أنا بانتان، وسيفي للبيع لأعلى مُزايد».

قال الجيداك: «سأشتريك، وبالتالي أكتسب سيفك أيضاً. ماذا

دفعت نظير هذا العبد يا زازاك؟».

أجاب زازاك: «١٠٠ تانبي».

قال دو كسوس: «لقد اشتريته بمبلغ زهيد. سوف أعطيك ٥٠ تانبي».

لا يوجد شيء مثل أن تكون في منصب جيداك!

قال زازاك بكرم: «إنه لمن دواعي سروري أن أهديه لك». لقد فزت له بمائة ألف تانبي، ولا بد أنه أدرك استحالة وضع رهان آخر ضدي.

وقد رحبت بهذا التغيير؛ لأنه سيأخذني إلى قصر الجيداك، ولديّ خطة تمهد الطريق للهروب في نهاية المطاف، ولا يمكن أن تنجح إلا بدخولي القصر - هذا إن كانت استنتاجاتي صحيحة.

وهكذا دخل جون كارتر، أمير هيليوم وأمير الحرب في برسوم، إلى قصر دو كسوس، جيداك الأبناء الأوائل، كعبد وإنما عبد يتمتع بسمعة ممتازة. عاملني المحاربون في حرس الجيداك بكل الاحترام، وأعطوني غرفة لائقة. وكان أحد الضباط الذين يثق بهم دو كسوس مسؤولاً عني، تمامًا كما كان بتانج في قصر زازاك.

كنت في حيرة لسبب شراء دو كسوس لي. لا بد أنه يعرف عدم إمكانية ترتيب مبارزة لي من أجل المال؛ فمن الأحمق الذي يقدم رجلًا أو رهانًا ضد شخص جعل العديد من أفضل مبارزي كامتول يبدون كمبتدئين؟

بيد أنني اكتشفت السبب في اليوم التالي. أرسل دو كسوس لرؤيتي.

كان وحده في غرفة صغيرة عندما أدخلني مرافقي، وصرف فوراً المحارب الذي رافقني.

بدأ حديثه: «رأيت عند دخولك الوادي العديد من الهياكل العظمية، أليس كذلك؟».

أجبت: «نعم».

قال: «مات هؤلاء الرجال وهم يحاولون الهرب. ويستحيل أن تحقق أي نجاح أفضل منهم. وأنا أقول لك هذا لكي لا تقوم بمحاولة هروب. قد تعتقد أنك بقتلي قد تتمكن من الهرب خلال الارتباك الذي سيترتب على موتي؛ لكنك لن تستطيع؛ لا يمكنك الهروب من وادي الأبناء الأوائل. وإنما يمكنك أن تعيش هنا مستريحاً، إذا كنت ترغب في ذلك. كل ما عليك أن تعلمني حيل المبارزة التي تفوقت بها على خيرة مبارزي الأبناء الأوائل. أريدك أن تقوم بذلك، ولكن بسرية تامة دون أن تخرج أي كلمة على الإطلاق من شفتيك، وإلا ستعاني ألم الموت الفوري - وأؤكد لك أنه موت غير سار أبداً. ماذا تقول؟».

قلت: «يمكنني أن أعدك بأقصى قدر من السرية، لكني لا أستطيع أن أعدك بأنني سأجعلك أعظم مبارز بين الأبناء الأوائل؛ فتحقيق ذلك يعتمد إلى حد ما على قدرتك الأصلية. ومع ذلك، سوف أقوم بتعليمك».

قال: «أنت لا تتحدث مثل بانتان مسكين، بل كرجل اعتاد التحدث مع جيداك، وعلى قدم المساواة».

قلت: «ربما عليك أن تتعلم الكثير حول كيفية أن تكون مبارزًا، ولكنني يجب أن أتعلم المزيد حول كيفية أن أكون عبدًا».

استاء من كلامي، ثم نهض وطلب مني أن أتبعه. مررنا خلال باب صغير يقع خلف المكتب الذي كان يجلس عليه، ثم نزلنا أسفل منحدر يؤدي إلى الحُفر تحت القصر. وعند نهاية المنحدر دخلنا غرفة كبيرة جيدة الإضاءة وتضم محافظ ملفات، وأريكة، والعديد من المقاعد الطويلة، وطاولة تتناثر عليها مواد الكتابة وأدوات الرسم.

قال دو كسوس: «هذه شقة سرية. لا يستطيع الوصول إليها سوى شخص واحد فقط غيري، ولن يزعجنا أحد هنا. أما الرجل الآخر الذي تحدثت عنه، فهو خادمي الأكثر ثقة وقد يأتي هنا في بعض الأحيان، لكنه لن يكشف سرنا الصغير. دعنا نبدأ العمل. بالكاد ما أستطيع الانتظار إلى اليوم الذي سيمكنني فيه مبارزة بعض هؤلاء النبلاء المغرورين، الذين يظنون أنهم مبارزون عظماء بالفعل. ألن يُفاجئهم ذلك؟!».



الفصل (١٠)

لم يكن لديّ أي نية للكشف عن جميع حيلي في المباراة إلى دو كسوس؛ على الرغم من أن الأمر لا يتعلق بأي خطر عليّ، فلا يمكنه أبدًا أن يقف معي على قدم المساواة؛ لأنه لا يستطيع على الإطلاق أن يماثل قوتي أو خفة حركتي.

كنت أدربه على الإطاحة بسلاح الخصم، عندما فُتح باب في مواجهة الباب الذي دخلنا منه، وجاء رجل إلى الغرفة. وفي الفترة الوجيزة الذي ظل خلالها الباب مفتوحًا، رأيت وراءه غرفة ساطعة الإضاءة؛ ولمحت ما يبدو ماكينة معقدة بشكل يثير الدهشة.

كان سطحها مُغطى بأقراص، وأزرار، وغيرها من الأدوات - ذكرتني بالجهاز الذي ربطوني به خلال الاختبار الغريب الذي أخضعوني له عند دخولي إلى المدينة.

فوجئ الوافد الجديد عندما رأي. رأي رجلاً غريبًا تمامًا، وواضح أنه عبد، ويقف يحمل سيفًا في مواجهة جيداك الأبناء الأوائل. سحب الزميل مسدسه الراديوم على الفور، لكن دو كسوس تدارك الأمر وأوقف المأساة.

قال: «كل شيء على ما يرام، يا مير-لو، يدريني هذا العبد على بعض حيل المبارزة. اسمه دوتار سوجات، وسوف تراه هنا معي يومياً. ماذا تفعل هنا الآن؟ هل حدث شيء؟».

قال مير-لو: «هرب عبد في الليلة الماضية».

«وقبضت عليه بالطبع، أليس كذلك؟».

«الآن فقط. أعتقد أنه قطع حوالي نصف الطريق إلى الجرف».

قال دو كسوس: «جيد! لنعد إلى عملنا، دوتار سوجات».

شغلني جداً ما سمعته ورأيتُه الآن، وما تصورت أنه يعني ضرورة بذل الجهد لإبقاء تركيز ذهني على عملي؛ إلى حد أنني سمحت لدو كسوس دون قصد أن يخزني. وكان سعيداً كالطفل.

صاح: «رائع! لقد تحسنتُ في درس واحد، بحيث تمكنتُ من لمسك! ولا حتى نولات نفسه يمكنه فعل ذلك. سنتوقف الآن. وأعطيك حرية الحركة في المدينة. لا تتجاوز البوابات». ذهب إلى الطاولة، واستغرق دقيقة لكتابة شيء؛ ثم سلمني ما كتبه. قال: «خُذ هذا، وسيسمحون لك بالذهاب إلى حيث تريد في جميع الأماكن العامة، والعودة إلى القصر».

ما كتبه هو:

«لقد منحت دوتار سوجات، العبد، حرية الحركة في القصر والمدينة».

دو كسوس،

الجيدالك».

عُدت إلى غرفتي، وعقدت العزم على السماح لدوكسوس أن
يخزنني كل يوم. وجدت مان-لات، الضابط المكلف بالاعتناء بي،
بمفرده في غرفته المجاورة لغرفتي.

قلت له: «سوف تقل واجباتك».

سألني: «ماذا تقصد؟».

أعطيته التصريح.

قال: «لا بد أنك تروق لدوكسوس. فلم أعرف من قبل أي عبد
يُمنح هذا القدر من الحرية. ولكن، لا تحاول الهرب».

«ما أعرفه يجعلني لا أحاول الهرب. فقد رأيت الهياكل العظمية من
أعلى الجرف إلى أسفله».

قال مان-لات: «نحن نسميهم أطفال مير-لو؛ وهو فخور جدًا
بهم».

سألته: «ومن هو مير-لو؟».

أجاب مان-لات: «إنه شخص على الأرجح لن تراه أبدًا. فهو
يلتصق بأوانيهِ وغلاياته، ومخارطه ومثاقبه، فضلاً عن أدوات الرسم».

سألته: «هل يعيش في القصر؟».

«لا أحد يعرف أين يعيش، إلا إذا كان الجيداك يعرف. يقولون إن
لديه شقة سرية في القصر، لكنني لا أعرف أي شيء عن ذلك. لكن ما
أعرفه هو أنه أقوى رجل في كامتول، بعد دوكسوس؛ وأنه يتمتع بقوة
الحياة والموت على كل رجل وامرأة في وادي الأبناء الأوائل. لماذا،

لأن بإمكانه إلحاق ضربة مميتة بأي منا بينما نحن نجلس هنا نتحدث، ولن نرى أبدًا ما قتلنا».

أصبحت الآن أكثر اقتناعًا مما سبق أنني وجدت في تلك الغرفة السرية تحت القصر ما كنت آمل في العثور عليه، ولكن كيف يمكن الاستفادة من هذه المعرفة؟!

انتهزت على الفور فرصة حرיתי في الخروج إلى المدينة، التي لم أشهد منها سوى جزء فقط خلال الفترة القصيرة التي خرجت فيها مع بتانج. فوجئ الحراس عند بوابة القصر، مثلهم مثل مان-لات، عندما قرأوا تصريحِي. ما زلت بالطبع، سواء بالتصريح أو من دونه، خصمًا وعبدًا - أي شخص يُنظر إليه بشك وازدراء؛ لكن الازدراء في حالتي كان أقل لمعرفةهم أنني هزمت أفضل مبارزينهم. أشك أن بإمكانك إدراك مدى التقدير العالي لمبارز كبير في كل مكان على المريخ. إنهم يجعلونه في بلده، كما هو حال خوان بيلمونت^(٤٧) في إسبانيا أو جاك ديمبسي^(٤٨) في أمريكا.

لم أكن قد ابتعدت كثيرًا عن القصر عندما تصادف أن نظرت إلى أعلى، ولدهشتي رأيت عددًا من الطائرات التي تهبط في اتجاه المدينة. كان جميع الأبناء الأوائل الذين رأيتهم في وادي دور من رجال الطيران؛

(٤٧) خوان بيلمونت: هو مصارع ثيران إسباني شهير (١٨٩٢-١٩٦٢)، وتوفي في إسبانيا بسبب إصابة بعيار ناري - المترجمة.

(٤٨) جاك ديمبسي: هو ملاكم أمريكي (١٨٩٥-١٩٨٣)، وكان من أشهر ملاكمي الوزن الثقيل شعبية - المترجمة.

ولكن لم يسبق لي أن رأيت أي طائرات في الوادي، وهو ما أثار دهشتي.
تتسم طائرات المريح بأنها أخف من الهواء؛ بسبب استخدام ذلك
الاكتشاف الرائع المتمثل في أشعة الدفع، التي تميل إلى دفعهم بعيداً
عن الكوكب. وبالتالي تستطيع الطائرات أن تهبط عمودياً على مساحة
أكبر من الطائرة قليلاً، وكانت الطائرات التي شاهدها تهبط في المدينة
على مسافة غير بعيدة عن القصر.

طائرات فضائية! أعتقد أن ضربات قلبي تسارعت قليلاً عند
مشاهدتهم. طائرات فضائية! إنها وسيلة للهروب من وادي الأبناء
الأوائل. قد يتطلب الأمر قدرًا كبيرًا من التخطيط، وسينطوي بالتأكيد
على مخاطر هائلة؛ ولكن إذا سارت الأمور بشكل جيد في الجزء الآخر
من خطتي، قد أجد وسيلة - طائرة فضائية.

اتخذت طريقي نحو البقعة التي رأيت الطائرات تختفي عندها
وراء أسطح المباني بالقرب مني، وأخيرًا أثمر بحثي. وصلت إلى مبنى
ضخم بارتفاع ثلاثة طوابق، ورأيت على سطحه جزءًا من طائرة. تقع
عملياً جميع حظائر الطائرات في برسوم على أسطح البنايات، حفاظاً
على المساحات في المدن المزدحمة المسورة؛ ولذلك يدهشني وجود
حظيرة في هذا الموقع في كامتول.

اقتربت من مدخل المبنى، عازماً على تفتيشه وتفتيش بعض السفن
الفضائية إذا أمكنني الدخول. خطوت إلى المدخل، ومنع دخولي
محارب بسيفه المسحوب.

سألني: «إلى أين تعتقد أنك ذاهب، يا عبد؟».

أعطيته تصريحه.

فوجئ مثله مثل الآخرين الذين قرأوا التصريح. وقال: «ينص التصريح على حرية الحركة في القصر وفي المدينة، ولم يذكر حرية الحركة في حظائر الطائرات».

سألته: «الحظائر في المدينة، أليس كذلك؟».

هز رأسه. «إنها في المدينة، لكنني لن أسمح لك بالدخول. سوف أستدعي الضابط».

وبالفعل، استدعى الضابط. حضر الضابط وصاح بمجرد رؤيتي: «أنت! أنت العبد الذي كان بإمكانه قتل نولات لكنك أنقذت حياته. ماذا تريد هنا؟».

سلمته تصريحه، وقرأه بعناية عدة مرات. قال: «لا يبدو ممكناً، لكن مبارزتك لم تكن تبدو ممكنة أيضاً. لا يزال يصعب عليّ تصديق ذلك. كان نولات يُعتبر أفضل مبارز في كامتول؛ وجعلته يبدو وكأنه امرأة عجوز بساق واحدة. لماذا تريد أن تدخل هنا؟».

قلت بسداجة: «أريد أن أتعلم الطيران».

ضرب فخديه بيديه وهو يضحك. «إما أنك أحمق، وإما أنك تعتقد أننا نحن الأبناء الأوائل حمقى، إذا تصورت أننا قد نُعلم عبداً الطيران».

قلت: «حسناً، على أي حال، أود أن أدخل وألقي نظرة على الطائرات. وهذا لن يسبب أي ضرر. فقد كنت دائماً مهتماً بها».

فكر لحظة، ثم قال: «نولات هو أعز صديق لي؛ وكان يمكنك قتله،

لكنك رفضت. ولذلك، سوف أسمح لك بالدخول».

قلت: «شكرًا لك».

كان الطابق الأول من المبنى مكرسًا إلى حد كبير للمحال التجارية التي يجري فيها بناء أو إصلاح الطائرات. واكتظ الطابقان الثاني والثالث بالطائرات، ومعظمها من الطائرات الصغيرة والسريعة التي يشتهر بها قراصنة برسوم السود. يوجد على السطح أربعة سفن حربية كبيرة، يقف تحتها عدد من الطائرات الصغيرة التي من الواضح ليس لها مكان في الطوابق الأدنى.

لا بد أن البناية تُغطي عدة فدادين؛ ولذلك تضم الحظائر عددًا هائلًا من الطائرات. يمكنني رؤيتهم الآن، كما رأيتهم منذ سنوات، يحتشدون مثل البعوض الغاضب على منحدرات الثيرن المقدسة الذهبية؛ ولكن ماذا تفعل هذه الطائرات هنا؟ لقد كنت افترض أن الأبناء الأوائل يعيشون في وادي دور فقط، على الرغم من أن أغلب البرسوميين لا يزالون يعتقد أنهم جاءوا من ثوريا^(٤٩)، القمر الأقرب. تلك النظرية التي شهدت دحضها عندما كاد زودار، القرصان الأسود، أن يموت من نقص الأكسجين ما إن حلقت عاليًا أثناء الهروب منهم؛ ونجوت أنا وثوفيا في ذلك الوقت من الثيرن خلال معركتهم مع القراصنة السود. وإذا لم يستطع رجل العيش من دون أكسجين، فلا يمكنه الطيران ذهابًا وإيابًا بين ثوريا وبرسوم في طائرة فضائية مفتوحة.

(٤٩) ثوريا: القمر الأقرب للمريخ من قمرين يدوران حوله؛ ومعروف في كوكب الأرض باسم فوبوس <http://barsoom.wikia.com/wiki/Thuria> - المترجمة.

أرسل الضابط محاربًا معي، وأعتقد إنه إجراء وقائي ضد أي عمل تخريبي؛ وسألت هذا الزميل عن سبب عدم رؤيتي لأي سفن في الهواء منذ مجيئي، باستثناء هذا العدد القليل الذي رأيته اليوم.

أجاب: «نحن نطير غالبًا في الليل، حتى لا يستطيع خصومنا رؤية مواقع الإقلاع أو الهبوط. أما الطائرات التي رأيتموها قادمة قبل دقائق، فهم زوار من دور. وهذا قد يعني أننا قد نخوض حربًا، وأنا آمل ذلك. فلم نقوم بمداخلة أي مدينة منذ فترة طويلة. وإذا كانت غارة كبيرة، فسوف يتشكل فريق من دور ومن كامتول معًا».

بعض القراصنة السود من وادي دور! سيتعرفون عليّ الآن إذن.



الفصل (١١)

ابتعدت عن مبنى الحظيرة، ثم استدرت ونظرت إلى الوراء لدراسة كل تفاصيله المعمارية؛ ثم مشيت حول المبنى بأكمله، الذي يغطي ميداناً كاملاً، مع وجود طرق على جوانبه الأربعة كلها. كان هذا المبنى، مثل جميع المباني المريخية تقريباً، مزخرفاً بمنحوتات عميقة. وهو يقع في قسم فقير من المدينة، على الرغم من أنه لا يبعد عن القصر؛ وتحيط به منازل صغير ومتواضعة. وهي على الأرجح منازل الحرفيين الذين يعملون حول الحظيرة. وعلى بُعد قليل من الحظيرة، بدأ يظهر قسم من المحال التجارية الصغيرة. كنت أشاهد خلال سيري السلع المعروضة، ورأيت شيئاً جعلني أتوقف فجأة، لأنه أوحى لي بإضافة شيء جديد إلى خططي التي تشكل سريعاً للهرب من وادي الأبناء الأوائل - الذي لم يهرب منه أحد من قبل. من الجيد أحياناً ألا تقيدك السوابق كثيراً.

دخلت المحل وسألت المالك عن ثمن القطعة التي أريدها. بلغ سعرها ٣ تيسي فقط، أي ما يعادل حوالي ثلاثين سنتاً بعملة الولايات المتحدة؛ على أن هذه المعلومة جعلتني أدرك أنني لا أحمل عملة الأبناء الأوائل.

لا تختلف وسيلة التبادل في المريخ عنها في كوكب الأرض، باستثناء أن القطع النقدية بيضاوية الشكل؛ وتوجد ثلاث قطع فقط: بي وتُنطق باي، وقيمتها حوالي سنت؛ وتيسبي، وتعادل عشرة سنتات؛ وتانبي، ويعادل دولارًا واحدًا. وهذه القطع النقدية بيضاوية؛ واحدة من البرونز، وواحدة من الفضة، وواحدة من الذهب. ويجري إصدار النقود الورقية من جانب الأفراد، بما يماثل كتابتنا للشيكات، ويستردها الفرد مرتين سنويًا. وإذا أصدر رجل أوراقًا نقدية أكثر مما يمكنه استرداده، تدفع الحكومة لدائنيه بالكامل، بينما يعمل المدين بقدر هذا المبلغ في المزارع أو المناجم المملوكة للحكومة. كانت معي نقود بعملة هيليوم تصل قيمتها إلى حوالي ٥٠ تانبي، وسألت المالك ما إذا كان يقبل مبلغًا أكبر من السعر المطروح ولكن بعملة أجنبية. ولما كانت قيمة المعدن تساوي قيمة العملة، فقد وافق بسرور أن يحصل على دولار واحد من الذهب على ما قيمته ثلاثين سنتًا من الفضة؛ ثم أخذت السلعة التي أردتها ووضعتها في جيب حقبتي وغادرت.

رأيت أمامي، عند اقترابي من القصر، رجلًا أبيض البشرة يحمل حِمْلًا ثَقِيلًا على ظهره. لا يوجد في كامتول، بقدر ما أعرف، إلا رجل واحد فقط أبيض البشرة؛ وهو بان دان تشي، ولذلك أسرعته للحاق به. كان بالتأكيد الأورفاري من هورتز؛ وعندما جئت وراءه وناديته بالاسم، كاد حِمْلُه أن يسقط من فرط مفاجأته.

صاح: «جون كارتر!».

قلت لتحذيره: «صمتًا! اسمي دوتار سوجات. إذا عرف الأبناء

الأوائل أن جون كارتر في كامتول، أكره أن أفكر في ما سيحدث له. أخبرني عن نفسك. ماذا حدث لك منذ آخر مرة رأيتك فيها؟».

«اشتراني داتور ناستور، الذي لديه سُمعة بأنه أصعب سيد في كامتول. وهو أيضًا أكثرهم بُخلًا؛ فقد اشتراني لمجرد أنه تمكن من شرائي بسعر رخيص، وكما اشترى جاد-هان أيضًا. إنه يجعلنا نعمل ليلاً ونهارًا، ويعطينا القليل جدًا من الطعام - بل وطعام سيئ أيضًا. ومنذ أن خسر مائة ألف تاني إلى زازاك، ونحن كأنا نعمل عند رجل مهووس».

وفجأةً صاح: «باسم سلفي الأول!؛ أنت إذن الذي هزم نولات وتسبب في فقدان ناستور كل هذا المال! لم أدرك ذلك إلا الآن. فقد قالوا إن العبد الذي فاز في المسابقة اسمه دوتار سوجات، وهذا الاسم لم يكن يعني شيئًا إلا الآن - كنت بطيئًا قليلًا في فهم الأمر».

سألته: «هل رأيت لانا الجاثولية؟ كانت في مقصورة ناستور أثناء المباريات؛ ولذلك افترضت أنه اشتراها».

أجاب بان دان تشي: «نعم، لكنني لم أرها؛ على أنني سمعت بعض الثرثرة في مساكن العبيد، وأشعر بالقلق من الهمس الذي يدور في القصر».

«ماذا سمعت؟ شعرت أنها في خطر عندما رأيتها في مقصورة ناستور. إنها جميلة جدًا، وجمالها يجعلني أقلق على أمانها».

قال بان دان تشي: «كانت آمنة تمامًا في البداية، عندما اشتريتها

في الأصل زوجة ناستور الأساسية. كان كل شيء جيدًا نسبيًا إلى أن شاهدتها ناستور جيدًا أثناء المباريات، ثم حاول أن يشتريها من زوجته. لكنها، واسمها فان-تيجا، رفضت أن تبيعها له. غضب ناستور وأخبر فان-تيجا أنه سيأخذ لانا على أي حال، ولذا قامت فان-تيجا بحبسها في شقة في أعلى البرج الخاص بمسكنها في القصر، ووضعت حراسها الشخصيين لحراستها عند المدخل الوحيد». ثم قال مُشيرًا إلى أعلى: «ها هو البرج،» ربما تنظر لانا الجاثولية إلى أسفل الآن، نحونا».

نظرت إلى البرج، ورأيتة يرتفع فوق القصر الذي يقع مباشرة عبر الساحة المركزية الكبيرة لقصر الجيداك؛ ورأيت شيئًا آخر - رأيت نوافذ شقة لانا من دون قضبان.

سألته: «هل تعتقد أن لانا تواجه أي خطر مباشر؟».

أجاب: «نعم، أظن ذلك. يُشاع في القصر أن ناستور سيقود محاربين إلى مسكن فان-تيجا في القصر، ويحاول أن يدخل البرج بالقوة».

«ليس لدينا وقت نضيعه إذن، بان دان تشي. يجب أن نتصرف الليلة».

سألني: «ولكن ماذا يمكن أن يفعل اثنان من العبيد؟ حتى لو نجحنا في إخراج لانا من البرج، لن تتمكن أبدًا من الهرب من وادي الأبناء الأوائل. لا تنسَ الهياكل العظمية، جون كارتر».

قلت: «ثق بي، ولا تُنادني جون كارتر. هل يمكنك الخروج من قصر ناستور بعد حلول الظلام؟».

«أعتقد ذلك؛ فهم في حالة تراخ شديدة لأن الاغتيال والسرقة غير معروفين عملياً هنا، كما أن الجهاز السري للجيداك يجعل الهرب من الوادي مستحيلاً. أنا على يقين أنني أستطيع الخروج. وفي الواقع، يرسلونني في مهمات كل ليلة منذ شرائي».

قلت: «جيد! والآن استمع بعناية: عليك أن تخرج من القصر، وتتسكع في الظلال بالقرب من قصر ناستور في حوالي الزات الخامس والعشرين بعد الزود الثامن (منتصف الليل، بتوقيت كوكب الأرض). ويمكنك إحضار جاد-هان معك إذا أراد الهرب. إذا نجحت خطتي، سوف تهبط طائرة هنا في الساحة القريبة منك؛ عليك أن تذهب إليها وتصعد على متنها. سيكون قائدها من القراصنة السود، فلا تدع هذا يشيك. إذا استطعت أنت وجاد-هان تسليح نفسيكما، قوما بذلك؛ فقد نواجه قتالاً. وإذا لم تأتِ الطائرة، سوف تعرف أنني فشلت؛ ويمكنك العودة إلى مسكنك ولن تكون أسوأ حالاً. إذا لم آت، سيكون السبب أنني ميت، أو على وشك أن أموت».

سألني: «ولانا؟ ماذا عنها؟».

قلت مؤكّداً: «تدور خططي كلها حول إنقاذ لانا الجاثولية. وإذا فشلت في ذلك أكون فشلت في كل شيء؛ لأنني لن أغادر من دونها». قال: «أتمنى أن تخبرني كيف تتوقع تحقيق المستحيل. أعرف أنني سوف أشعر بيقين أكبر في النتيجة إذا أخبرني بشيء على الأقل من خططك».

قلت: «بالتأكيد، في المقام الأول...».

سأل صوت خشن خلفنا: «ماذا يفعل عبدان بتسكعهما هنا؟». استدرت، ورأيت محاربًا قوي البنية عند كتفي. أجبته عليه بأن أعطيته تصريح الموقع من الجيداك. نظر نحوي، بعد أن قرأه، كما لو أنه لا يصدق؛ ثم أعاده لي قائلاً: «هذا صحيح بالنسبة لك، ولكن ماذا عن هذا الآخر؟ هل لديه تصريح أيضًا من الجيداك؟».

قلت: «الخطأ خطئي. كنت أعرفه قبل القبض علينا، وأوقفته لأسأله عن أحواله. وأنا متأكد أن الجيداك إذا عرف ذلك، سيقول إن من حقي التحدث مع صديق. فالجيداك لطيف للغاية معي». كنت أحاول إقناع المحارب بأن الجيداك يتصرف بلطف معي، وأعتقد أنني نجحت. قال: «جيد جدًا، ولكن امض في طريقك الآن - الساحة الكبرى ليست مكانًا يتزاور فيه العبيد».

أخذ بان دان تشي حملة وغادر. وكنت على وشك المغادرة عندما احتجزني المحارب. قال: «لقد رأيتك تهزم نولات وبان-تور في المباريات. وكنا نتحدث عن ذلك منذ فترة قصيرة مع بعض أصدقائنا من وادي دور. وقالوا إن محاربًا أتاها ذات يوم مثل هذا المبارز الرائع. كان اسمه جون كارتر، وبشرته بيضاء وعينه رماديتان! هل اسمك، بالمصادفة، جون كارتر؟».

أجبت: «اسمي دوتار سوجات».

قال: «يريد أصدقاؤنا من وادي دور الإمساك بجون كارتر»؛ ثم ابتسم ابتسامة صغيرة سيئة، واستدار، وتركني.

الفصل (١٢)

لقد زادت الآن -لمائة ضعف في الواقع- أهمية الإسراع في الهرب. ما دام رجل واحد في كامتول يشتهه في أنني جون كارتر، أمير هيليوم، فسوف أضيع غداً على أقصى تقدير - وربما قبل حلول الغد. خشيت حتى وأنا أدخل القصر أن يعتقلوني، لكنني وصلت إلى غرفتي دون أحداث. جاءني الآن مان-لات؛ وتوقعت الأسوأ عند رؤيته، لأنه لم يزرني من قبل. كان سيفي جاهزاً للقفز من غمده؛ لأنني قررت أن أموت وأنا أقاتل، ولا أسمح لهم باعتقالي وتجريدي من سلاحي. وحتى إذا قام مان-لات بأي خطوة مخادعة الآن، يمكنني قتله؛ وإنما ربما لا تزال هناك فرصة أن تؤتي خطتي ثمارها بنجاح.

كان مان-لات في مزاج ودي، ومرح. قال: «من المؤسف أنك عبد؛ إذ توجد أشياء عظيمة في القصر الليلة. يريد دو كسوس تسلية زواره من دور. هناك الكثير من الطعام والشراب، فضلاً عن الترفيه. ربما يجعلك دو كسوس تقدم عرضاً لفنون المبارزة مع أحد أفضل مبارزيننا - ولكن ليس حتى الموت، أنت تفهم، وإنما فقط لإراقة أول قطرة دم. كما

سترقص الإمام؛ حيث يقدم النبلاء أجملهن. وقد أصدر دو كسوس أمره إلى ناستور كي يحضر العبة الجديدة التي اشتراها، التي كان جمالها موضوع حديث كامتول منذ المباريات الأخيرة. نعم، من المؤسف أنك لست من الأبناء الأوائل بحيث يمكنك الاستمتاع بهذه الأمسية».

قلت: «أنا متأكد من أنني سوف أستمتع بالأمسية».

سألني: «وكيف ذلك؟».

«ألم تقل أنني سأكون هناك؟».

«أوه، نعم؛ ولكن فقط كفنّان. لن تأكل أو تشرب معنا، ولن تشاهد الإمام. من السيئ للغاية حقاً أنك لست من الأبناء الأوائل؛ لكنك فخرًا لنا».

ونظرًا لسأمي من غطرسة الأبناء الأوائل وغرورهم، قلت: «أشعر أنني على قدم المساواة تمامًا مع أي من الأبناء الأوائل».

نظر نحوي مان-لات في مفاجأة مؤلمة. وقال: «أنت عبد وقح. ألا تعرف أن أبناء برسوم الأوائل، الذين يُعرفون أحيانًا لأمثالكم من المخلوقات الأدنى باسم قراصنة برسوم السود، هم أقدم عرق على هذا الكوكب. إن سلالتنا ترجع مباشرة، دون انقطاع، إلى شجرة الحياة التي ازدهرت في وادي دور منذ ٢٣ مليون سنة».

«شهدت ثمرة هذه الشجرة تغيرات تدريجية في تطورها، خلال عصور لا تُعد ولا تُحصى، حيث مرت بدرجات من الحياة النباتية

الحقيقية إلى مزيج من النبات والحيوان. كانت ثمرة الشجرة، في الأطوار الأولى من تلك المرحلة، لا تمتلك سوى قوة العمل العضلي المستقل، بينما ظل الجذع مرتبطاً بالنبات الأصلي. وفي وقت لاحق، تطور المخ في الثمرة؛ ظلت الثمار معلقة هناك بسيقانها الطويلة، وإنما أخذت تفكر وتتحرك كأفراد».

«ثم بدأت المقارنة، مع تطور الإدراك؛ وأمكن التوصل إلى الأحكام ومقارنتها، وبالتالي وُلد العقل وقوة العقل على برسوم».

«مرت العصور. وجاءت أشكال كثيرة من الحياة وذهبت فوق شجرة الحياة، لكنها ظلت جميعاً معلقة بالنبات الأصلي عن طريق سيقانها ذات الأطوال المختلفة. ومع مرور الوقت، أصبحت الثمرة على الشجرة تتكون من رجال نبات صغيرين، مثل الذين نراهم الآن بأبعاد ضخمة في وادي دور؛ لكنهم لا يزالون معلقين على أطراف وفروع الشجرة بالسيقان التي نمت من قمم رؤوسهم».

«والبراعم التي ازدهر منها رجال النبات تشبه الجوز الكبير الذي يبلغ قطر الواحدة منه حوالي سوفاد (١٧, ١١ بوصة بمقاييس كوكب الأرض)، وجدرانه مقسمة بفواصل مزدوجة إلى أربعة أقسام. نما رجل النبات في أحد الأقسام؛ ونمت دودة بست عشرة أرجل في القسم الثاني؛ ونما سلف القرد الأبيض في الثالث؛ ونما رجل برسوم الأسود البدائي في الرابع».

«وعندما انفجر البرعم، ظل رجل النبات يتدلى في نهاية جذعه؛ لكن الأقسام الثلاثة الأخرى سقطت على الأرض، والجهود التي بذلها

شاغلوها السجناء للهرب جعلتهم يتحركون في جميع الاتجاهات».

«وهكذا، مع مضي الوقت، أصبحت برسوم كلها مغطاة بهذه المخلوقات السجينة. وقد عاشوا حياتهم الطويلة داخل أصدافهم الصلبة لعدد لا يُحصى من العصور، ينتقلون ويقفزون في أنحاء الكوكب الواسع، يقعون في الأنهار، والبحيرات، والبحار، وينتشرون إلى أبعد من ذلك على سطح العالم الجديد».

«ماتت بلايين لا تُحصى قبل أن يكسر أول رجل أسود أسوار سجنه ويخرج إلى ضوء النهار. وبدافع من الفضول، كسر أصداف أخرى، وبدأ شعب برسوم».

«وظلت السلالة النقية من دم هذا الرجل الأسود الأول غير ملوثة بالاختلاط مع المخلوقات الأخرى؛ لكن جميع أشكال الحياة الأخرى على برسوم ظهرت من الدودة ذات الأرجل الست عشرة، وأول قرد أبيض، والرجال السود المتمردين».

تمنيت أن ينتهي من شرحه، لأنني سمعت هذا كله عدة مرات من قبل، لكنني لم أجرؤ، بالطبع، على إخباره بذلك. كما تمنيت أن يذهب؛ صحيح أنني لن أتمكن من القيام بأي شيء حتى يحل الظلام، لكنني أردت فقط أن أظل بمفردي وأعيد تخطيط كل تفاصيل العمل الليلي الدقيقة المطلوبة.

ذهب أخيراً؛ وهبطت آخر ليلة طويلة، لكنني يجب أن أنتظر حوالي ساعتين قبل أن يحين الموعد الذي أخبرت به بان دان تشي كي يكون

مستعدًا للصعود على متن الطائرة التي يقودها قرصان أسود. أعتقد أنه لا يزال متحيرًا بشأن ذلك.

حل المساء. سمعت أصوات المحتفلين تأتي من الطابق الأول في القصر من خلال الحديقة التي تفتح عليها نافذتي كانت مأدبة الجيداك في أوجها. اقتربت ساعة الصفر - لكن ضربة حظ سيئة حدثت. فقد جاء محارب، واستدعاني إلى قاعة المأدبة!

كان يمكنني قتله ومواصلة عملي، على أن روح الشجاعة تملكنتني فجأة. يمكنني أن أواجههم جميعًا، وأن أجعلهم يشاهدون مرة أخرى أعظم مبارز في عالمين، وأن أجعلهم يدركون، بعد نجاتي منهم، أنني كنت أعظم في جميع النواحي من أعظم الأبناء الأوائل. أعرف أنه موقف أحمق، لكنني أسير الآن وراء المحارب نحو قاعة المأدبة؛ الموت أمامي، وإنما فات أوان الرجوع.

لم يهتم بي أي شخص وأنا أدخل القاعة الكبرى - فلست سوى عبد. ضمت القاعة أربع طاولات تُشكل مربعًا أجوف، ويرتدي الرجال والنساء أغطية رائعة. كانوا يتحدثون ويضحكون، والنبذ يتدفق، ويحمل جيش صغير من العبيد المزيد من الطعام والمزيد من النبذ. انتشى بعض الضيوف قليلًا، وكان من الواضح أن دو كسوس في أفضل حالاته. كان يلف ذراعه حول زوجته من جانب، ويُقبل زوجته رجل آخر من الجانب الثاني.

توجه المحارب الذي أحضرني إلى الجيداك وهمس في أذنه، وقرع دو كسوس ناقوسًا ضخماً طالبًا الصمت. تحدث، بعد أن هدأ الجميع،

قائلاً: «يتفاخر الأبناء الأوائل في وادي دور منذ فترة طويلة بقدرتهم على المباراة؛ وأعترف أنهم أثبتوا في المسابقات أنهم يتفوقون قليلاً علينا. لكن لديّ في قصري عبد، عبد عادي، يمكنه المباراة أفضل من أفضل مبارزي وادي دور. وهو هنا الآن لتقديم عرض لقدرته الرائعة في مسابقة مع أحد نبلائي؛ ليست حتى الموت، وإنما لإراقة أول قطرة دم فقط - إلا إذا كان أحد من وادي دور يعتقد أنه أفضل من عبي هذا».

نهض نبيل وقال: «إنه تحدّ. داتور زيثاد هو أفضل مبارز هنا من وادي دور الليلة؛ لكنه إذا لم يقبل مباراة عبد، سوف أقوم أنا بذلك من أجل شرف دور. لقد سمعنا عن هذا العبد منذ وصولنا إلى كامتول، وكيف تفوق على أفضل مبارزيكم؛ وسوف يسعدني أن أريق دمه».

ثم نهض زيثاد، وقال بكل عجرفة وغطرسة: «لم ألوث سيفي من قبل بدم عبد، وإنما يسعدني أن أمحو العار عن كامتول. أين هذا الوغد؟».

زيثاد! لقد كان داتور حراس إيسوس^(٥٠) خلال ثورة العبيد والإطاحة بإيسوس. ولديه سبب وجيه ليتذكرني ويكرهني.

عندما تواجها في وسط ذلك المربع الأجوف في قاعة مأدبة دوكسوس، جيداك الأبناء الأوائل في كامتول، وقف للحظة في حيرة، ثم خطا إلى الوراء. فتح فمه ليتحدث.

قلت له ساخراً: «أتخشى مباراة عبد! هيا! يريدون رؤيتك تريق

(٥٠) إيسوس: امرأة عجوز من المريخين ذوي البشرة السوداء، زعمت أنها إلهة الحياة الأبدية، لكن حقيقتها تكشفت - <http://barsoom.wikia.com/wiki/Issus> - المترجمة.

دمي. دعنا لا نخيب أملهم». لمستته بسيفي قليلاً.

قال متذمراً: «يا كالوت!»، ثم توجه نحوي.

كان مبارزاً أفضل من نولات، لكنني جعلت منه قرداً. جعلته يدور حول المربع، مع إبقائه دائماً في موقف الدفاع؛ لكنني لم أرق دمه بعد. كان غاضباً، وخائفاً. جلس الجمهور في صمت لاهث.

وفجأة صاح: «يا حمقى! ألا تعرفون من هذا العبد؟ إنه...»؛ وعندئذ طعنته في قلبه. ساد هرج على الفور. سُحِبَت مئات من السيوف من أعمادها؛ انتظرت، لكنني لم أر المزيد - فقد رأيت الكثير! ركضت مباشرة ممتشقاً سيفي إلى مركز إحدى الطاولات. صرخت امرأة. تجاوزتُ الطاولة وضيفوها بقفزة واحدة، وهربت من الباب وراءها في إلى الحديقة.

وبالطبع بدأوا في ملاحقتي فوراً؛ لكنني هربت إلى الشجيرات، واتخذت طريقي إلى موقع أسفل نافذتي في الطرف المنخفض من الحديقة. قفزت بالكاد ١٥ قدماً لأصل إلى الإفريز؛ وعبرت غرفتي في ثانية، ثم نزلت أسفل منحدر إلى الطابق الأدنى.

كان الظلام حالكاً، لكنني أعرف كل شبر من الطريق إلى هدفي. وكنت مستعداً لمواجهة أي احتمال. وصلت إلى الغرفة التي قابلني فيها دوكسوس أول مرة، ومشيت خلال المدخل الكائن خلف المكتب، ونزلت أسفل المنحدر إلى الغرفة السرية أدناه.

كنت أعرف أن لا أحد سيُخمن أين ذهبت؛ ولأن مير-لو كان في

المأدبة، يجب أن أتمكن بسهولة من إنجاز ما أتيت هنا لإنجازه.
فتحت الباب المُفضي إلى الغرفة الأكبر. نهض مير-لو من على
الأريكة وواجهني.
سألني: «ماذا تفعل هنا، أيها العبد؟».



الفصل (١٣)

يا لها من أحداث! لا يبدو أي شيء على ما يرام. أولاً، الاستدعاء إلى قاعة المأدبة؛ ثم زيثاد؛ والآن مير-لو. أكره أن أقتله، وإنما لا توجد أي وسيلة أخرى.

قلت له: «امتشق سيفك!». أنا لست بقاتل، ولذا لا يمكنني قتله إلا وسيفه في يده؛ لكن مير-لو لم يكن يتحلى بالأخلاق - مد يده إلى مسدسه الراديووم عند وركه. خطأ فادح! عبرت بقفزة واحدة المساحة التي تفصل بيننا؛ واخترق سيفي قلب مخترع كامتول، مير-لو.

ركضت إلى الغرفة الصغيرة، دون انتظار حتى لمسح الدم من سيفي. كانت تضم الآلة الرئيسة التي تستبعد ٢٠٠ ألف شخص؛ ذلك الاختراع البشع الذي أدى إلى تناثر الهياكل العظمية المتحللة عند حافة الصدع الكبير.

بحثت حولي، ووجدت قطعه ثقيلة من المعدن؛ ثم توجهت إلى هذا الوحش عديم الشعور بكل ما أملك من قوة وحماس. أصبح في بضع دقائق خليطاً لا يوصف من أجزاء ملتوية ومكسورة - حطاماً كلياً.

ركضت بسرعة مرة أخرى إلى الغرفة المجاورة، وجردت جثة مير-لو من العتاد والأسلحة وخلعت عتادي وأسلحتي؛ ثم أخرجت من جيب حقيتي الشيء الذي كنت قد اشتريته من المتجر الصغير. كان جرة من كريم باللون الأسود الأبنوسي، تستخدمه نساء الأبناء الأوائل لإخفاء عيوب بشرتهن اللامعة.

أصبحت بشرتي، بعد عشر دقائق، سوداء مثل أي قرصان أسود كسر صدفته من قبل. ارتديت عتاد وأسلحة مير-لو؛ وباستثناء عينيّ الرماديتين، كنت نبيلًا من نبلاء الأبناء الأوائل. شعرت الآن بالسعادة لأن مير-لو لم يكن في المأدبة؛ فعتاده سوف يساعدني على المرور عبر القصر والخروج منه، وهي المحنة التي لم أكن أتوقع حلها بسهولة؛ ذلك أنني كنت أرتدي العتاد الأكثر شيوعًا بين المحاربين العاديين، وأشك كثيرًا أنهم يدخلون القصر ويخرجون منه في مثل هذا الوقت المتأخر من الليل دون استجواب - ولم تكن لديّ أي أجوبة.

مشيت خلال القصر دون أن أواجه أي شخص، وعندما اقتربت من البوابة بدأت أترنح. أردتهم أن يظنوا أنني ضيف مخمور يغادر مبكرًا. عقدت أنفاسي وأنا أقترّب من المحاربين الواقفين للحراسة؛ لكنهم وجهوا لي التحية بكل احترام، وخرجت إلى شوارع كامتول.

كانت خطتي أن أتسلق واجهة مبنى حظيرة الطائرات، وهو ما كان يمكنني القيام به بسبب نحت الزخرفة العميق، ولكن ربما يعني ذلك معركة مع الحرس على السطح بعد أن أتسلق على الإفريز. ولذا قررت الآن محاولة خطة أخرى، وإن لم تكن أقل خطورة.

توجهت مباشرة إلى المدخل. كان هناك محارب واحد يتولى مسؤولية الحراسة. لم أعره أي اهتمام، وواصلت طريقي إلى داخل المبنى. تردد لحظة؛ ثم حياني. دخلت، وصعدت المنحدر. انبهر الحارس بأغطية النبيل مير-لو الرائعة.

وكان العائق الأكبر الذي يجب أن أتغلب عليه الآن هو الحراس على السطح، ولم يكن لديّ أي شك في أنني سأجد العديد من المحاربين. قد يصعب إقناعهم بأن النبيل يمكنه الطيران بمفرده في هذا الوقت من الليل؛ لكنني عندما وصلت إلى السطح، لم أجد أي محارب على الإطلاق.

استغرقت لحظات للعثور على الطائرة التي اخترتها للمغامرة عندما جئت هنا من قبل. واستغرقت لحظة أخرى لتسليقها والوصول إلى لوحات التحكم، وتشغيل المحرك السلس الصامت.

كان الظلام حالكًا، ولا يوجد أي من القمرين في السماء؛ ولذا كنت شاكرًا. ارتفعت في طيران حلزوني حاد إلى أن وصلت إلى مسافة عالية فوق المدينة، ثم توجهت إلى برج قصر ناستور حيث تُسجن لانا الجاثولية.

كنت متأكدًا أن هيكل الطائرة الأسود يجعلها غير مرئية من الطرق أدناها، في ليلة مظلمة مثل هذه. وصلت إلى البرج وأنا على يقين أن خطتي برمتها حققت نجاحًا باهرًا، حتى على الرغم من الحوادث التي كانت تبدو على وشك أن تدمرها في مراحلها الأولى.

عندما اقتربت ببطء من نوافذ شقة لانا، سمعت صرخة مكتومة

لامرأة وصوت رجل يعلو في غضب. لمست مقدمة سفيتتي بعد لحظة الجدار الذي يقع أسفل النافذة مباشرة. أمسكت بحبل المقدمة، وقفزت عبر الإفريز إلى داخل الغرفة وسيف مير-لو في يدي.

رأيت عبر الغرفة رجلًا يحاول دفع لانا الجاثولية إلى الورا، على الأريكة. كانت تضربه، وكان يلعنها.

قلت صائحًا: «كفى!»، ترك الرجل لانا والتفت نحوي. كان الرجل هو ناستور، الداتور.

سألني: «من أنت؟ وماذا تفعل هنا؟».

أجبت: «أنا جون كارتر، أمير هيليوم؛ وأنا هنا لأقتلك».

كان قد امتشق سيفه بالفعل، واشتبكت سيوفنا حتى وأنا أتحدث.

قلت: «ربما من الأفضل أن تتذكر أن دوتار سوجات، العبد الذي كلفك ١٠٠ ألف تانبي، هو الأمير الذي سيكلفك حياتك».

بدأ في الصباح لاستدعاء الحرس، وسمعت صوت خطوات تبدو تصعد المنحدر الموجود خارج الباب. رأيت أنني يجب أن أنتهي بسرعة من ناستور؛ لكنه كان مبارزًا أفضل مما توقعت، على الرغم من أن الاشتباك تطور بسرعة إلى ركض حول الغرفة.

كان الحراس يقتربون، فركضت لانا نحو الباب ودفعت الترباس الثقيل لإغلاق الباب. وعلى الفور تقريبًا سمعت طرقة على الباب وصيحات المحاربين في الخارج؛ وهنا تعثرت في الفراء الذي سقط من الأريكة خلال المعركة بين لانا وناستور، ووقعت على ظهري. قفز

ناستور في الحال فوقى لیسدد طعنة في قلبي. كان سيفي ممتدًا نحوه، لكن ناستور كان في وضع متميز. كنت على وشك الموت.

لم تنقذني سوى سرعة بديهة لانا؛ إذ اندفعت نحو ناستور من الخلف وأمسكته من كاحليه. تأرجح إلى الأمام فوقى، واخترق سيفي قلبه وبرز من ظهره بمسافة قدمين. احتجت كل قوتي لانتزاع سيفي من جسده.

قلت: «هيا يا لانا».

سألتني: «إلى أين؟ الممر مملوء بالمحاربين».

قلت: «النافذة، هيا!».

استدرت نحو النافذة، ورأيت نهاية الجبل الذي سقط خلال المعركة واختفى بعيدًا عن حافة النافذة. انجرفت سفيتي بعيدًا، ونحن محاصران.

ركضت إلى النافذة. ابتعدت السفينة بحوالي ٢٥ قدمًا، وانخفضت عن حافة النافذة ببضعة أقدام؛ يا له من هروب عائم وحرية عائمة؛ ويا لها من حياة عائمة لكل من لانا الجاثولية، وبان دان تشي، وجاد-هان، ولي.

لا يوجد سوى أمل وحيد. صعدت إلى حافة النافذة، وقمت بقياس المسافة بعيني ثانية - وقفزت. وبالطبع يؤكد سردي هذه المغامرة لك أنني هبطت على سطح السفينة. أصبحت السفينة، بعد لحظات، بجانب الحافة ثانية وعلى متنها لانا.

قالت: «بان دان تشي! ماذا عنه؟ يبدو من القسوة التخلي عنه وتركه لمصيره».

كان بان دان تشي ليصبح أسعد رجل في العالم إذا عرف أنه كان أول ما فكرت فيه لانا، على أنني كنت أعرف أنها سوف تصده أو تهينه في أول فرصة تجدها - يا لخرابة النساء.

انخفضت بسرعة نحو الساحة. سألتني لانا: «إلى أين تذهب؟». «ألا تخش أن يقبضوا علينا هناك؟».

قلت: «أنا ذاهب لإحضار بان دان تشي». هبطتُ بعد لحظة بالقرب من قصر ناستور، وانطلق رجلان من الظلال نحو السفينة: بان دان تشي وجاد-هان.

ارتفعت بسرعة بمجرد صعودهما على متن السفينة، وتوجهت نحو جاثول. شعرت بنظرات بان دان تشي نحوي. ولكنه لم يتمكن من منع نفسه وسألني: «مَن أنت؟ وأين جون كارتر؟».

قلت: «أنا الآن مير-لو، المخترع؛ ومنذ فترة قصيرة كنت دوتار سوجات، العبد؛ لكني دائماً جون كارتر».

قال: «نحن جميعاً معاً مرة أخرى، وفي قيد الحياة؛ ولكن إلى متى؟ هل نسيت الهياكل العظمية على حافة الصدع؟».

قلت له مؤكّداً: «لا داعي للقلق، فقد قمت بتدمير الآلة التي قتلتهم».

التفت إلى لانا قائلاً: «لانا الجاثولية، لقد خضنا معاً الكثير، ولا
نعرف ما يخبئه لنا المستقبل. ولذا، أضع قلبي مرة أخرى أمام قدميك».
قالت لانا الجاثولية: «يمكنك أن تأخذه؛ فأنا أشعر بالتعب وأريد
أن أنام».



الكتاب الثالث
الهروب على المريخ

الفصل (١)

كنا أربعة على متن الطائرة التي سرقناها من حظيرة الطائرات في كامتول لتنفيذ هروبنا من وادي الأبناء الأوائل: لانا الجاثولية؛ وبان دان تشي من هورتز؛ وجاد-هان، شقيق جاناي من أمهور؛ وأنا، جون كارتر، أمير هيليوم وأمير الحرب في برسوم.

كانت واحدة من تلك الليالي المريخية الرائعة المذهلة التي تأخذ بأنفاسنا. ففي الهواء الرقيق للكوكب الآخذ في الاحتضار، برزت كل نجمة في عظمة متألقة ضد سواد السماء المخملي في روعة لا يمكن لسكان كوكب الأرض تصورها.

وكان بإمكاننا رؤية قمرَي المريخ، مع ارتفاعنا فوق الوادي المتصدع الكبير؛ كما كانت الأرض والزهرة متزامنين، مما أتاح لنا مشهداً لا يُضاهى من الجمال. يتحرك القمر الأبعد كلوروس^(٥١) في مهابة جلييلة عبر قبة السماء على بُعد ١٤ ألف ميل؛ بينما لا يبعد القمر ثوريا سوى ٤٠٠٠ ميل، ويندفع خلال الليل من الأفق إلى الأفق في أقل من أربع

(٥١) كلوروس: أبعد قمرَي المريخ عن الكوكب الأم، ومعروف لدى سكان كوكب الأرض باسم القمر ديموس - <http://barsoom.wikia.com/wiki/Cluros> - المترجمة.

ساعات، ويُلقِي ظلالاً متغيرة على الأرض أسفلنا مُضْفِيًا وهم الحركة المستمرة، كما لو كان سطح المريخ يُغطيه عدد لا يُحصى من الأشياء المتسللة والزاحفة. أتمنى أن أنقل لك بعض المفاهيم عن غرائبية هذا المشهد العجيب المذهل وجماله؛ على أن قدرتي على الوصف لا تكفي مع الأسف. ولكن، ربما يأتي يوم تزور فيه المريخ أيضًا.

ما إن ارتفعنا فوق حافة الجرف الهائل الذي يحد الوادي، وجهتُ مسارنا نحو جاثول وفتحت صمام السرعة إلى أقصاه لأنني كنت أتوقع احتمالات مطاردة. ولكن مع علمي بإمكانيات سرعة هذا النوع من الطائرات، كنت على ثقة أنه لا يوجد شيء في كامتول -مع طريقة بدايتنا- يمكنه اللحاق بنا ما لم يواجهنا سوء الحظ.

يفترض العديدون أن جاثول هي أقدم مدينة مأهولة على المريخ، وإحدى المدن القليلة التي احتفظت بحريتها. علاوة على ذلك، وعلى الرغم من أن مناجم الماس القديمة فيها تُعد أغنى المناجم المعروفة، على عكس جميع حقول الماس الأخرى تقريبًا، فهي تبدو اليوم لا تنضب كما كانت دومًا.

بُنيت المدينة، في العصور القديمة، على جزيرة في ثروكسيوس، أقوى محيطات برسم الخمسة القديمة. وعندما انحسرت المحيطات، زحفت جاثول إلى جانبي الجبل، الذي كانت قمته هي الجزيرة التي كانت جاثول قد بُنيت عليها؛ ولا تزال حتى اليوم تغطي المنحدرات من قمة الجبل إلى قاعدته، في حين يمتلئ باطن التل الكبير بدهاليز مناجمها.

وجاثول مُحاطة تمامًا بمستنقع ملحي هائل، يحميها من أي غزو بري؛ بينما تضاريس الجبل الوعرة والعمودية في كثير من الأحيان تجعل هبوط أي سفن فضائية عدائية محفوفًا بالمخاطر.

جاهان، والد لانا، هو جد جاثول التي تُعتبر أكثر بكثير من مجرد مدينة منفردة؛ حيث تُغطي حوالي ١٤٠ ألف ميل مربع، معظمها من أراضي الرعي الرائعة، وتضم عددًا كبيرًا من قطعان الثوات والزيتيدار. كان علينا إعادة لانا إلى والدها ووالدتها، تارا الهيليومية، بعد مرورنا خلال العديد من المغامرات المروعة منذ أن تركنا هورز.

والآن، لانا على وشك الوصول إلى بيتها؛ وسرعان ما اتخذ طريقي إلى هيليوم وأميرتي ديجاه ثوريس التي لا تُضاهى، التي ربما تصورت منذ فترة طويلة أنني ميت.

جلس جاد-هان بجانبني أمام لوحات التحكم، ونامت لانا، وكان بان دان تشي سارحًا. ويبدو أنها الحالة الطبيعية لجميع العشاق. شعرت بالأسف تجاه بان دان تشي؛ وكان بإمكانني تخفيف اكتئابه بإخباره أن أول كلمات لانا بعد أن أنقذتها من برج قصر ناستور كانت عنه - تستفسر عن حاله - لكنني لم أفعل. تمنيت أن الرجل الذي يفوز بلانا الجاثولية، يفوز بها بنفسه. إذا استسلم يائسًا وكلاهما يعيش وهي لا تزال غير متزوجة، إذن لا يستحقها؛ ولذا تركت بان دان تشي المسكين يُعاني من صدمة لانا له في المرة الأخيرة.

اقتربنا من جاثول قبل الفجر بوقت قصير. لم يكن القمران في السماء، وكانت السماء مظلمة نسبيًا. كانت المدينة مظلمة أيضًا؛ لم أرَ

أي ضوء. هذا غريب، وربما يُنذر بالسوء؛ فمدن المريخ ليست مظلمة عادة إلا في أوقات الحرب، عندما يتهددها عدو.

خرجت لانا من المقصورة الصغيرة، وجثمت على سطح السفينة بجانبني. قالت: «هذا نذير سوء».

قلت موافقاً: «وهذا ما أشعر به أيضاً. سوف أقف حتى طلوع النهار. أريد رؤية ما يحدث قبل أن أحاول الهبوط».

قالت لانا: «انظر هناك»، وأشارت إلى يمين الكتلة السوداء في الجبل، «يا لها من أضواء كثيرة».

قلت: «ربما نيران مخيم من الرعاة».

قالت لانا: «هناك الكثير منها».

قال جاد-هان: «ربما هي أيضاً نيران معسكرات للمحاربين».

قال بان دان تشي: «هناك طائرة تقترب، لقد اكتشفونا».

رأيت طائرة تقترب من أسفل نحونا بسرعة. قلت: «لا شك أنها طائرة دورية»، لكنني فتحت صمام السرعة وأدرت مقدمة الطائرة إلى الاتجاه المعاكس. لم يعجبني مظهر الأشياء، ولم أكن أنوي السماح لأي سفينة أن تقترب إلى أن أتمكن من رؤية شارتها.

ثم جاء نداء: «مَن أنت؟».

سألته في المقابل: «مَن أنت؟».

أصدر أمراً: «توقف!»، لكنني لم أتوقف؛ كنت أبتعد عنه بسرعة، وكانت سفيتي أسرع بكثير.

أطلق علينا النار، لكن طلقته لم تصبنا. كان جاد-هان عند بندقية مؤخرة السفينة، وسألني: «هل أطلق عليه النار؟».

أجبت: «لا؛ ربما يكون من جاثول. أدر الكشف نحوه، يا بان دان تشي، دعنا نحاول رؤية شارته».

لم يركب بان دان تشي أي سفينة من قبل، كما لم يرَ أبداً أي كشف. ذلك أن البقايا القليلة من العرق الأورفاري الذي انقرض تقريباً، وهو واحد منهم، كانت تختفي في هورز القديمة وليست لديهم سفن أو كشافات؛ ولذلك جاءت لانا الجاثولية لإنقاذه. وأضاءت الآن مقدمة الطائرة التي تطاردنا.

قالت لانا: «لا أستطيع رؤية الشارة، لكن هذه السفينة ليست من جاثول».

لم تصبنا طلقة أخرى. طلبت من جاد-هان أن يطلق النار، وقد فعل لكنه لم يصب السفينة الأخرى. أطلق العدو النار ثانية، وشعرت أن القذيفة تضربنا، لكنها لم تنفجر. كانت سفيتتنا في نطاقه، ولذا أخذت أطيّر في خط متعرج، ولم تصبنا طلقاته التاليتان. أخطأ جاد-هان أيضاً، ثم تعرضنا لضربة أخرى.

قلت للانا: «اهتمي بلوحات التحكم»، ثم توجهت إلى الخلف، إلى البندقية. «حافظي عليها في مكانها كما هي»، قلت للانا وأن أضبط الهدف بعناية. كنت أطلق قذيفة متفجرة، انفجرت بالارتطام، حيث ضربت سفينة العدو بالكامل ودخلت في هيكلا وانفجرت. مزقت مقدمة السفينة بأكملها، فاشتعلت فيها النيران وبدأت مقدمتها في

السقوط. بدأت تسقط ببطء، ثم اتخذت طريقها إلى الغوص الطويل والسريع الأخير - كأنها نيزك مشتعل اصطدم بمستنقع الملح وانطفأ.

قالت لانا الجاثولية: «هذه نهايتها».

أجبت: «لا أعتقد أن المسألة انتهت، بقدر ما يتعلق بنا الأمر؛ فنحن نفقد الارتفاع بسرعة، لا بد أن إحدى تلك القذائف قد أصابت خزان الطفو في سفيتنا».

أمسكتُ بلوحات التحكم وحاولت أن أبقئها كما هي. فتحتُ صمام السرعة إلى أقصاه، في محاولة للابتعاد عن طوق نيران المخيم قبل أن تضطر في النهاية إلى الهبوط.



الفصل (٢)

كانت سفيتتنا صغيرة وجيدة -قوية وسريعة، مثل جميع سفن القراصنة السود في بر سوم- وحملتنا مسافة تبعد عن أبعد نيران للمخيم قبل أن تستقر أخيرًا على الأرض عند الفجر. كنا على مقربة من غابة صغيرة من أشجار السورابوس، ورأيت من الأفضل أن نتخذ مأوى هنا حتى نتمكن من الاستطلاع قليلًا.

قالت لانا بغضب: «يا له من حظ. وكنت على يقين أننا في أمان وسلامة عمليًا في جاثول».

سأل بان دان تشي: «ماذا نفعل الآن؟».

قال جاد-هان: «مصيرنا في أيدي أسلافنا».

قلت لهم: «لكننا لن نتركه لأسلافنا؛ أشعر أنني أكثر كفاءة بكثير في توجيه مصيري من أسلافي الذين لقوا حتفهم منذ سنوات عديدة. علاوة على ذلك، أنا أكثر منهم بكثير اهتمامًا بمصيري».

ضحكت لانا وقالت: «أعتقد أنك ربما على حق؛ على الرغم من أنني لا أمانع في ترك قدري بين أيدي أسلافي الأحياء - والآن، ماذا

سيفعل أحدهم في هذا الموقف؟».

أجبت: «سوف أذهب أولاً للعثور على شيء للأكل، وبعد ذلك سوف أحاول معرفة مَنْ الذين كانوا يتدفئون عند تلك النيران في الليلة الماضية؛ قد يكونوا أصدقاء، كما تعلمون».

قالت لانا: «أشك في ذلك. وإنما إذا كانوا أصدقاء، فهذا يعني أن جاثول في أيدي الخصوم».

«سرعان ما سنعرف. والآن، عليكم أن تبقوا أنتم الثلاثة هنا، بينما أذهب وأرى إن كان هناك أي شيء صالح للأكل ينمو في هذه الغابة. اهتموا بالمراقبة».

مشيت في الغابة، باحثاً عن جذور أو أعشاب، ونبات المانتاليا الذي يهب الحياة بعصارته التي تشبه اللبن، وكثيراً ما أنقذتني من الموت عطشاً أو جوعاً. بيد أن هذه الغابة تبدو خالية على نحو غريب من جميع أشكال الأشياء الصالحة للأكل. سرت خلال الغابة وخرجت من الجانب الآخر دون العثور على أي شيء، أي شيء يحاول أن يأكله رجل يتضور جوعاً.

رأيت وراء الغابة بعض التلال المنخفضة، وهو ما جدد أملتي؛ فمن المؤكد أنني قد أجد في أي واد صغير، حيث تظل الرطوبة لفترة أطول، شيئاً يستحق أن أعود به إلى رفاقي.

كنت قد عبرت حوالي نصف المسافة من الغابة إلى التلال، عندما سمعت قعقة معادن لا لبس فيها وصرير الجلود خلفي. استدرت،

ورأيت حوالي عشرين رجلاً أحمر يمتطون حيوانات الثوات ويقتربون مني على ركوباتهم ذات الأقدام المبطنة الخالية من الأظافر وتتحرك دون إصدار صوت على الغطاء النباتي الناعم الذي يغطي الأرض.

امتشقت سيفي في مواجهتهم. توقفوا على مسافة بضعة أمتار مني. سألتهم: «هل أنتم من رجال جاثول؟».

أجاب أحدهم: «نعم».

قلت: «إذن أنا صديق».

ضحك الرجل وقال: «ليس لدينا أصدقاء من قراصنة برسوم السود».

كنت قد نسيت الصبغة السوداء التي تغطي كل شبر من وجهي وجسمي، كتمويه يساعدني على الهرب من القراصنة السود في وادي الأبناء الأوائل.

قلت: «أنا لست قرصاناً أسود».

صاح الرجل: «أووه، كلا! أفترض إذن أنك قرد أبيض». ضحكوا جميعاً. «هيا الآن، أغمد سيفك وتعال معنا. سندع جان هور يقرر ما يفعله معك، ويمكنني إبلاغك من الآن أن جان هور لا يحب القراصنة السود».

قلت: «لا تكن أحمق؛ أخبرتك أنني لست من القراصنة السود - هذا مجرد تمويه».

قال الزميل: «حسناً»، ثم أضاف، من باب المزاح، «أليس من

الغريب أن نلتقي أنا وأنت؟ - أنا بالفعل قرصان أسود متكر في هيئة رجل أحمر». أثار ذلك ضحك رفاقه. وعندما استطاع التوقف عن الضحك على مزحته قال: «هيا الآن، لا مزيد من الحماقة! أو تريد منا أن نأتي ونأخذك؟».

أجبت: «تعال وخذني!». وكان هذا خطأ؛ لكن مزاح هؤلاء الحمقى الأغبياء أثار حنقي.

بدأ في الركض نحوي وتطويقي؛ وكانوا خلال ذلك يفكون الجبال التي يستخدمونها للقبض على الثوات. أخذوا يديرونها فوق رؤوسهم الآن وهم يصيحون. وفجأة، انطلقت خلال الهواء في وقت واحد عشرات الحلقات نحوي. كان عرضًا جميلًا من الجبال، على أنني لم أستطع تقديره بحق في ذلك الوقت. استقرت تلك الأنشطة حولي، من رقبتني إلى كعبي، مما أصابني بعجز تام لأنها كانت مشدودة بقوة؛ ثم بدأت المجموعة التي أوقعني في الشَّرْكَ تسحبني في نفس الاتجاه، وهم يجرونني على الأرض. لم يتوقفوا عن السير، بل واصلوا تحركهم وهم يجرونني على الأرض.

تدحرج جسدي مرارًا وتكرارًا فوق النباتات الصفراء اللينة، وواصل الخاطفون حركتهم فوق ركوباتهم على نحو أسرع إلى أن وصلت سرعة حيواناتهم إلى أقصاها. كان أكثر وضع مُهين لمقاتل؛ شعرت بداية بجرح كرامتي، وليس إصابة جسمي - أو حقيقة أن المزيد من هذا، سوف يتركني مجرد جثة ملطخة بالدماء مربوطة في نهايات ١٢ حبلاً جلدًا.

لا بد أنهم جروني لمسافة نصف ميل قبل أن يتوقفوا أخيرًا. وقد بقيت في قيد الحياة بعد هذه التجربة، لا شيء إلا لأن الغطاء النباتي الذي يشبه الطحلب ويغطي معظم المريخ يتسم بالليونة.

جاء القائد راكبًا، وتلاه الآخرون. نظر إلى وجهي، واتسعت عيناه. صاح: «باسم سلفي الأول! إنه ليس من القراصنة السود - لقد زال اللون الأسود!».

نظرت وأنا على يقين بأن النباتات التي جروني فوقها قد محت الكثير من الصبغة، وأصبحت بشرتي خليطًا من الشرائط السوداء والبيضاء الملطخة بالدم.

ترجل الرجل، ونزع سلاحه، ثم أبعد عني الأنشطة. قال لرفاقه: «إنه ليس قرصانًا أسود، وليس رجلًا أحمر حتى؛ إنه أبيض وعيناه رماديتان. باسم سلفي الأول. لا أعتقد أنه رجل على الإطلاق. يمكنك الوقوف؟».

وقفت. ترنحت قليلًا، لكنني وقفت. قلت: «أستطيع أن أقف. وإذا كنت تريد معرفة ما إذا كنت رجلًا، أعطني سيفي وامتشق سيفك»، ثم صفعته على وجهه بقوة لدرجة أنه سقط. كنت غاضبًا للغاية، لدرجة أنني لم أهتم إن كان سيقتلني. نهض على قدميه وهو يسب ويلعن مثل قرصان حقيقي من أصول إسبانية.

صاح: «أعطوه سيفه! كنت سأخذه حيًا إلى جان هور، لكنني الآن سأتركه هنا ميتًا».

قال له أحد رفاقه ناصحًا: «من الأفضل أن تأخذه حيًّا، يا كور-آن. ربما يكون جاسوسًا؛ وليس جيدًا لك إذا قتلته قبل أن يتمكن جان هور من استجوابه».

صاح كور-آن: «لا يمكن لرجل أن يضربني ويعيش؛ أين سيفه؟». أعطاني أحدهم سيفي الطويل، وواجهت كور-آن. سألته: «مبارزة حتى الموت؟».

أجاب كور-آن: «حتى الموت!».

قلت: «لن أقتلك، يا كور-آن، وأنت لا تستطيع قتلي؛ لكنني سوف أعلمك درسًا لن تنساه سريعًا». كنت أتحدث بنبرة صوت عالية، بحيث يسمعون الآخرون.

ضحك أحدهم، وقال: «أنت لا تعرف مع من تتحدث، يا زميل. كور-آن هو أحد خيرة المبارزين في جاثول. ستموت خلال خمس دقائق».

قال كور-آن: «في دقيقة واحدة»، واقترب مني. توجهت للاشتباك مع كور-آن، بعد أن حاولت إجراء تقدير تقريبي لعدد الجروح والخدوش النازفة على جسدي. كان مقاتلاً غاضبًا، لكنه أخرق. أُرقت الدم من صدره الأيمن في الثانية الأولى؛ ثم قطعت جرحًا طويلاً في فخذه الأيمن. لمستته بسيفي مرارًا وتكرارًا، وسحبت الدم من الجروح أو الخدوش. كان يمكنني قتله في أي وقت، ولم يتمكن من لمسي بسيفه في أي مكان.

قلت: «لقد انقضى ما يزيد على دقيقة، يا كور-آن».

لم يرد؛ كان يتنفس بقوة، ويمكنني القول -من عينيه- إنه كان خائفًا. جلس رفاقه في صمت، يشاهدون كل خطوة.

وأخيرًا، بعد أن أصبته في كل جسده من الجبين إلى أخمص القدمين، تراجعت إلى الوراء وأنزلت سيفي. سألته: «ألا يكفي هذا، يا كور-آن؟ أم تريدني أن أقتلك؟».

قال بشجاعة: «أنا اخترت القتال حتى الموت؛ ومن حقدك أن تقتلني - وأنا أعرف أنك تستطيع. وأعرف أنك كنت تستطيع قتلي في أي وقت منذ لحظة اشتباك سيوفنا».

قلت: «لا أريد أن أقتل رجلًا شجاعًا».

قال أحد الآخرين: «عليك إنهاء الأمر برمته، يا كور-آن؛ أنت تواجه أعظم مبارز رآه أي شخص من قبل».

قال كور-آن: «كلا، سيلحق بي العار إذا توقفت قبل أن أقتله أو يقتلني. هيا!»، ورفع سيفه.

تركت سيفي يسقط على الأرض وواجهته. قلت له: «ها هي فرصتك الآن لقتلي».

قال: «لكن هذا اغتيال، وأنا لست بقاتل».

«ولا أنا، يا كور-آن. وإذا طعنتك بسيفي، حتى وأنت تحمل سيفك، سأكون قاتلاً مثلك إذا قتلتني الآن؛ لأنك، حتى وسيفك في يدك، أعزل ضدي بقدر ما أنا أعزل ضدك الآن».

قال أحد الجاثوليين: «الرجل على حق»، أغمد سيفك يا كور-آن،
لن يحمل أحد سيفه ضدك».

نظر كور-آن إلى الآخرين، وحثوه جميعاً على الكف عن القتال.
وضع سيفه في غمده، وامتطى حيوانه الثوات. قال لي: «اركب ورائي».
ركبت، وانطلقوا يركضون.



الفصل (٣)

دخلوا بستاناً آخر من أشجار السورابوس بعد حوالي نصف ساعة، ووصلنا الآن إلى مجموعة من الأكواخ الفظة التي يستخدمها المحاربون الرعاة في جاثول. يوجد هنا ما تبقى من القوات التي ينتمي إليها الخاطفون. هؤلاء الرعاة هم محاربو جاثول، وينقسمون إلى وحدات عسكرية نظامية. يضم هذا الأوتان مائة رجل بقيادة دوار ومعه اثنان من البادوار، أو برتبة ملازم تحت قيادته. وهم يبقون في هذا المهمة لمدة شهر، أي ما يعادل حوالي ٧٠ يوماً بزم من كوكب الأرض، ثم يتم إعفاؤهم منها ويعودون إلى مدينة جاثول.

كان الدوار جان هور يجلس أمام أحد الملاجئ يلعب الجيتان مع بادوار، عندما أخذني إليه كور-آن. نظر إلينا من أعلانا إلى أسفلنا لمدة دقيقة كاملة، ثم صاح: «باسم إيسوس! ماذا كتما تفعلان - تلعبان مع قطع من البانث، أو قبيلة من القردة البيضاء؟ ومن هذا؟ إن بشرته ليست حمراء ولا سوداء».

«إنه سجين»، قال كور-آن، ثم شرح بأمانة كاملة سبب مظهرنا هذا.

تجههم جان هور، وقال: «سأناقش هذه المسألة معك لاحقاً، يا كور-آن»؛ ثم التفت نحوي.

قلت: «أنا والد تارا الهيليومية، أميرة جد جاثول».

قفز جان هور واقفاً على قدميه، وترنح كور-آن كما لو أنه تعرض لضربة قوية. ظننت أنه سيسقط.

صاح جان هور: «جون كارتر! البشرة البيضاء، والعينان الرماديتان، والمبارزة التي أخبرني بها كور-آن. لم يسبق لي أن رأيت جون كارتر، لكنك لا يمكن إلا أن تكون هو»، ثم استدار نحو كور-آن. «وأنت قمت بجر أمير هيليوم، أمير الحرب في برسوم، لمسافة نصف ميل وهو مربوط في نهايات حبالك!»، ثم قال بصوت صارخ تقريباً: «ستموت بسبب ذلك!».

قلت: «لا، لقد سوينا الأمر بيننا أنا وكور-آن؛ ويكفي ما ناله من عقاب».

يعيش هؤلاء المحاربون-الرعاة من جاثول مثل بدو الصحراء لدينا؛ حيث ينتقلون من مكان إلى آخر وفقاً لما تُمليه متطلبات الرعي ووجود المياه. لا توجد مياه سطحية في جاثول غير رطوبة مستنقع الملح الذي يطوق المدينة؛ وإنما يمكن العثور على المياه في بعض الأماكن من الآبار الغارقة، ويُشيدون مخيماتهم في هذه البقع، كما هو الحال هنا في بستان السورابوس الذي أحضروني إليه.

أمر جان هور بإحضار مياه لي؛ وبينما كنت أغتسل لأتخلص من الصبغة السوداء والقاذورات والدماء، أخبرته بوجود لانا الجاثولية واثنين من الرفاق في موقع غير بعيد عن المكان الذي أمسكني فيه كور-آن؛ فأرسل واحدًا من البادوار مع عدد من المحاربين وثلاثة ثوات إضافية لإحضارهم.

قلت: «والآن، أخبرني ماذا يحدث لجاثول. يشير الهجوم علينا الليلة الماضية، بالإضافة إلى حلقة نيران المخيمات التي تطوق المدينة، إلى جاثول تتعرض لحصار من جانب أعداء».

أجاب جان هور: «أنت على حق. جاثول محاطة بقوات هين أبتول، الذي يعتبر نفسه جيداًك جميع الجيداك في الشمال. لقد جاء هنا منذ فترة في طائرة قديمة عفا عليها الزمن؛ ولأنه جاء في سلام، كان جاهان يعامله كضيف شرف. يقولون إنه كان يتصرف كمغرور متبجح وبفظة لا تطاق، وانتهى بأن طلب من جاهان أن يعطيه لانا كزوجة - بينما يتفاخر بأن لديه بالفعل سبع زوجات».

«وبطبيعة الحال، وقال له جاهان إن لانا الجاثولية سوف تختار زوجها. وعندما رفضت لانا، هدد بالعودة وأخذها بالقوة. غادر بعد ذلك، وفي اليوم التالي سافرت أميرتنا إلى هيليوم على متن سفينة مع خمسة وعشرين من حراسها الشخصيين. لم تصل إلى هيليوم أبداً، ولم يرها أحد أو يسمع عنها منذ ذلك الحين، إلى أن أخبرتني أنت الآن أنها في قيد الحياة وعادت إلى جاثول».

«لكننا سرعان ما سمعنا من هين أبتول. فقد عاد مع أسطول كبير من

طائرات عتيقة الطراز لم أشهد مثلها من قبل؛ من المؤكد أن عُمر بعض سفنه يزيد على مائة سنة. عاد هين أبتول، وطالب باستسلام جاثول».

«كانت سفنه مكتظة بالمحاربين، وقفز آلاف منهم وهبطوا على المدينة بمحركات التوازن^(٥٢). شهدت طرقات المدينة وأسطح المباني قتالاً امتد طوال اليوم، لكننا استطعنا في النهاية تدميرهم أو أسرهم جميعاً. حاصر هين أبتول المدينة، عندما وجد أنه لا يستطيع الاستيلاء عليها بالقوة».

«وقد أبعد سفنه ما عدا عدد قليل منها، ونحن نعتقد أنها عادت إلى الشمال المتجمد لجلب تعزيزات. أما نحن الذين كنا نؤدي واجبنا هنا في بداية الحصار، فلم نعد قادرين على العودة إلى المدينة. لكننا نواصل إزعاج محاربي هين أبتول الذين يشيدون مخيماتهم على السهل».

قلت: «هم يستخدمون إذن محركات التوازن؛ من الغريب أن توجد لدى أي شعب من الشمال المتجمد. لم يكن أحد يعرفها في أوكار عندما كنت هناك».

ومحركات التوازن هي أجهزة بارعة للطيران الفردي. يتكون المحرك من حزام واسع، لا يختلف عن حزام الحياة الذي يستخدمه ركاب الطائرات في كوكب الأرض. يُملأ الحزام بالأشعة الثامنة البرسومية، أو أشعة الدفع، إلى درجة كافية تعادل سحب الجاذبية؛

(٥٢) محرك التوازن: هو جهاز شخصي للطيران، يتيح لمن يرتديه الطيران، وهو نسخة بدائية من حزام الطيران الذي يوضع عادة على الظهر ويدفع المستخدم للطيران عبر ضغط الغازات وأحياناً الماء - <https://barsoom.fandom.com/wiki/Equilibrimotor> - المترجمة.

ولذا يبقى الشخص في توازن بين تلك القوة والقوة المضادة التي تبذلها الأشعة الثامنة. يُعلّق على ظهر الحزام محرك راديو صغير، وتوجد لوحات التحكم فيه عند مقدمة الحزام. ويُعلّق عند الحافة العليا من الحزام، ويبرز منه، جناح خفيف وقوي، وبه روافع يدوية صغيرة لتغيير الموقع بسرعة. ويمكنني أن أدرك مدى فاعلية هذا المحركات لهبوط القوات في مدينة العدو ليلاً.

استمعت إلى جان هور مع شعور بالقلق العميق؛ لأنني أعرف أن جاثول ليست بلدًا قويًا، وأن الحصار الطويل والمستمر لا بد أن يُقلص من قوتها ما لم تأتِها مساعدة خارجية. تعتمد جاثول في إمداداتها الغذائية على السهول التي تشمل عمليًا جميع أراضيها. تقطع إحدى قنوات برسوم الشهيرة الزاوية الشمالية الغربية البعيدة من البلد؛ حيث يزرعون الحبوب، والخضراوات، والفاكهة التي تزود المدينة؛ بينما يزرعون على السهول القطعان التي تزودها باللحم. يقوم العدو الذي يحاصر المدينة بقطع كل هذه الإمدادات؛ وعلى الرغم من أن جاهان لديه احتياطات مُخزنة في المدينة، فلا يمكن أن تدوم إلى أجل غير مُسمى.

أشرت في مناقشتي للأمر مع جان هور أنني إذا استطعت الحصول طائرة، يمكنني أن أعود إلى هيليوم وأجلب أسطولاً من السفن الحربية القوية، فضلاً عن سفن النقل التي تحمل ما يكفي من بنادق ورجال لإبادة هين أبتول والباناريين من على وجه برسوم.

قال جان هور: «حسنًا، طائرتك هنا؛ جاءت مع أسطول هين أبتول. لقد تعرف عليها أحد رجالي، وعلى شارتك عليها، بمجرد أن رآها؛

وكنا نتساءل جميعاً كيف حصل هين أبتول عليها؛ لكننا رأينا بعد ذلك أن بحوزته سفناً من مجموعة من الأمم المختلفة، ولم يكلف عناء إزالة شاراتهم».

قلت للتوضيح: «لقد وجدها في إحدى ساحات مدينة هورز المهجورة؛ وعندما هاجمه الرجال الخُضر، طار بها مع اثنين من محاربيه تاركاً الآخرين يُقتلون».

عاد الآن البادوار وكتيبته الذين ذهبوا لإحضار لانا وبان دان تشي وجاد-هان؛ لكن حيوانات الثوات الثلاثة كانت بلا ركاب!

قال البادوار: «لم نجدهم هناك. وعلى الرغم من أننا بحثنا في كل مكان، لم نتمكن من العثور عليهم؛ وإنما كانت توجد دماء على الأرض حيث كانوا».



الفصل (٤)

لقد فقدتُ لانا الجاثولية مرة أخرى! ربما قبض عليها محاربو هين أبتول. طلبت من جان هور أن يعطيني أحد حيوانات الثوات، بحيث يمكنني الذهاب إلى الموقع ودراسة المكان الذي أخذوهم منه. وافق جان هور على طلبي، بل ورافقني أيضًا مع كتيبة من محاربيه.

كان من الواضح أن معركة نشبت في الموقع الذي تركتهم فيه؛ فالغطاء النباتي كان مسحوقًا وعليه دماء. لكن مرونة هذه النباتات الشبيهة بالطحالب في قيعان البحر الميت بالمريخ، جعلت آثار المعركة تختفي بسرعة، باستثناء الدماء؛ ولا يوجد ما يشير إلى الاتجاه الذي اتخذته خاطفوا لانا.

سألت جان هور: «ما مدى بُعد خطوطهم عن هنا؟».

أجاب: «حوالي تسعة هاد» - وهو ليس تمامًا ثلاثة أميال بمقاييس كوكب الأرض.

قلت: «يمكننا أيضًا العودة إلى مخيمك؛ فليس لدينا قوة تكفي لإنجاز أي شيء الآن. سأعود بعد حلول الظلام».

اقترح جان هور: «يمكننا القيام بغارة صغيرة على أحد مخيماتهم الليلة».

قلت له: «سأذهب بمفردي؛ لدي خطة».

اعترض قائلاً: «لكن هذا ليس آمناً. لديّ مئات من الرجال، ونزعج الأعداء باستمرار. ويسعدنا أن نذهب معك».

«سوف أذهب لمجرد جمع معلومات، يا جان هور؛ ومن الأفضل أن أكون بمفردي».

عدنا إلى المخيم، وقمت بمساعدة أحد محاربي جان هور بدهن وجهي وجسمي بالصبغة الحمراء التي أحملها معي دائماً، حيث أستخدمها عندما أجد من الضروري التكر كرجل أحمر- وهذه الصبغة عبارة عن مرهم نحاسي ملون مثل ذلك الذي كان الإخوة بتور من زودانجا أول من أعطاني إياه منذ سنوات عديدة.

وعندما حل الظلام، امتطيت الثوات وتحركت برفقة جان هور واثنين من محاربيه؛ حيث وافقت على عرضه لمرافقتي إلى أقرب نقطه لخطوط الباناريين. ولحسن الحظ كانت السماء بلا أقمار مؤقتاً. اقتربنا من أول نيران مخيمات العدو، وعندئذٍ ترجلت وودعت أصدقائي الجدد.

قال جان هور: «حظاً سعيداً! ستحتاج إليه».

كان كور-آن أحد المحاربين الذين رافقونا. قال لي: «أود أن أذهب معك، يا أمير، للتكفير عما فعلته».

قلت مؤكِّدًا: «كنت لآخذك معي، يا كور-آن، إذا كان من الضروري أن يرافقني أي شخص. وعلى أي حال، ليس هناك ما يجب أن تُكفِّر عنه؛ وإذا كنت تريد القيام بشيء من أجلي، أعطني وعدًا بأنك سوف تقاتل دائمًا من أجل تارا الهيليومية ولانا الجاثولية».

قال: «أقسم بسيفي على ذلك». تركتهم واتخذت طريقي بحذر نحو مخيم البانار.

ومرة أخرى، كما هو الحال في مناسبات كثيرة، استخدمت تكتيكات عرق آخر من المحاربين الحُمر - الأباتشي، في جنوب غرب كوكب الأرض - حيث زحفت على بطني وأنا أقرب أكثر من خطوط العدو. يمكنني رؤية أشكال المحاربين المتجمعين حول النيران، كما يمكنني سماع أصواتهم وضحكاتهم الفظة؛ ومع زيادة اقترابي سمعتهم يقسمون ويطلقون الكلمات البذيئة، التي تصدر بشكل طبيعي من أفواه المقاتلين. وعندما هبت عاصفة من الرياح من المخيم نحوي، استطعت حتى أن أشم رائحة عرقهم واختلاط الجلود بالدخان المتصاعد من نيرانهم.

خطا حارس ووقف بيني وبين النيران؛ وعندما اقترب أكثر مني، فردت جسمي على الأرض. سمعته يتثاءب عندما كان عند رأسي تقريبًا، فنهضت واقفًا أمامه. وأمسكت برقبته قبل أن يتمكن إطلاق صيحة تحذير، وطعته في قلبه ثلاث مرات بخنجري. أكره القتل هكذا، ولكن ليس أمامي أي سبيل آخر، ولم أقتله من أجل نفسي - بل من أجل لنا الجاثولية، ومن أجل تارا الهيليومية، ومن أجل ديجاه ثوريس أميرتي الحبيبة.

وما إن وضعت جسده على الأرض، حتَّى نهض محارب كان يجلس أمام نيران قريبة ونظر نحونا. سأل زملاءه: «ماذا كان ذلك؟».

أجاب أحدهم: «الحارس؛ إنه هناك الآن». تركت الموقع ببطء، على أمل ألا يأتي أحد ليتحقق من الأمر.

قال المتحدث الأول: «يمكنني أن أقسم أنني رأيت رجلين يتشاجران هناك».

فقال متحدث ثالث: «أنت دائماً ترى أشياء».

ابتعدت عن الموقع إلى أن توقفوا عن مناقشة هذه المسألة وتحول انتباههم لشيء آخر؛ ثم ركعت بجوار الرجل الميت وجردته من عتاده وأسلحته، وارتديتها على الفور. وهكذا أصبحت، من حيث مظهري الخارجي، أحد جنود هين أبتول - محارب باناري من إحدى المدن الزجاجية اللامعة في الشمال المتجمد. مشيت إلى أقصى نهاية موقعي، ثم واصلت ودخلت المخيم على مسافة من المجموعة التي ضمت المحارب الذي أثرت شكوكه. وعلى الرغم من مروري بالقرب من مجموعة أخرى من المحاربين، لم يهتم بي أحد. كان هناك أفراد آخرون يتجولون من حلقة نيران إلى غيرها، ولذا لم تجذب حركتي أي انتباه.

لا بد أنني مشيت مسافة هاد كامل داخل خطوطهم من نقطه دخولي، قبل أن أشعر بالأمان لوقوفي مع المحاربين واختلاطي بهم. وأخيراً رأيت محارباً يجلس وحيداً بجانب النيران، فاقتربت منه.

قلت، مستخدمًا التحية البرسومية: «كاور!».

أجاب. «كاور! اجلس. أنا غريب هنا، وليس لديّ أصدقاء في هذه الدار». الدار هي وحدة عسكرية تضم ألف رجل، تماثل الفرقة في كوكب الأرض. «لم أخرج سوى اليوم، مع وحدة جديدة من بانكور. من الجيد أن أتحرك وأرى العالم مرة أخرى، بعد تجميد امتد لخمسين سنة».

قلت صائحًا: «لم تخرج من بانكور منذ خمسين سنة!»، مع تخميني أن بانكور هو اسم المدينة القطبية التي جاء منها، وعلى أمل أن يكون التخمين صحيحًا.

قال: «لا، وأنت! كم سنة كنت مجمدًا؟».

قلت: «لم أذهب إلى بانكور من قبل؛ أنا من الذين انضموا للتو إلى قوات هين أبتول منذ مجيئهم إلى الجنوب». تصورت أن هذا الموقف هو الأسلم؛ لأنني سوف أثير شكوكه إذا زعمت أنني أعرف بانكور، وأنا لم أذهب إليها أبدًا.

قال ريفيقي: «حسنًا، لا بد أنك مجنون».

سألته: «لماذا؟».

«لا يضع أحد نفسه تحت سلطة هين أبتول إلا إذا كان مجنونًا. حسنًا، لقد فعلتها. سيأخذونك إلى بانكور بعد انتهاء هذه الحرب، إلا إذا كنت محظوظًا وقُتِلت؛ ثم يجمدونك هناك إلى أن يحتاجك هين أبتول في حملة أخرى. ما اسمك؟».

أجبت: «دوتار سوجات». استخدمت ثانية الاسم القديم الذي منحتني إياه جماعة المريخين الخُضر في ثارك منذ سنوات عديدة».

«وأنا اسمي إيم-تار، أنا من كوبول».

«أظن أنك قلت إنك من بانكور».

أوضح: «أنا من كوبول من حيث المولد. وأنت، من أين؟».

قلت لتذكيره: «نحن البانتان ليس لنا بلد».

قال بإصرار: «لكنك لا بد أنك مولود في مكان ما».

قلت وأنا أحاول أن أغمز بمكر: «ربما كلما قل الحديث عن ذلك، كلما كان أفضل».

ضحك، وقال: «آسف أنني سألت».

في بعض الأحيان، عندما يرتكب رجل جريمة سياسية، تُعرض مكافأة ضخمة لمن يتقدم بمعلومات عن مكان وجوده؛ ولذلك يُغير اسمه ولا يكشف عن اسم بلده. وقد تركت إيم-تار يعتقد أنني هارب من العدالة.

سألته: «كيف ترى سير هذه الحملة؟».

أجاب إيم-تار: «سوف يفوز هين أبتول إذا نجح في تجويعهم؛ ولكن مما سمعته، لا يمكنه أبدًا الاستيلاء على المدينة بالقوة. إن الجاثوليين مقاتلون عظماء، وهو أكثر مما يمكن أن يُقال عن أولئك الذين يقاتلون تحت قيادة هين أبتول - قلوبنا ليست معه؛ لا نشعر بالولاء تجاه هين أبتول. لكن الجاثوليين يقاتلون الآن من أجل بيوتهم

ومن أجل الجد؛ فهم يحبون الاثنين على حد سواء. يقولون إن أميرة جاهاان هي ابنة أمير الحرب في برسوم. وإذا عرف ما يحدث وأحضر أسطولاً وجيشاً من هيليوم، فلن يكون أماننا سوى أن نبدأ في حفر قبورنا».

سألته: «وهل لدينا العديد من السجناء؟».

«ليس كثيرًا. لقد أمسكوا بثلاثة هذا الصباح؛ وكانت ابنة جاهاان، جد جاثول، واحدة منهم؛ وكان الاثنان الآخران رجلين».

قلت: «هذا مثير للاهتمام؛ وأتساءل ما الذي سيفعله هين أبتول مع ابنة جاهاان».

أجاب إيم-تار: «لا أعرف، لكنهم يقولون إنه أرسلها إلى بانكور بالفعل. يسمع المرء الكثير من الشائعات في الجيش، على الرغم من أن معظمها غير صحيح».

قلت: «أفترض أن هين أبتول لديه أسطول كبير من الطائرات».

«لديه الكثير من الخردة القديمة، وليس لديه العديد من الرجال الذين يستطيعون قيادتها».

قلت: «أنا طيار».

قال إيم-تار ناصحًا: «من الأفضل ألا تجعلهم يعرفون ذلك، وإلا سوف يضعونك على متن بعض تلك الطائرات القديمة».

«أين منصة الهبوط هنا؟».

«في هذا الاتجاه، على مسافة هاد تقريبًا»، وأشار في الاتجاه الذي

كنت ذاهباً إليه عندما توقفت للتحدث معه.

قلت: «حسنًا، وداعًا يا إيم-تار»، ونهضتُ.

«إلى أين تذهب؟».

قلت: «للطيران من أجل هين أبتول».



الفصل (٥)

اتخذت طريقي خلال المخيم إلى حيث اصطف عدد من الطائرات. كان صفًا يفتقر إلى التنظيم وغير عسكري، مما يشير إلى عدم الكفاءة؛ وكانت السفن عبارة عن أكثر تجميع مثير للدهشة من البقايا الأثرية التي عفا عليها الزمن رأيت من قبل، ويُعتبر معظمهم قطعًا متحفية.

جلس بعض المحاربين حول حلقة نيران قريبة. اقتربت منهم، على افتراض أنهم يرتبطون بخدمة الطيران.

سألت: «أين ضابط الطيران المسؤول؟».

«هناك»، قال أحدهم وهو يشير إلى أكبر سفينة في الصف، «لماذا؟ هل تريد مقابله؟».

«نعم».

«حسنًا، ربما كان ثملًا».

قال رجل آخر: «إنه ثمل بالفعل».

سألت: «ما اسمه؟».

أجاب الأول: «الأودوار فور سان». ورتبة أودوار تعادل تقريباً رتبة جنرال أو عميد. وهو يتولى قيادة ١٠ آلاف محارب في الجيش، وأسطول في القوات البحرية.

قلت: «شكرًا، سأذهب لمقابلته».

«لا تفعل، إذا كنت تعرفه؛ فهو وضع مثل الأولسيو».

توجهت إلى السفينة الكبيرة. واضح أنها تعرضت للقصف وضربات المناخ، ولا بد أن عمرها الآن ٥٠ سنة على الأقل. كان السلم يتدلى من منتصف السفينة، ووقف عند نهايته محارب يمتشق سيفه.

سألني: «ماذا تريد؟».

قلت: «لدي رسالة للأودوار فور سان».

«مَن الذي أرسلها؟».

قلت له: «هذا ليس من شأنك، عليك إبلاغه أن دوتار سوجات يريد مقابله في مسألة مهمة».

قدم لي الزميل التحية العسكرية بطريقة ساخرة، وقال: «لم أكن أعرف بوجود جدوار بيننا. لماذا لم تخبرني؟».

الجدوار هي أعلى رتبة في الجيش أو البحرية على المريخ. وهذه الرتبة - بخلاف الحد أو الجيداك، أو أمير الحرب - قد أنشأها لي خصيصاً خمسة من الجيداك في خمس إمبراطوريات. وكان ذلك المحارب ليُفاجأ إذا عرف أنه منحني لقباً أدني من لقبي بكثير.

ضحكت على مزحته، وقلت: «لا يعرف المرء من الذي يُضحكه».

قال: «إذا كانت لديك رسالة بالفعل إلى الأولسيو العجوز، سوف أستدعي مسؤول سطح السفينة؛ ولكن، باسم إيسوس، من الأفضل أن تكون لديك رسالة مهمة».

أكدت له: «لديَّ رسالة مهمة بالفعل»؛ وكنت أقول الحقيقة؛ لأن الأمر كان على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لي. استدعى مسؤول سطح السفينة، وطلب منه أن يقول للأودوار إن دوتار سوجات هنا ومعه رسالة مهمة.

انتظرت حوالي خمس دقائق، ثم جاء استدعائي إلى السفينة وأخذوني إلى إحدى المقصورات. جلس رجل فظ وقذر الملابس أمام طاولة عليها إبريق كبير والعديد من الكؤوس المعدنية الثقيلة. نظر نحوي متذمرًا بأعين غائمة.

سأل: «ماذا يريد ابن الكالوت هذا الآن؟».

خمنت أنه يشير إلى ضابط أعلى، وربما إلى هين أبتول. حسنًا، إذا كان يعتقد أنني أحمل رسالة من هين أبتول، فهذا أفضل بكثير.

قلت: «أنا هنا للعمل تحت قيادتك، بوصفي خبيرًا بالطيران».

صاح في وجهي قائلاً: «وهل أرسلك في هذا الوقت من الليل لتبلغني بذلك؟».

قلت: «لديك عدد قليل من الطائرات الجيدة. وأنا بانتان، طرت في جميع أنواع السفن الفضائية في قوات هيليوم البحرية. وقد تصورت أنك ربما يسعدك أن أعمل معك قبل أن يأخذني أي قائد آخر. أنا ملاح، وعلى دراية بجميع الأدوات الحديثة أما إذا لم تكن تريدني، سأكون حرًا في الارتباط بأي مكان آخر».

كان مشوشًا بالشراب القوي، أو ربما لم تنظلي عليه الخدعة. تظاهر بأنه ينظر في الأمر بجدية؛ وخلال ذلك، سكب لنفسه شرابًا آخر، وابتلعه في جرعتين أو ثلاث - انسكب معظمها على جبهته. ملاً كأسًا أخرى ودفعه عبر الطاولة نحوي، مع انسكاب معظم محتوياته على سطح الطاولة.

قال: «اشرب!».

قلت: «ليس الآن؛ أنا لا أشرب أبدًا عندما أكون في الخدمة».

«أنت لست في الخدمة».

«أنا دائمًا في الخدمة؛ قد اضطر إلى الطيران بسفينة في أي لحظة».

فكر في الأمر لعدة دقائق بمساعدة شراب آخر؛ ثم ملاً كأسًا أخرى ودفعه عبر الطاولة نحوي. قال: «اشرب».

أمامي الآن كأسان؛ فمن الواضح أن فور سان لم يلاحظ أنني لم أشرب الكأس الأولى.

سألته: «ما السفينة التي ساقودها؟». كنت أرثقي بالحديث بسرعة.

لم يلق فور سان بالأسئلة، وانهمك في ما أصبح الآن عملية حساسة

وصعبة - صب مشروباً آخر، انسكب معظمه على الطاولة، ومنها إلى ركبتيه.

سألته: «ما السفينة التي قلت إنني سأتولى قيادتها؟».

تطلع حائرًا للحظة، ثم حاول جمع شتات نفسه بكرامة عسكرية. قال: «سوف تقود السفينة دوسار، أيها الدوّار»؛ ثم ملأ كأسًا أخرى ودفعه نحوي قائلاً: «اشرب، يا دوّار». تأكدت ترقيتي.

مشيت إلى مكتب مغطى بركام غير مرتب من الأوراق، وبحثت حتى وجدت ورقة رسمية فارغة وكتبت:

«إلى الدوّار دوتار سوجات:

عليك أن تأخذ السفينة دوسار على الفور.

بأمر من الأودوار القائد».

وبعد أن عثرت على قطعه قماش ومسحت الخمر من على الطاولة أمامه، وضعت الأمر وأعطيته القلم.

قلت: «لقد نسيت أن توقع هذا، يا أودوار». كان يبدأ في التمايل، ورأيت أنني يجب أن أسرع.

سألني: «أوقع ماذا؟»، ومد يده إلى الإبريق.

دفعته الإبريق بعيداً عنه، وأمسكت يده ووضعت سن القلم في

المكان الصحيح على الورقة، وقلت: «وقع هنا».

كرر: «وقع هنا»، وكتب اسمه بمشقة؛ ثم سقط إلى الأمام على الطاولة، نائمًا. لقد أنجزت المهمة في الوقت المناسب.

ذهبت إلى سطح السفينة؛ وكان القمران في السماء الآن: كلوروس فوق الأفق مباشرة، وثوريا أعلى قليلًا؛ وعندما يقترب كلوروس من الذروة، يكون ثوريا قد أكمل مداره حول برسوم واجتازه - يا لها من رحلة سريعة عبر السماء.

اقترب مني مسؤول سطح السفينة. سألته: «أين الطائرة دوسار؟». أشار إلى الصف قائلاً: «أعتقد أنها السفينة الخامسة أو السادسة». ذهبت إلى الجانب الآخر؛ وعندما نزلت إلى الأرض سألني الحارس: «هل كان الأولسيو العجوز ثملًا كعادته؟». أجبت: «كان متزنًا تمامًا».

فقال: «إذن علينا استدعاء طبيب، فلا بد أنه مريض». مشيت على طول الصف، وعند السفينة الخامسة اقتربت من الحارس الذي يقف عند سلمها. سألته: «هل هذه هي السفينة دوسار؟». سألني بوقاحة: «ألا يمكنك أن تقرأ؟».

نظرت إلى الشارة عند مقدمة السفينة؛ كانت دوسار. وضعت الأمر أمامه وسألته: «هل يمكنك القراءة؟».

بدأ يهتم وقدم لي التحية. قال متجهماً: «لم أتمكن من التعرف عليك من خلال معادنك». كان على حق تمامًا؛ فقد كنت أرثدي معادن

محارب عادي.

نظرت إلى السفينة. لم يكن مظهرها واعدًا - مجرد هيكل قديم، عتيق الطراز. صعدت السلم ودخلت إلى سطح السفينة التي أصبحت قائدها. لا يوجد ملاح لتوجيه النفير. هناك رجل واحد فقط للمراقبة، وكان مكومًا على سطح السفينة مستغرقًا في النوم.

توجهت نحوه ولكزته بأصبع قدمي. قلت له أمرًا: «استيقظ، هيا!». فتح عينيه ونظر في وجهي، ثم قفز واقفًا على قدميه. سألتني: «مَنْ أنت؟ وماذا تفعل هنا؟ وماذا تقصد بركلي في ضلوعي وإيقاظي؟».

قلت له: «سؤال بسؤال، يا رجُلِي. سأجيب عن سؤالك الأول، وهي إجابة عن الأسئلة الأخرى أيضًا». أخرجت الأمر ليراه.

أمسك الأمر وهو يقول: «لا تنادينني رجُلِي، أنت...»؛ لكنه توقف هنا بعد أن قرأ الأمر. قدم لي التحية وأعاد لي الأمر، لكنني لاحظت ما يوحى بمجرد ابتسامة على وجهه.

سألته: «لماذا تبتسم؟».

قال: «كنت أفكر أنك ربما حصلت على أسهل وظيفة في قوات هين أبتول البحرية».

«ماذا تعني؟».

«لن تجد شيئًا تفعله؛ لأن دوسار خارج الخدمة - فهي لن تطير».

إذن، ربما لم يكن الأودوار فور سان ثملًا كما تصورت.

الفصل (٦)

كان سطح السفينة دوسار قذرًا، ومتهالكًا نتيجة للعوامل الجوية.
كان كل شيء في حالة من الفوضى، ولكن ما الفارق إذا كانت السفينة
لا تطير؟

سألته: «كم عدد الضباط والرجال الذين يعملون عليها؟».
ابتسم الزميل وأشار إلى نفسه قائلاً: «واحد، أو أصبحنا الآن اثنين
بوجودك».

سألته عن اسمه، فقال فو-نار. كان يُعتبر في الولايات المتحدة
بحارًا عاديًا، لكن الكلمات المريخية للملاح والبحار قد عفا عليها الزمن
الآن، مثلها مثل المحيطات التي ماتت تقريبًا من ذاكرة الإنسان. يُعرف
جميع البحارة والجنود باسم 'الثان'، وقد ترجمتها دائمًا كمحاربين.
قلت: «حسنًا، فو-نار، دعنا نلقي نظرة على سفيتتنا. ما مشكلتها؟
لماذا لا تطير؟».

قال: «إنه المحرك، يا سيدي، لم يُعد يعمل».

قلت: «سألقي نظرة على السفينة، ثم نرى ما إذا كنا لا نستطيع أن نفعل شيئاً حيال المحرك».

أخذت فو-نار معي، وذهبت إلى أسفل. كان كل شيء قدراً وفي حالة فوضى. سألته: «منذ متى وهي خارج الخدمة؟».

«حوالي شهر».

قلت: «لا يمكن بالتأكيد أنك تسببت في كل هذه الفوضى خلال شهر».

«لا يا سيدي؛ كانت دائماً هكذا، حتى عندما كانت تطير».

«من كان قائدها؟ أياً من كان، يجب طرده لأنه سمح أن تصل السفينة إلى هذه الحالة».

قال فو-نار: «لن يُطرد أبداً يا سيدي».

سألته: «لماذا؟».

أوضح فو-نار وهو يبتسم: «لأنه كان ثملاً وسقط من على متن السفينة خلال رحلتنا الأخيرة».

فحصت البنادق، كانوا ثمانين: أربع على الجانب بجوار المقدمة الصغرى للسفينة، وبنادق المؤخرة على سطح السفينة. تبدو جميع البنادق في حالة جيدة، وهناك الكثير من الذخيرة. كانت رفوف القنابل في جوف السفينة ممتلئة، كما يوجد شَرَك قنبلة خداعية في الأمام وأخرى في الخلف.

ضمت السفينة أماكن لإقامة خمسة وعشرين رجلاً وثلاثة ضباط،

فضلاً عن مطبخ جيد، والكثير من المؤن. إن لم أكن قد رأيت الأودوار فور سان، لم أكن لأفهم لماذا تُركت كل هذه المواد - البنادق، والذخيرة، والمؤن، والمعدات - على متن سفينة أصبحت خارج الخدمة. بدا لي أن عُمر السفينة حوالي عشر سنوات - وبعد فحص دقيق؛ سطحياً، بدا عمرها مائة سنة.

قلت لفو-نار أن يعود إلى سطح السفينة ويناام، إذا كان يرغب في ذلك؛ ثم ذهبت إلى مقصورة الدوّار واستلقيت. لم أُنَل قسطاً كافياً من النوم في الليلة السابقة، وكنت مُتعباً. استيقظت مع ضوء النهار، ووجدت فو-نار في المطبخ يُعد إفطاره. طلبت منه إعداد إفطاري؛ وبعد أن تناولنا طعامنا، ذهبت لإلقاء نظرة على المحرك.

يؤلمني أن أستكشف هذه السفينة، وأرى الحالة التي وصلت لها بسبب ربانها المخمور. أحب الطائرات الفضائية البرسومية، وشاركت في بحرية هيليوم لسنوات عديدة بحيث اكتسبت السفن الفضائية شخصيات بشرية تقريباً بالنسبة لي. كنت أتولى تصميمها، وأشرف على تشييدها، وتمكنت من تطوير أفكار جديدة في المُعدات والمُحركات والتسليح. كما أن العديد من الأدوات القياسية للطيران والملاحة هي من اختراعي. وإذا كان هناك شيء لا أعرفه عن الطائرات المريخية الحديثة، فهذا يعني أن لا أحداً آخر يعرفه.

وجدت الأدوات، وقمت بتفكيك المحرك عملياً والتحقق من كل جزء. وخلال قيامي بذلك، طلبت من فو-نار أن يبدأ في تنظيف السفينة. قلت له أن يبدأ بمقصورتني، ثم ينتقل إلى تنظيف المطبخ. يستغرق الأمر

من رجل بمفرده شهرًا أو أكثر لإعادة السفينة دوسار إلى حالة معقولة، لكننا على الأقل سنبدأ.

اكتشفت، قبل مرور نصف ساعة من عملي على المحرك، طبيعة المشكلة - مجرد الأوساخ! فقد سدت جميع خطوط التغذية، ومنعت الوقود المريخي المُرّكز الرائع من الوصول إلى المحرك.

أذهلني هذا الغباء وعدم الكفاءة، وإن لم يُفاجئني تمامًا؛ فلا يمكن أن تظل الطائرات البرسومية في حالة جيدة في ظل قائد سكير. ففي قوات هيليوم البحرية، لا يشرب أي ضابط أبدًا وهو على متن سفينة أو وهو في الخدمة؛ كما لا يفرط أي منهم أبدًا في الشراب.

وإذا كان ضابط في حالة سُكر في أي وقت على متن سفينته، يحرص الطاقم على التأكد من عدم تكراره لذلك؛ لأنهم يعرفون أن حياتهم في أيدي ضباطهم، ولا يثقون في تركها إلى رجل مخمور - وببساطه يدفعون الضابط من فوق متن السفينة. كانت عادة راسخة، أو تُستخدم قبل أن يتوقف عمليًا شرب الضباط، ألا يُتخذ أي إجراء ضد المحارب الذي يطبق الانضباط بنفسه، حتى وإن رأى الضباط ما فعله. وقد خمنت أن هذه العادة المشهورة لها علاقة بالحادث المؤسف الذي سرق من السفينة دوسار قائدها السابق.

انقضى اليوم عمليًا عندما انتهيت من تنظيف كل جزء من المحرك بدقة وأعدتُ جميعه؛ ثم قمت بتشغيل المحرك. كانت مهمة المحرك اللطيفة، بلا أي ضجة أو اهتزاز تقريبًا، بمثابة الموسيقى في أذني. لدي الآن سفينة - سفينة يمكنها أن تطير!

يمكن لرجل واحد تشغيل مثل هذه السفينة، لكنه لا يستطيع بالطبع خوض حرب بها بمفرده. من أين يمكنني الحصول على رجال؟ لم أكن أريد مجرد أي رجال. أريد مقاتلين جيدين، على استعداد للقتال ضد هين أبتول.

وخلال تفكيري في هذه المشكلة، ذهبت إلى حجرتي لتنظيفها؛ فوجدتها مُرتبة بشكل أنيق. لقد قام فو-نار بعمل جيد؛ كما جلب أيضًا العتاد والمعادن الخاصة برتبة الدوّار - لا شك أنها من ممتلكات القائد الراحل. استحممت وارتديت العتاد، وشعرت أنني رجل جديد. توجهت إلى السطح العلوي. جذبت اهتمام فو-نار، الذي قدم لي التحية.

سألته: «فو-نار، هل أنت باناري؟».

قال بحدة: «يجب أن أقول لا... أنا أصلاً من جاهار، والآن ليس لديّ بلد - أنا بانتان».

سألته: «هل كنت هناك خلال عهد تول أكستار؟».

فأجاب: «نعم؛ وبسببه أصبحت منفياً - حاولت قتله، وقبضوا عليّ، وبالكاد ما تمكنت من الفرار وإنقاذ حياتي. لا يمكنني العودة ما دام هو في قيد الحياة».

قلت: «يمكنك العودة إذن؛ فقد مات تول أكستار».

«كيف يمكنك أن تعرف، يا سيدي؟».

«أعرف الرجل الذي قتله».

صاح فو-نار: «يا لحظي! الآن عندما أصبح بإمكانني أن أعود، لا أستطيع العودة».

«لماذا لا يمكنك العودة؟».

«للسبب نفسه، يا سيدي، الذي من أجله لن يمكنك العودة أبدًا، بغض النظر من أين أتيت، إلا إذا كنت من بانار - وهذا ما أشك فيه».

قلت: «لا، أنا لست من بانار؛ ولكن ماذا يجعلك تعتقد أنني لن أعود إلى بلدي؟».

«لأن كل من يقع في أيدي هين أبتول لا يمكنه أن يهرب أبدًا إلا بالموت».



الفصل (٧)

قلت: «أوه، يا فو-نار، هذا سخف. ماذا يمنع أي منا من المغادرة؟».

أجاب: «إذا غادرنا هذا المكان، سيقبض علينا الجاثوليون ويقتلوننا. وبعد انتهاء هذه الحملة، لن نهبط إلا في بانار؛ ومن بانار لا يوجد مفر. لا تتوقف سُفن هين أبتول أبدًا في أي مدينة صديقة، حيث يمكن للمرء أن يجد فرصة للهرب؛ لأنه لا توجد مدن صديقة لهين أبتول. إنه يهاجم كل مدينة يعتقد أن بإمكانه غزوها، وينهبها، ثم يطير بعيدًا بكل الغنائم التي يمكنه جمعها ويأخذ معه العديد من السجناء بقدر ما يمكن أن تحمل سفنه - ومعظمهم من الرجال. يقولون إن لديه مليون رجل الآن، وإنه يخطط في النهاية لغزو هيليوم وبعد ذلك برسوم كلها».

«لقد أسرني عندما نهب راكسار في طريقه من بانار إلى جاثول؛ كنت أخدم في جيش جد راكسار».

سألته: «وهل ترغب في العودة إلى جاهار؟».

فأجاب: «بالتأكيد. زوجتي هناك، إذا كانت لا تزال تعيش؛ فقد انقضى عشرون عامًا».

«ألا تشعر بالولاء تجاه هين أبتول؟».

أجاب: «كلا، على الإطلاق؛ لماذا؟».

«أعتقد يمكنني أن أقول لك. إنني أتمتع بنفس القدرة التي يتمتع بها جميع البرسوميين، وهي قراءة عقل شخص آخر عندما لا يكون مغلقًا. وقد كان عقلك الباطن مفتوحًا أحيانًا، يا فو-نار، مما أتاح لي قراءة أفكارك، وعرفت عنك العديد من الأشياء. كان أحدها هو تساؤلك الدائم عني - مَنْ أنا، وما إذا كان يمكنك الوثوق بي. وعرفت أيضًا أنك تحتقر البانار. كما اكتشفت أنك لم تكن محاربًا عاديًا في جاهار، وإنما أنت دَوَّار في خدمة الجيداك - كنت تفكر في ذلك عندما رأيتني أول مرة مرتديًا معدن وعتاد دَوَّار».

ابتسم فو-نار، وقال: «أنت تقرأ جيدًا، ويجب أن أكون أكثر حذرًا. أنت تقرأ أفضل مني بكثير، أو تغلق أفكارك على نحو أفضل مني؛ لأنني لم أتمكن من الحصول حتى على أدنى معرفة عما يدور في ذهنك».

قلت: «لم يتمكن أي رجل من قراءة ذهني، وهذا أمر غريب أيضًا وليس له تفسير. لقد نجح المريخيون في تطوير قراءة العقل إلى حد أن أصبح فنًا جميلًا، ومع ذلك لم يتمكن أحد أبدًا من قراءة ذهني. ربما لأنه عقل رجل من كوكب الأرض، والتخاطر لم يتقدم كثيرًا على كوكبنا».

قال فو-نار: «أنت محظوظ. وإنما برجاء أن تستكمل ما بدأته من حديث».

قلت: «حسنًا. بداية، لقد أصلحتُ المحرك - والآن يمكن لدوسار أن تطير».

صاح فو-نار: «جيد! أنا قلت إنك لست من بانار؛ فهم أغبى شعب في العالم. لم يكن أي باناري ليستطيع إصلاحه أبدًا؛ كل ما يمكنهم القيام به هو ترك الأشياء للخراب والدمار. واصل كلامك».

«نحتاج الآن إلى طاقم. هل يمكننا إيجاد ١٥-٢٠ رجلًا جديرين بالثقة وقادرين على القتال، ويتبعونني إلى أي مكان أقودهم إليه للفوز بحريتهم من هين أبتول؟».

أجاب فو-نار: «يمكنني أن أجد لك كل الرجال الذين تحتاج إليهم».

قلت: «عليك أن تبدأ على الفور؛ أنت الآن بدوار أول في السفينة دوسار».

قال فو-نار ضاحكًا: «ها أنا أعود للعالم مرة أخرى. سأبدأ فورًا، وإنما لا تتوقع معجزة. فقد يستغرق العثور على رجال مناسبين بعض الوقت».

«دعهم يأتون إلى السفينة بعد حلول الظلام، وقل لهم أن يتأكدوا من عدم رؤية أحد لهم. ماذا نفعل حيال ذلك الحارس عند أسفل السلم؟».

قال فو-نار: «الشخص الذي كان في الخدمة عندما جئت إلى السفينة هو شخص جيد؛ وسوف يأتي معنا. إنه يعمل من الزود الثامن إلى التاسع، وسوف أطلب من الرجال القدوم في هذا التوقيت».

قلت وهو يستدير: «حظًا سعيدًا، يا بادوار».

مر باقي اليوم ببطء. قضيت بعض الوقت في مقصورتني أنظر في

أوراق السفينة. تحتفظ السفن البرسومية بسجلات مثل سفن كوكب الأرض، وانشغلت عدة ساعات في قراءة سجلات دوسار. لقد تم الاستيلاء على السفينة منذ أربع سنوات عندما كانت في رحلة علمية بالقطب الشمالي؛ على أن السجلات سيئة جدًا منذ ذلك الحين، في ظل قيادة البانارين. ففي بعض الأحيان لا توجد مدخلات لمدة أسبوع، وعندما يدونون شيئاً يكون بإهمال وتعوزه المهنية. كلما عرفت أكثر عن البانارين، قل إعجابي بهم - ناهيك عن التفكير في أن المخلوق الذي يحكمهم يطمح إلى غزو العالم!.

عاد فو-نار في حوالي نهاية الزود السابع. قال: «كان حظي أفضل بكثير مما توقعت؛ فكل رجل اقتربت منه يعرف ثلاثة أو أربعة يثق فيهم، ولذا لم يستغرق إيجاد ٢٥ رجلاً وقتاً طويلاً. أعتقد أيضاً أن لديّ الرجل الجدير برتبة البادوار الثاني. كان برتبة بادوار في جيش هيليوم، وخدم على العديد من سفنها».

سألته: «ما اسمه؟ فأنا أعرف العديد من رجال هيليوم».

أجاب فو-نار: «إنه تان هادرون، من هاستور».

تان هادرون من هاستور! لماذا، لقد كان واحداً من أفضل ضباطي؟
ما الحظ السيئ الذي أوقعه في أسطول هين أبتول البحري؟

قلت بصوت عالٍ: «تان هادرون من هاستور؛ يبدو الاسم مألوفاً إلى حد ما. ربما كنت أعرفه». لم أكن أرغب أن يعرف أحد أنني جون كارتر، أمير هيليوم؛ فإذا عُرف ذلك وأمسكوا بي، سوف ينتزع هين أبتول فدية هائلة من تاردوس مورس، جيداك هيليوم، وجد زوجتي ديجاه ثوريس.

بدأ وصول المحاربون إلى متن دوسار بعد الزود الثامن مباشرة.
أصدرت تعليماتي إلى فو-نار لإرسالهم على الفور إلى مقصوراتهم، لأنني خشيت أن تجذب الحياة على سطح السفينة دوسار الانتباه. وطلبت منه أيضًا أن يرسل تان هادرون إلى مقصوري بمجرد صعوده إلى متن السفينة.

طرق شخص باب مقصوري في حوالي الزود الثامن والنصف.
دعوته للدخول، ودخل تان هادرون إلى المقصورة. خدعته بشرتي الحمراء وعتادي الباناري، فلم يتعرف علي.

قال: «أنا تان هادرون من هاستور. أبلغني البادوار فو-نار أنك تريد مقابلي».

سألته: «أنت لست باناري؟».

توتر، ثم قال بفخر: «أنا من مدينة هاستور في هيليوم».

سألته: «أين هاستور؟».

بدأ مندهشًا من هذا الجهل. قال: «إنها تقع مباشرة جنوب هيليوم الكبرى، يا سيدي، على مسافة حوالي ٥٠٠ هاد. أرجو أن تعذرني، فقد فهمت من البادوار فو-نار أنك تعرف العديد من رجال هيليوم، ولذا تصورت أنك زرت الإمبراطورية. بل فهمت منه، في الواقع، أنك خدمت في قواتنا البحرية».

قلت: «لم أخدم في القوات البحرية هنا أو هناك. أوصى فو-نار بأن أمنحك منصب البادوار الثاني على متن دوسار. عليك أن تخدمني

بإخلاص، وتتبعني إلى أي مكان أذهب إليه؛ ومكافأتك هي حريتك من هين أبتول».

رأيت أنه متشكك بعض الشيء حول الاقتراح برمته بعد أن قابلني - فقد قابل رجلًا لم يسمع عن هاستور، وهذا لم يشعره بالراحة؛ ومع ذلك لمس غمد سيفه وقال إنه سيتبعني بإخلاص.

سألني: «هل هذا كل شيء، يا سيدي؟».

قلت: «نعم، في الوقت الحالي. وبعد أن يصل الرجال جميعًا إلى السفينة، سأطلب الاجتماع معهم هنا، وعندئذ سوف أحدد الضباط. أرجو أن تحضر».

قدم التحية، واستدار ليخرج.

ناديت عليه: «أوه، بالمناسبة، كيف حال تافيا؟».

اهتز كما لو أن أحدًا أطلق عليه النار، واتسعت عيناه.

سألني: «ماذا تعرف عن تافيا يا سيدي؟ إنها زوجتي».

«أعرف أنها فتاة رائعة، ولذا لا أفهم لماذا لست معها في هاستور؛ أم أن موقعك في هيليوم الآن؟».

اقترب قليلًا مني، ونظر في وجهي باهتمام. لم يكن الضوء جيدًا في مقصورتي، وإلا لكان ليتعرف علي بسرعة أكبر.

وأخيرًا تدلى فكه، ثم فك سيفه وألقاه عند قدمي صائحًا: «جون كارتر!».

قلت لتحذيره: «ليس بصوت عالٍ، يا هادرون؛ لا أحد هنا يعرف

من أنا، ويجب ألا يعرف أحد باستثنائك».

ضحك قائلاً: «أمضيت وقتاً طيباً معي، يا سيدي، أليس كذلك؟».

قلت: «لقد مر وقت طويل منذ أن تمكنت من الضحك على أي شيء؛ ولذا أرجو أن تغفر لي. والآن، أخبرني عما حدث لك وأوقعك في هذا المأزق».

قال: «ربما نصف قوات هيليوم البحرية تبحث عنك وعن لانا الجاثولية. جاءتنا شائعات عن مكانك أو مكانها من جميع أنحاء برسوم. وكنت، مثلي مثل العديد من الضباط الآخرين، أبحث عنك وعن لانا في طائرة لرجل واحد. لكن حظي كان سيئاً، يا سيدي. وها أنا هنا. أصابت طائرتي طلقة من إحدى سفن هين أبتول؛ وأمسكوا بي بمجرد هبوطي».

قلت له: «كنت، ومعني لانا الجاثولية ورفيقيين آخرين، في طائرة، وأسقطتها أيضاً إحدى سفن هين أبتول. وقبض عليهم بعض محاربي هين أبتول، كما أعتقد، عندما تركتهم للبحث عن الطعام بعد هبوطنا خلف خطوطهم. علينا أن نحاول التأكد، إن أمكن، أين توجد لانا؛ وبعدها يمكننا التخطيط بذكاء. ربما بعض الرجال الذين جاءوا إلينا لديهم معلومات، حاول أن تعرف».

قدم لي التحية وغادر مقصورتي. كان من الجيد أن أعرف أن لدي رجلاً مثل تان هادرون الهاستوري كأحد المساعدين.

الفصل (٨)

غادر تان هادرون مقصورتي، وبعد فترة وجيزة دخل فو-نار لإبلاغي بأن جميع المجندين وصلوا ما عدا واحد، وأنه طلب من الرجال تنظيم السفينة وترتيبها. لكنه كان يبدو قلقاً بعض الشيء، فسألته عما يقلقه.

أجاب: «يقلقني عدم وصول أحد المحاربين، والرجل الذي أقنعه بالانضمام إلينا يشعر بالقلق أيضاً. وقال إن معرفته به لا تمتد لفترة طويلة، وقد التقى عند وصوله إلى دوسار برجلين يعرفان ذلك المحارب جيداً ويقولون إنه أولسيو».

قلت: «حسنًا، لا يوجد شيء يمكننا القيام به حيال ذلك الآن. وإذا كان هذا الرجل ليتحدث ويشير الشك، فعلينا أن نقلع بالسفينة بأسرع ما يمكن. هل حددت لكل رجل موقعه؟».

أجاب: «تان هادرون يقوم بذلك الآن. أعتقد أن هذا الرجل ضابط رائع».

قلت موافقًا: «أنا متأكد من ذلك. عليك أن تتأكد من تخصيص أربعة رجال لقطع الحبال على الفور، إذا واجهنا ضرورة الهروب السريع».

عندما ترسو الطائرات المريخية الكبيرة على الأرض، يجري ربطها بأربع دعائم ثابتة: دعامة على كل جانب من جانبي المقدمة، ودعامة

على كل جانب من جانبي المؤخرة. وإذا لم تكن السفينة عائدة إلى نفس المرسى، تؤخذ هذه الدعائم إلى متنها قبل أن تقلع. وفي حالة المغادرة القسرية -التي أتوقع أنها قد تكون ضرورية في حالتنا- تُقطع غالبًا الحبال التي تربط السفينة بالدعائم.

عاد فو-نار مسرعًا بعد خمس دقائق من مغادرته مقصورتي، قال: «أعتقد أن علينا الرحيل، يا سيدي؛ ذلك أن الأودوار فور سان قادم إلينا! ومعه المحارب المفقود. لا بد أنه أبلغ فور سان بكل ما يعرفه».

«أحضر الأودوار إلى مقصورتي بمجرد وصوله إلى متن سفيتنا، ثم أصدر أمرًا للرجال بالتوجه إلى مواقعهم، وتأكد من أن الرجال الأربعة الذين خصصتهم لهذه المهمة يقفون بفؤوسهم عند حبال المرساة. اطلب من تان هادرون أن يبدأ تشغيل المحرك، ويستعد للإقلاع. واطلب من أحد الرجال أن يقف خارج باب مقصورتي لينقل أمرى بالإقلاع عندما أعطي الإشارة؛ وهي عندما أصفق بيدي مرتين».

ذهب فو-نار لبضع دقائق، وعاد ثانية. قال: «لن ينزل إلى مقصورتك، وهو يسير كحيوان ثوات مجنون، ويطلب إحضار الرجل الذي أعطى الأمر بتجنيد طاقم لدوسار إلى سطح السفينة».

سألته: «هل تان هادرون عند لوحات التحكم، ومستعد لبدء تشغيل المحرك؟».

أجاب فو-نار: «نعم».

«سيبدأ إذن بمجرد أن أصعد إلى سطح السفينة، وأرسل رجالك في

الوقت نفسه إلى أحبال الرسو، وأخبرهم عن الإشارة».

انتظرت بضع دقائق بعد مغادرة فو-نار، ثم صعدتُ إلى سطح السفينة. كان فور سان يضرب بقدمه على السطح في غضب رهيب واضح، كما كان أيضًا ثملًا إلى حد ما.

ذهبت إليه وقدمت له التحية، ثم سألته: «هل أرسلت في طلبي، يا سيدي؟».

سألني: «مَن أنت؟».

أجبت: «أنا الدوّار المسؤول عن السفينة دوسار، يا سيدي».

صاح: «مَن قال ذلك؟ ومَن كلفك بقيادة هذه السفينة؟ بل مَن كلفك بقيادة أي سفينة؟».

«أنت، يا سيدي».

قال صارخًا: «أنا؟ أنا لم أرك من قبل. أنت مقبوض عليك. أمسكوه!». التفت إلى المحارب الذي يقف بجواره -محاربي المفقود، كما كنت أشك- وبدأ في التحدث إليه ثانية.

قلت: «انتظر لحظة. انظر إلى هذا، إنه أمر مكتوب وعليه توقيعك بتعييني لقيادة دوسار». رفعت الأمر إلى أعلى حتى يتمكن من قراءته في ضوء قمرَي المريخ المنيرين.

بدا متفاجئًا ومكتئبًا قليلًا لمجرد لحظة، ثم انفجر متوعدًا: «إنها مزورة! وعلى أي حال، لم تعطك السلطة لتجنيد محاربين للسفينة». ها هو يضعف.

سألته: «ما فائدة سفينة قتالية دون محاربين؟».

قال: «أنت لا تحتاج إلى محاربين على متن سفينة لن تطير، أيها الأحمق».

«كنت تعتقد أنك ذكي لتأخذ توقيعني على هذا الأمر، لكنني أذكى منك - فقد كنت أعرف أن دوسار لن تطير».

سألته: «حسنًا، لماذا كل هذه الضجة إذن، يا سيدي؟».

«لأنك تخطط لشيء لا أعرفه، لكنني سأعرف - أن تحضر رجالاً على متن هذه السفينة سرًا في الليل! أنا ألغي هذا الأمر، وأضعك رهن الاعتقال».

كنت أود إخراجهم من السفينة بسلام، لأنني أردت التأكد من مكان لانا قبل الإقلاع. أخبرني أحد الرجال أنه سمع أنها على متن سفينة متجهة إلى بانكور، وإنما لم يكن متأكدًا. وكنت أرغب أيضًا معرفة ما إذا كان هين أبتول معها.

قلت: «حسنًا، فور سان؛ أود أن أقول لك شيئًا الآن. أنا قائد هذه السفينة، وأنوي البقاء في قيادتها. سأعطيك وهذا الجرد ثلاث ثوان للرحيل، لأن دوسار ستقلع بعد ثلاث ثوان»، ثم صفقت بيدي مرتين.

ضحك فور سان ساخرًا، وقال: «قلت لك إنها لن تطير. والآن، هيا! إذا لم تأت بهدوء، سنأخذك بالقوة»، وأشار إلى الجانب الآخر. نظرت، ورأيت كتية قوية من المحاربين تسير نحو دوسار، التي بدأت في الوقت نفسه ترتفع من على الأرض.

وقف فور سان أمامي مزهواً، وسألني: «ماذا ستفعل الآن؟».

أجبت وأنا أشير إلى الجانب: «سوف آخذك في نزهة صغيرة».

ألقي نظرة واحدة، ثم ركض إلى الدرازين. كان محاربوه ينظرون من أسفل إليه في حيرة عقيمة. صاح فور سان في البادوار الذي يقودهم: «أصدر أمراً إلى أوكار بمتابعة هذه السفينة والاستيلاء عليها!». كانت أوكار هي سفينته الرئيسة.

ونظراً لأن خمور قائد السفينة السابق لا تزال موجودة في مقصورتي، اقترحت عليه: «ربما ترغب في النزول إلى مقصورتي لتشرب قليلاً». وأمرت المحارب الذي خاننا: «سوف تذهب معه، وستجد الخمور في إحدى الخزائن»، ثم ذهبت إلى الجسر. وفي طريقي، أرسلت محارباً لاستدعاء فو-نار. قلت لتان هادرون أن يطوف فوق خط السفن. وعندما جاء فو-نار، أعطيته أوامره، ثم تركنا ونزل إلى أسفل.

قلت لتان هادرون: «لا يمكننا أن ندعهم يطيطون؛ فسفيتنا ليست سريعة، ولن توجد أمامنا فرصة إذا لحق بنا العديد منهم».

اتبع تان هادرون أوامري وطار منخفضاً نحو أول سفينة في الصف؛ كانت أوكار، وعلى وشك الإقلاع. وجهت إشارة إلى فو-نار، وبعد لحظة كان هناك انفجار هائل على متن السفينة أوكار - أصابت أول قنابلنا الهدف بدقة! تحركنا ببطء على طول صف الطائرات، وأسقطنا قنابلنا. وقبل أن نصل إلى منتصف الصف، كانت السفن في الطرف الأدنى تعلق، والمقذوفات تنفجر من حولنا من البطاريات الأرضية.

قلت لتان هادرون: «لقد حان الوقت للخروج من هنا». فتح صمام السرعة إلى أقصاه، وارتفعت دوسار بسرعة في مسار متعرج.

كانت بنادقنا ترد على البطاريات الأرضية، ويبدو أنها كانت شديدة الفاعلية لأننا لم نتعرض لأي إصابة على الإطلاق. شعرت أن الحظ ساعدنا حتى الآن للخروج من هذا الوضع. لم ندمر العديد من السفن كما كنت آمل، وطارت عدة سفن بالفعل وسوف تطاردنا دون شك. يمكنني رؤية سفينة تقترب من ذيلنا بالفعل، لكنها خارج النطاق ويبدو أنها ليست سريعة ولن تتمكن من اللحاق بنا.

قلت لتان هادرون أن يحدد مساره في اتجاه الشمال، ثم أرسلت لفو-نار كي يجمع كل الرجال على سطح السفينة؛ أردت فرصة لرؤية طاقمي وشرح ما تنطوي عليه رحلتنا. والآن وقت مناسب، حيث لما توجد سفن ضمن نطاقنا، وقد لا يستمر ذلك طويلاً.

جاء الرجال من أسفل ومن مواقعهم على سطح السفينة. كانوا، في أغلبهم، مجموعة صلبة، من قدامى المحاربين الذين شاركوا في حملات عديدة. أدركت، عندما نظرت إليهم، أنهم يحاولون تقييمي؛ وعلى الأرجح يستفهمون عني أكثر مما أستفهم عنهم، لأنني كنت على يقين كامل بما سيقومون به إذا تصوروا أن بإمكانهم التغلب عليّ - «أسقط» من السفينة، ويستولون عليها، ثم يتشاجرون على ما ينبغي القيام به وإلى أين يطiron بالسفينة، وفي النهاية لن يبقى منهم في قيد الحياة سوى نصف دزينة من أكثرهم قوة، ويتوجهون إلى أقرب مدينة لبيع دوسار ثم يعربدون - إن لم يُدمروها قبل ذلك.

سألت كل رجل عن اسمه وخبرته الماضية. بلغ عددهم ٢٣ رجلاً، من بينهم ١١ بانتنًا و١٢ قاتلاً، وحاربوا جميعًا في أنحاء العالم كافة. وكان سبعة من البانتان من هيليوم، أو خدموا في قواتها البحرية؛ وكنت أعرف أنهم اعتادوا على الانضباط. وكان القتلة من مدن مختلفة، تتناثر في جميع أنحاء برسوم. لم أكن بحاجة إلى سؤالهم لأتأكد من أن كلاً منهم قد أثار غضب رابطته واضطر إلى الفرار هربًا من أن يغتالوه هو نفسه - يا لها من مجموعة من القساة.

قلت لهم: «نحن نظير إلى بانكور، بحثًا عن ابنة جد جاثول، التي اختطفها هين أبتول. قد نواجه العديد من المعارك قبل أن نحصل عليها. إذا نجحنا وبقينا أحياء، سنطير إلى هيليوم، وهناك سوف أعطيكم السفينة، ويمكنكم أن تفعلوا بها ما تريدون».

قال أحد القتلة: «أنت لن تطير بي إلى بانكور؛ لقد كنت هناك لمدة خمسة وعشرين عامًا، ولن أعود إليها».

كان هذا العصيان يقترب من التمرد. وهذا شيء يسهل التعامل معه في أي قوات بحرية جيدة الانضباط؛ وإنما هنا، حيث لا توجد يكن سلطة أعلى مني، اضطررت إلى اتخاذ مسار مختلف عما يمكن أن يتخذه قائد وراءه حكومة قوية. توجهت إلى الرجل وصفعته، كما صفعت كور-آن من قبل؛ فسقط على الأرض، مثل كور-آن.

قلت: «سوف تطير إلى المكان الذي أطيّر إليه؛ فلا يوجد أي عصيان على هذه السفينة».

قفز واقفًا وسحب سيفه، ولم يكن أي شيء أفعله سوى أن أسحب سيفي أيضًا.

قلت: «عقوبة تصرفك هي الموت، كما تعرف، إلا إذا أعدت سيفك إلى غمده على الفور».

صاح: «سوف أغمده في بطنك، يا كالوت!»، وهو يندفع نحوي بجنون. تفاديته بسهولة، ثم أصبت كتفه الأيمن. أعرف أنني سوف أضطر إلى قتله، لتحقيق الانضباط على السفينة، وربما قد يتوقف مصير لانا الجاثولية على مسألة سيادتي وسلطتي؛ وإنما يجب أن أقدم أولاً عرضاً لمبارزة تؤكد لباقي أعضاء الطاقم أن الطعنة المميتة ليست مصادفة، فقد يتصورون ذلك إذا قتلته على الفور.

ولذلك، لعبت معه كما يلعب القط مع الفأر، إلى أن بدأ أفراد الطاقم الآخرين يسخرون منه بعد أن كانوا يقفون صامتين ومتذمرين في البداية.

قال أحدهم ساخراً: «تصورت أنك ستغمد سيفك في بطنه». وقال آخر: «لماذا لا تقتله، يا جان-هو؟ كنت أعتقد أنك مبارز عظيم».

وقال ثالث: «أستطيع أن أقول لك شيئاً واحداً، أنت لن تطير إلى بانكور أو أي مكان آخر. وداعاً جان-هو! أنت ميت».

أطحت بسلاح جان-هو وطار سيفه عبر سطح السفينة، وقد قمت بذلك لمجرد أن أوضح للرجال الآخرين كيف يمكنني عمل ذلك

بسهولة. وقف للحظة صارخاً في وجهي مثل وحش مجنون؛ ثم استدار
وركض عبر سطح السفينة وقفز من فوق الدرابزين. أسعدني أنني لم
أُضطر إلى قتله.

التفتُ إلى الرجال الذين تجمعوا أمامي. سألتهم: «هل هناك أي
شخص آخر لن يطير إلى بانكور؟»، وانتظرت الرد.

ابتسم العديدون بخجل. كان هناك الكثير من حركة جر صنادلهم
على سطح السفينة، وإنما لم يرد أحد.

«لقد جمعتكم هنا لأقول لكم اتجاه طيراننا وسببه، وأيضاً لإبلاغكم
أن فو-نار هو البادوار الأول وتان هادرون هو البادوار الثاني. وأنا الدوّار
- وعليكم طاعتنا. عودوا الآن إلى مواقعكم».



الفصل (٩)

وبعد أن تفرق الرجال بفترة وجيزة، ظهر فور سان وتابعه على سطح السفينة؛ وكانا مخمورين. جاء فور سان نحوي وتوقف أمامي وهو يشير بأصبعه في وجهي. كانت رائحته كريهة من الخمر الذي شربه.

قال بطريقة خطابية: «باسم هين أبتول، جيداك جميع الجيداك في الشمال، أمرك بتسليمي قيادة هذه السفينة، وإلا ستعاني من عواقب جريمة تمردك».

رأيت الرجال على سطح السفينة ينظرون إلى الاثنين بشذر. قلت: «من الأفضل أن تنزلا إلى أسفل؛ فقد تسقطا من متن السفينة».

استدار فور سان إلى بعض أفراد الطاقم. وأعلن: «أنا الأودوار فور سان، قائد الأسطول. ضعوا القيود الحديدية في أيدي هذا الرجل، وعودوا بالسفينة إلى المجال الجوي!».

قلت: «أعتقد أنك تماديت كثيرًا، يا فور سان. وإذا واصلت، سأفترض أنك تحاول تحريض طاقمي على التمرد، وأنصرف وفقًا لذلك. عليك أن تنزل إلى أسفل!».

قال: «أتحاول أن تعطيني أوامر على إحدى سفني؟ سأجعلك تفهم أنني فور سان...».

أكملت له الجملة: «قائد الأسطول»؛ ثم قلت لاثنين من المحاربين يقفان بالقرب منا: «خذوا هذين الاثنين إلى أسفل. وإذا لم يُحسنّا التصرف، عليكمّا تقييدهما».

استشاط فور سان غضبًا وأخذ يصيح متبجحًا والمحاربان يجرانه إلى أسفل. مشى رفيقه بهدوء؛ أعتقد أنه أدرك ما الأفضل بالنسبة له. كانت السفينة الأخرى لا تزال تحاول اللحاق بنا دون جدوى، ووراءها تقترب سفيتتان.

قلت لتان هادرون، الذي كان يقف بجواري: «لا يبدو الأمر جيدًا».

قال: «دعنا نريهم شيئًا».

سألته: «ماذا، على سبيل المثال؟».

«هل تذكر المناورة التي قمت أنت بها في آخر هجوم ضد هيليوم أسطول العدو، عندما جعلت السفينة الرئيسة وسفيتين آخرين يعتقدون أنك تهرب منهم؟».

قلت: «حسنًا، سنحاول»؛ ثم أرسلت لاستدعاء فو-نار وأعطيته التعليمات كاملة. سمعت، ونحن نتحدث، سلسلة من الصرخات التي تخرق الأذن وتتناقص تدريجيًا على بُعد؛ لكن ذهني كان شديد الانشغال بهذه المسألة الأخرى بحيث لم أفكر في أي شيء غيرها. أبلغني الآن فو-نار «أن الجميع على أهبة الاستعداد»؛ فقلت لتان هادرون أن يمضي قدمًا في المناورة.

كانت السفينة دوسار تطير بكامل سرعتها ضد رياح أمامية قوية؛ وعندما حوّل اتجاهها، أسرع نحو السفن القادمة كأنها ثوات في سباق. كانت سفيتتان منهم في موقف يتيح لهما إطلاق النيران علينا عندما نأتي ضمن مداهما؛ على أنهما شرعا في إطلاق النار مبكرًا. أما نحن، فلم نطلق نيراننا إلا في الوقت المناسب بحيث نحرز نتيجة فعالة. كنا جميعًا نطلق بنادق مقدمات سفننا - لأنها الوحيدة التي يمكنها أن تتحمل، ولم يحقق أحد الكثير من الأضرار.

وعندما اقتربنا من سفينة القيادة، رأيت ارتباكًا كبيرًا على سطحها؛ أتخيل أنهم ظنوا أننا سنصطدم بهم. وعندئذٍ نجح المحارب المكلف بالمدفع في تدمير بندقية مقدمة سفيتتهم، وهذا من حسن حظنا فعلاً. ثم رفع تان هادرون مقدمة دوسار، وارتفعنا فوق سفينة القيادة.

انفجر سطح تلك السفينة واشتعلت فيها النيران خلال مرورنا فوقها. أدار تان هادرون السفينة بسرعة نحو اليسار بحيث تطير على جانبها، وكان علينا -نحن الذين على السطح- أن نتعلق بأي شيء يمكن أن نجده حتى لا نسقط منها. تمكن تان هادرون بهذه المناورة أن يعبر فوق السفينة الثانية؛ وأطلقت قاذفات القنابل في جوف دوسار قنبلة ثقيلة على سطحها. انقلبت تمامًا مع انفجار القنبلة، ثم سقطت نحو الأرض على مسافة ٤٠٠٠ قدم أدناه. لا بد أن الانفجار أدى إلى تفجير جميع خزانات الطفو.

لم تبق سوى سفينة واحدة فقط في المنطقة المجاورة لنا مباشرة؛

وعندما توجهنا نحوها، أدارت ذيلها وولت هاربة تتبعها هتافات رجالنا. استأنفنا الآن مسارنا نحو الشمال، بعد أن تخطى العدو عن مطاردتنا.

ما زالت السفينة الأولى تحترق، فوجهت تان هادرون إلى الاقتراب منها لمعرفة ما إذا كان أي من طاقمها حيًّا. وعندما اقتربنا منها، رأيتها تتدلى ومقدمتها إلى أسفل، والنيران تشتعل في باقي الأجزاء. لم تكن مقدمتها تحترق، ورأيت عددًا من الرجال يتشبثون بسطحها المائل.

تصور محاربي المسؤول عن مدفع المقدمة أنني أريد الإجهاز عليهم، ووجه بندقيته نحوهم، لكنني أوقفته في الوقت المناسب وتحدثت معهم.

قلت بصوت عالٍ: «هل يمكنكم الوصول إلى أدنى لوح عند نهاية سفينتكم؟».

جاءت الإجابة: «نعم».

قلت: «سوف نأتي أسفلكم ونأخذكم». وبعد حوالي ١٥ دقيقة كان الناجون الخمسة، وأحدهم بادوار باناري، على متن سفينتنا.

فوجئوا أنني لم أجهز عليهم عندما كانوا في وضع غير موافٍ، كما لم أتركهم مُعلقين إلى أن يحترقوا. كان البادوار على يقين أن لدينا بعض الدوافع الخفية لإنقاذهم من السفينة المحترقة، وسألني كيف أنوي قتلهم.

قلت: «أنا لا أنوي قتلكم على الإطلاق، إلا إذا اضطرت».

فُوجئ رجالي مثلما فُوجئ السجناء؛ لكنني سمعت أحدهم يقول:

«لقد كان الدوّار في القوات البحرية لهيليوم - وهناك لا يقتلون أسرى الحرب». حسناً، إنهم لا يقتلونهم في جميع بلدان المريح، إلا أن معظمهم يقتلون سجناءهم إذا وجدوا من الصعب أو من المستحيل أخذهم معهم كعبيد دون تعريض سفنهم للخطر.

سألني البادوار: «ماذا ستفعل معنا؟».

«إما أن أهبط في أقرب وقت مناسب وأطلق سراحكم، وإمّا أن أسمح لكم بالانضمام إلينا. ومع ذلك، يجب أن تدركوا أنني في حالة حرب مع هين أبتول».

قرر الرجال الخمسة جميعاً الانضمام إلينا، فأحلتهم إلى فو-نار لتكليفهم بالحراسة وتحديد واجباتهم. تجمع رجالي في وسط السفينة لمناقشة ما حدث؛ ويشعر كل منهم بالفخر مثل الطاووس.

قال أحدهم: «دمرنا سفينتين، وأجبرنا الثالثة على الهرب دون أن نعاني أي خسائر».

وقال آخر: «هذا هو الدوّار الذي يجب الطيران تحت قيادته. عرفت أنه جيد عندما رأيته يتعامل مع جان-هو. أقول لكم إنه رجل يجدر القتال من أجله».

بعد سماعي هذه المحادثة والكثير مثلها، زاد يقيني باحتمالات نجاح المغامرة؛ ذلك أنه مع طاقم لا يتسم بالولاء، قد يحدث أي شيء إلا النجاح.

وفي وقت لاحق، كنت أعبر سطح السفينة، ورأيت أحد المحاربين

الذين أخذوا فور سان ورفيقه إلى أسفل؛ وقد رحبت به وسألته ما إذا كان
السجينان على ما يرام.

قال: «أنا آسف لإبلاغك، يا سيدي، أن كليهما سقط من على متن
السفينة».

سألته: «كيف سقطا من على متن السفينة وهما في الطابق السفلي؟».

فقال دون أن يتسم: «لقد سقطا من خلال شَرَك القنبلة الخداعية
الأمامية، يا سيدي».



الفصل (١٠)

كنت مرتابًا قليلًا، بطبيعة الحال، من الاعتماد على جور-دون، البادوار الباناري الذي أنقذناه من السفينة البانارية المحترقة. كان الباناري الوحيد في السفينة دوسار، والشخص الوحيد على متنها الذي يمكن تصور أنه يدين بأي ولاء إلى هين أبتول. حذرت فو-نار وتان هادرون منه، وإبقاء العين عليه، على الرغم من أنني لا أتصور بالفعل كيف يمكنه أن يضر بنا.

مع اقترابنا من المنطقة القطبية الشمالية، كان من الضروري إخراج ملابس الفراء الدافئة الموجودة في مخازن دوسار - توزيع الفراء الأبيض المأخوذ من حيوانات الأبت^(٥٣) على المحاربين؛ والفراء الأسود المخطط بالأصفر من حيوان الأورلوك^(٥٤) على الضباط الثلاثة؛ فضلًا عن توزيع حصة إضافية من فراء النوم على الجميع.

شعرت بقلق شديد في تلك الليلة، من هاجس لا أساس له على

(٥٣) الأبت: مخلوق وحشي، يسكن القطب الشمالي في المريخ - <http://barsoom.wikia.com/wiki/Apt> - المترجمة.

(٥٤) أورلوك: هو وحش شرس يشبه الفيل، يوجد على وجه الحصر تقريبًا في مناطق أقصى شمال المريخ - <http://barsoom.wikia.com/wiki/Orluk> - المترجمة.

الإطلاق أن هناك كارثة وشيكة. ونهضت في حوالي الزود التاسع (الساعة الواحدة و ١٢ دقيقة صباحًا، بتوقيت كوكب الأرض)، وذهبت إلى سطح السفينة. كان فو-نار عند عجله القيادة؛ فلم أكن أعرف بعد أي من محاربي الطاقم العاديين معرفة كافية لأثق في تكليفه بهذا الواجب المهم.

توجد مجموعة من الرجال في وسط السفينة، يتهايمسون. ونظرًا لأنهم ليسوا ضمن فريق الحراسة، فليس لديهم أي عمل هنا في هذا الوقت من الليل. وخلال توجهي نحوهم لأمرهم بالنزول إلى الطابق الأسفل، رأيت ثلاثة رجال يتشاجرون عند مؤخرة السفينة. تتطلب هذه المخالفة للانضباط اهتمامًا فوريًا أكثر من التجمع على سطح السفينة. أسرع نحو الرجال الثلاثة، ووصلت عندما كان اثنان منهم على وشك إلقاء الثالث من فوق درابزين السفينة.

أمسكت الاثنين من ياقاتهما وقمت بجرحهما إلى الخلف. تركا ضحيتهما والتفتا نحوي؛ لكنهما ترددا عندما تعرفا عليّ.

قال أحدهما بوقاحة: «كان الباناري يسقط من متن السفينة».

كان الرجل الثالث بالتأكيد هو جور-دون، الباناري، وأنقذته من خطر محقق. قلت له: «انزل إلى الطابق الأدنى، إلى مقصورتني؛ سأحدث معك هناك لاحقًا».

وعندما بدأ يسير، قال له صائحًا أحد الرجلين اللذين حاولا إلقاءه من متن السفينة: «إنه لن يتحدث كثيرًا، إذا كان يعرف ما الجيد بالنسبة له».

سألت الرجلين: «ما معنى هذا؟»، وقد تعرفت عليهما، وهما قاتلان.

أجاب أحدهما: «هذا يعني أننا لا نريد أي باناري على متن هذه السفينة».

أمرتهما: «اذهبا إلى مسكنكما؛ سوف آتي إليكما لاحقاً». كانت نيتي أن أقيدهما بقيود حديدية على الفور.

ترددا؛ اقترب مني أحدهما. هناك طريقة واحدة فقط للتعامل مع مثل هذه الحالة - أن تكون أول من يبدأ. سددت ضربه بيمينى إلى ذقن الزميل فسقط. امتشقت سيفي وواجهتهما.

قلت لهما: «سوف أطعن مَنْ يضع منكما يده على سلاحه»، وكانا يعرفان أنني أعني ما أقول. جعلتهما يقفان في اتجاه الدرابزين وظهراهما نحوي، وجردتهما من أسلحتهما؛ ثم قلت: «تحركا الآن إلى الطابق الأسفل».

وبينما كانا يتعدان، رأيت رجال المجموعة المتجمعة في وسط السفينة تراقبنا. وما إن اقتربت منهم، حتّى تفرقوا متجهين إلى الطابق السفلي قبل أن آمرهم بذلك. ذهبت إلى فو-نار وأخبرته ما حدث، كما حذرتة من احتمالات حدوث مشكلات، وأن عليه مراقبة الأمور جيداً.

قلت له: «أنا ذاهب إلى أسفل، للتحدث مع الباناري؛ وأعتقد أن هناك أكثر من مجرد الرغبة في إلقائه من السفينة، ثم سأتحدث مع بعض الرجال. لكنني سوف أوقظ تان هادرون أولاً، وأطلب منه تقييد هذين

القاتلين بالحديد في الحال. سوف أعود إلى السطح بسرعة، وعلى ثلاثتنا المراقبة الدقيقة من الآن فصاعدًا. فهؤلاء الرجال لم يصعدوا إلى سطح السفينة في هذه الساعة من الليل لمجرد استنشاق هواء نقي».

ذهبت إلى الطابق السفلي، وأيقظت تان هادرون وأخبرته بما حدث على سطح السفينة، وأمرته أن يستجوب الرجال ويقتل القاتلين بالحديد؛ وبعد ذلك ذهبت إلى مقصورتي. نهض جور-دون من المقعد الطويل وحياني عندما دخلت.

قال: «اسمح لي أن أشكر يا سيدي، لإنقاذك حياتي».

سألته: «هل كانوا يريدون إلقاءك من السفينة لأنك باناري؟».

أجاب: «لا، يا سيدي، ليس لهذا السبب. يخطط الرجال للاستيلاء على السفينة؛ فهم يخشون الذهاب إلى بانكور ويحاولون معي لأنضم إليهما. لا يعرف أي منهما قيادة السفن، وأنا أعرف؛ وكانت نيتهما هي قتلك أنت والاثنتين الآخرين برتبة البادوار. رفضت الانضمام إليهما، وحاولت إثناءهما؛ وعندئذٍ أصبحا يخشان أن أبلغك بخطتهما، كما كنت أنوي بالفعل. ولذلك كانا يريدان التخلص مني بإلقائي من السفينة. لقد أنقذت حياتي يا سيدي عندما أخذتني من تلك السفينة المحترقة، ويسعدني أن أرد الجميل دفاعًا عنك. أنت في حاجة إلى كل دفاع يمكنك الحصول عليه؛ والرجال عازمون على السيطرة على السفينة، على الرغم من أنهم منقسمون على مسألة قتلك».

قلت: «بدوا قانعين بالخدمة تحت قيادتي، بعد اشتباكنا مباشرة مع سفنكم الثلاث؛ وأتساءل ماذا غير موقفهم».

أجاب جور-دون: «الخوف من هين أتبول عندما تقترب السفينة من بانكور؛ فهم يخشون من التفكير في تجميدهم ثانية هناك لسنوات».

قلت: «لا بد أن بانكور مكان رهيب».

أجاب: «إنها كذلك بالنسبة لهم».

رأيت أنه كان مسلحًا، وأخبرته أن يتبعني إلى السطح. نحن أربعة على الأقل، وكنت آمل أن يتسم بعض أفراد الطاقم بالولاء.

أعرف أنني وتان هادرون الهاستوري يمكننا القتال جيدًا، لكني لا أعرف الوضع بالنسبة إلى فو-نار وجور-دون.

قلت للباناري: «تعال»، ثم فتحت باب مقصوري وخرجت لأجد نفسي بين يدي دزينة من الرجال في انتظاري، وهاجموني وحملوني إلى سطح السفينة قبل أن أتمكن من تسديد ضربة دفاعية. قاموا بتجريدي وتجريد الباناري من أسلحتنا، وربطوا أيدينا خلف ظهورنا. تم كل شيء بسرعة وهدوء؛ فالخطة كانت مثيرة للإعجاب، وفازت باستحساني - فأي شخص يمكنه الإمساك بجون كارتر بهذه السهولة يستحق الثناء.

أخذونا إلى سطح السفينة، ولا يمكن إلا ملاحظة أن العديدين منهم لا يزالون يعاملونني بكل الاحترام. كان جميع أولئك الذين حاصروني على الفور من البانتان. ورأيت على سطح السفينة أن كلاً من فو-نار وتان هادرون كان سجينًا.

التف حولنا الرجال لمناقشة مصيرنا. صاح أحد القتلة: «الأربعة على متن السفينة! لا تكن أحمق»، وقال أحد البانتان: «لا يمكننا الإبحار

بالسفينة من دون واحد منهم على الأقل».

«يمكن إبقاء واحد منهم، وإلقاء الآخرين من فوق الدرابزين مع الدوار أولاً!».

قال بانتان آخر: «لا؛ إنه مقاتل عظيم، وقائد جيد قادنا إلى النصر. سأقاتل قبل أن أراه مقتولاً».

«وأنا أيضاً!»، صاح العديد من الآخرين في وقت واحد.

سأل قال آخر: «ماذا تريدون عمله معهم، إذن؟ هل تريدون أن نأخذهم معنا حتى تُقطع رؤوسنا جميعاً في أول مدينة نتوقف فيها، حيث يمكنهم إبلاغ السلطات عنا؟».

قال رجل لم يتحدث من قبل: «يمكننا الاحتفاظ باثنين لقيادة السفينة، وإنزال الاثنين الآخرين إذا كنتم لا تريدون قتلهم».

لا يزال العديد من القتلة يريدون قتلنا، لكن رأي الآخرين ساد. وطلبوا من تان هادرون الهبوط بالسفينة دوسار. وعندما هبطت السفينة وأخرجوني ومعني جون-دون، أعادوا لنا أسلحتنا - مع احتجاج العديد من القتلة.

ولما وقفت هناك فوق الثلج والجليد في القطب الشمالي، ورأيت دوسار ترتفع في الهواء وتتوجه نحو الجنوب، تصورت أنه ربما كان من الأفضل أن يقتلانا.

الفصل (١١)

ترتفع في الشمال مجموعة من التلال الصخرية، اجتاحت الرياح قممها الجرانيتية لتظهر رُقعاً من الثلوج والجليد، وتبدو منحدراتها الثلجية المغطاة بالجليد مثل العمود الفقري لوحش ميت. وتمتد ناحية الجنوب، بقدر ما يمكن أن تصل العين، أراضي وعرة غطتها الثلوج. توجد شمالاً أراضي قفر مجمدة وموت، وتوجد جنوباً أراضي قفر مجمدة وموت. ولا يبدو هناك أي بديل.

لكن الجنوب هو ما يهمني. يمكنني النضال حتى الموت، لكنني لن أستسلم ما دمت أعيش.

قلت لجور-دون، وأنا أبدأ في الحركة نحو الجنوب: «أعتقد علينا أن نتحرك».

سألني: «إلى أين؟ لا يوجد سوى الموت في هذا الاتجاه لمن يسير على قدميه».

أجبت: «أعرف ذلك، يكمن الموت في أي اتجاه نذهب إليه».

ابتسم الباناري وقال: «تقع بانكور وراء تلك التلال. لقد قمت

بالصيد هنا مرات عديدة، على هذا الجانب؛ يمكننا الوصول إلى بانكور خلال بضع ساعات».

هزرت كتفي قائلاً: «ما من فارق؛ لأنهم على الأرجح سوف يقتلونني في بانكور». وبدأت أتحرك ثانية، ولكن هذه المرة نحو الشمال.

قال جور-دون: «يمكنك أن تأتي إلى بانكور في أمان، لكن عليك أن تأتي كعبد لي. هذا ليس ما أريده يا سيدي، لكنها الطريقة الوحيدة التي تجعلك في أمان».

قلت: «أنا فاهم، وأشكرك».

أوضح قائلاً: «علينا أن نقول إنني أخذتك سجيناً، بعد أن تمرد طاقم سفيتي وأنزلونا».

قلت: «إنها قصة جيدة، وعلى الأقل تأسست على حقيقة واقعية. ولكن، قل لي: هل سأتمكن في أي وقت من الهرب من بانكور؟».

وعدني قائلاً: «سوف تتمكن إذا حصلت أنا على سفينة أخرى. مسموح لي أن أصرح عبداً على متن السفينة، وسوف آخذك معي. أما أي شيء آخر، فعلينا أن نتركه للمصير؛ على الرغم من أنني أؤكد لك أن الهرب من قوات هين أبتول البحرية ليس سهلاً».

قلت: «أنت كريم جداً».

«أنا مدين لك بحياتي، يا سيدي».

يا لغرابة الحياة. كيف كان يمكنني أن أخمن قبل بضع ساعات أن

حياتي ستكون في يد أحد ضباط هين أبتول، وآمنة؟ إذا كان رجل ليكافأ
بسرعة على عمل جيد قام به، فهو أنا - بعد إنقاذي هؤلاء المساكين من
السفينة المحترقة.

قاد جور-دون الطريق بثقة على الأرض القفر إلى مضيق ضيق
يقسم التلال. من لا يعرف الموقع، كان ليصل من سفح التلال على
بُعد مائة ياردة إلى فتحة دون أن يراها؛ حيث جدرانها المغطاة بالثلوج
والجليد تمتزج بالثلوج المحيطة وتخفيها بشكل فعال.

كان الوضع صعباً في ذلك المضيق. غطته الثلوج والجليد
والصخور المكسورة، بحيث كنا كثيراً نتعثر وأحياناً نقع. شكّلت
الشقوق المستعرضة التي تعبر المضيق متاهة من الممرات التي يمكن
للمرء أن يتوه فيها بسرعة.

أخبرني جور-دون أن هذا هو الممر الوحيد عبر التلال، وسيتجمد
حتى الموت أي عدو يدخله قبل أن يجد طريقه للخروج. واصلنا
طريقنا لمدة نصف ساعة تقريباً، وعند منعطف وجدنا أحد أكثر
مخلوقات المريخ رعباً تسد الطريق. كان أحد حيوانات الأبت: وهو
مخلوق ضخّم، ذو فراء أبيض، ولديه ستة أطراف، أربعة منها قصيرة
وثقيلة تحمله بسرعة على الثلوج والجليد، بينما ينمو الطرفان الآخران
إلى الأمام من كتفيه على جانبي عنقه الطويل القوي، وينتهي كل طرف
منهما بيد بيضاء خالية من الشعر، يمسك بها فريسته.

يشبه رأسه وفمه، من حيث المظهر، رأس وفم فرس النهر أكثر من
أي حيوان آخر على كوكب الأرض؛ في ما عدا امتداد قرنين قويين من

جانبى عظم فكه العلوى، ينحنى إلى أسفل قليلاً نحو الجبهة.

وتثير عيناه الضخمتان فضولاً كبيراً. تمتد عيناه في بقعتين بيضاويين واسعتين من وسط الجزء العلوى من الجمجمة إلى أسفل كل جانب من جانبى الرأس إلى ما تحت جذور القرنين، بحيث تبرز هذه الأسلحة بالفعل من أسفل العينين، التي تتكون كل منهما من عدة آلاف من العيونات.

كانت بنية هذه العين تبدو لي دائماً رائعة في وحش يطارد ضحاياه فوق حقل لامع من الجليد والثلوج. وعلى الرغم من أنني وجدت، بعد فحص دقيق لأعين عدد من هذه الحيوانات التي قتلناها أنا وثوفان ديهن^(٥٥) خلال عبورنا من كهوف الجثث، أن كل واحدة من تلك العيونات لديها جفنها، وبمقدور الحيوان - وفقاً لرغبته - إغلاق ما شاء منها. وكنت على يقين أن الطبيعة قد أمدته بتلك الأعين لأنه يمضي الكثير من حياته في تجاوب مظلمة تحت الأرض.

انطلق المخلوق لمهاجمتنا بمجرد أن رأنا؛ فسحبت وجور-دون مسدساتنا الراديو في نفس الوقت وبدأنا إطلاق النار. كنا نسمع صوت الرصاصات وهي تنفجر في جسمه، ونشاهد قطعاً كبيرة من اللحم والعظم تتمزق؛ لكنه لا يزال يتوجه ناحيتنا. وجدت إحدى رصاصاتي طريقها إلى عينه المليئة بالعيونات وانفجرت فيها ومزقتها.

(٥٥) ثوفان ديهن: جيداك مملكة بتارث، وهو والد الأميرة ثوفيا التي تزوجت كارثوريس، ابن جون كارتر وديجاء ثوريس - https://barsoom.fandom.com/wiki/Thuvan_Dihn - المترجمة.

تردد المخلوق واهتز لمجرد لحظة، ثم جاء ثانية. كان على رأسنا الآن،
ورصاصاتنا تمزق أعضائه الحيوية. لا أفهم كيف يستمر حيًّا؛ لكنه
استمر وقبض على جور-دون بيديه البيضاء الرهيبتين الخاليتين من
الشعر، وجره نحو فكيه الضخمين.

كنت على الجانب الآخر؛ وإدراكًا مني أن رصاصاتنا لن تقتل
الوحش في الوقت المناسب لإنقاذ جور-دون، امتشقت سيفي الطويل
وأمسكت مقبضه بكلتا يديَّ، ووجهت طعنة للوحش من أسفل، خلف
كتفي الأيمن، إلى أن وصل نصلي الحاد إلى رقبة الوحش الطويلة. وفي
اللحظة التي كاد فيها أن يغلق فكيه على جور-دون، تدرجت رأس
الأبت فوق أرضية المضيق الجليدية؛ لكن أصابعه القوية كانت لا تزال
متشبثة بالباناري، واضطرت إلى قطعها بسيفي القصير قبل تحرير
الرجل.

قلت: «كانت نجاة من خطر كارثي».

قال جور-دون: «لقد أنقذت حياتي مرة أخرى؛ كيف يمكنني أن
أفي بديني لك؟».

قلت له: «بأن تساعدني في العثور على لانا الجاثولية، إذا كانت في
بانكور».

أجاب: «إذا كانت في بانكور، لن يقتصر الأمر على مساعدتك في
العثور عليها، بل سوف أساعدك أيضًا في إنقاذها، إذا أمكن القيام بذلك
على نحو إنساني. أنا ضابط في قوات هين أبتول البحرية، لكني لا أشعر
بالولاء تجاهه. إنه طاغية، يكرهه الجميع. إن استمراره يحكمنا لأكثر

من مائة سنة، دون أن يعثر عليه خنجر أو سم قاتل، يُعد معجزة».

كنا نتحدث ونحن نواصل طريقنا خلال المضيق؛ وخرجنا الآن إلى سهل تغطية الثلوج وترتفع فوقه إحدى تلك المدن الزجاجية الدافئة المذهلة في المنطقة القطبية الشمالية في برسوم».

قال جور-دون: «بانكور»؛ ثم التفت نحوي وبدأ يضحك.

سألته: «لماذا تضحك؟».

قال: «معادِنك؛ أنت ترتدي شارة دَوَّار في خدمة هين أبتول، وقد يبدو غريباً أنك، الدَوَّار، أسير وعبد لبادوار».

قلت: «قد يصعب تفسير ذلك»؛ وأزلت الشارة وألقيتها.

كان من حسن حظنا أن نجد عند بوابة المدينة أحد معارف جور-دون في قيادة الحرس. سمع قصة جور-دون باهتمام وسمح لنا بالدخول، ولم يُلقِ بالآلي على الإطلاق.

كانت بانكور شديدة الشبه بكادابرا، عاصمة أوكار، لكنها أصغر بكثير.

وعلى الرغم من أن البلد حولها، وصولاً إلى سورها، كانت مغطاة بالثلوج والجليد، لم يكن هناك أي شيء فوق القبة الكريستالية العظيمة التي تغطي المدينة بأكملها؛ وساد تحت القبة جو ربيعي لطيف. كانت طرقاتها مُغطاة بالنباتات الصفراء الشبيهة بالطحلب، التي تغطي قيعان البحر الميت في الكوكب الأحمر، وتحيط بحدودها مروج مُصانة جيداً من العشب البرسومي القرمزي.

وتسرع على طول هذه الطرقات حركة مرورية صاخبة من طائرات أرضية خفيفة متجددة الهواء، أصبحت مألوفة لديّ في مارنتينا^(٥٦) وكادابرا منذ سنوات طويلة.

أما الإطارات العريضة لهذه الطائرات الفريدة، فهي عبارة عن أكياس غاز شبيهة بالمطاط ومملوءة بالأشعة البرسومية الثامنة، أو شعاع الدفع - هذا الاكتشاف الرائع للمريخيين، الذي أتاح بناء أساطيل كبيرة من السفن الجبارة التي جعلت الرجل الأحمر في العالم الخارجي متفوقاً. وهذا الشعاع هو الذي يدفع ضوء الشمس والكواكب المتأصل والمنعكس إلى الفضاء؛ وعند احتجازه، يمنح الطائرة المريخية طفوها في الهواء.

ركبنا طائرة عامة لنصل إلى بيت جور-دون. جلست بجوار السائق، كما يليق بعبد. حظى جور-دون وفي بيته باستقبال حار من والدته ووالده وشقيقته؛ واصطحبني خادم إلى مسكن العبيد. لم يمض وقت طويل قبل أن يرسل جور-دون في استدعائي. وعندما غادر الخادم الذي أحضرني، شرح لي جور-دون أنه أخبر والديه وشقيقته كيف أنقذت حياته، وأنهم يرغبون في التعبير عن امتنانهم. وتلقيت منهم مدحاً وتقديراً هائلاً. كانوا ممتنين كثيراً.

قال والده: «سوف تكون الحارس الشخصي لابني، ولن نعبرك عبداً في هذا البيت. أخبرني ابني أنك من النبلاء في بلدك». ربما خمن

(٥٦) مارنتينا: مقاطعة في أوكار، وهي تدعم نفسها ومعزولة عن طريق الجبال - <https://bar-soom.fandom.com/wiki/Marentina> - المترجمة.

جور-دون ذلك، أو ربما قال ذلك للتأثير عليهم؛ فأنا لم أقل له بالتأكد أي شيء عن وضعي في بلدي. لا أعرف حجم ما قاله لهم؛ لم أكن أرغب أن يعرف كثيرون أنني أبحث عن لانا. سألته عندما كنا بمفردنا، وأكد لي أنه لم يقل لهم أي شيء.

قال: «إن ثقتي بهم كاملة، لكن الموضوع لا يخصني كي أتحدث عنه». يوجد باناري واحد على الأقل يتمتع بالتهذيب؛ يبدو أنني كنت أحكم عليهم جميعًا بحكمي على هين أتول.

زودني جور-دون بعتاد وشارة يميزاني بالتأكد كعبد لأسرته، مما جعل في إمكاني أن أتجول في المدينة بأمان، وهذا ما كنت حريصًا على القيام به على أمل أن أعرف أي شيء عن لانا؛ ذلك أن جور-دون أخبرني أن الجميع يثرثرون في السوق يوميًا، حيث يُجمع العبيد لشرائهم وبيعهم.

قال لي: «إذا حدث شيء أو كان سيحدث، فإن الجميع في السوق يعرفونه؛ هذا قول مأثور هنا»؛ ورأيت أن كلامه صحيح.

كان مسموحًا لي، بصفتي حارس جور-دون، أن أحمل أسلحة. وكانت الشارة على عتادي تؤكد ذلك. أسعدني ذلك، لأنني أشعر بالضياء من دون سلاح - بمثل ما يشعر الرجل في كوكب الأرض أنه يمشي في الشارع من دون سرواله.

ذهبت بمفردتي إلى السوق، في اليوم التالي لوصولنا.

الفصل (١٢)

تحدثت مع عدد من العبيد، لكنني لم أعرف منهم أي شيء ذا قيمة بالنسبة لي. مع ذلك، وضعني وجودي هناك على طريق معرفة شيء يمثل أهمية لي. كنت أتحدث مع عبد آخر، عندما جاء ضابط إلى السوق ولمس عبداً، ثم لمس عبداً آخر سار خلفه على الفور.

قال لي العبد الذي تحدثت معه وأخبرته أنني وافد جديد إلى بانكوك: «إذا لمسك، لا تسأل أي أسئلة؛ بل امضِ معه».

حسنًا، لمس الضابط كتفي بالفعل خلال مروره، وسرت خلفه مع عدد يتراوح بين حوالي ١٠-٢٠ عبداً آخر. قادنا إلى خارج السوق، ثم على طول شارع من المحال التجارية الفقيرة، وصولاً إلى سور المدينة. وهنا، بجانب بوابة صغيرة، توجد سقيفة تضم مخزوناً من الملابس المصنوعة من فراء حيوان الأبت. وبعد أن ارتدى كل منا هذه الملابس، وفقاً لتعليمات الضابط، فتح البوابة الصغيرة وقادنا إلى خارج المدينة في برد القضب الشمالي القارس، حيث التقت عيناى بمشهد أمل ألا أراه ثانية أبداً. امتدت على التوالي صفوف من الأرفف بقدر ما يمكنني

الرؤية، تتدلى منها جثث بشرية مُجمدة؛ آلاف عديدة مُعلقة من أقدامها وتتأرجح في مهب الريح.

اكتست كل جثة بالجليد، غلاف شفاف تحديق من خلاله أعينهم الميتة متوسلة، موبّخة، متهمّة، وفظيعة. تجمدت على بعض الوجوه ابتسامات، تسخر بأسنانها المكشوفة من مصيرها.

أمرنا الضابط بإنزال عشرين جثة. وقد أثار اشمئزازي تصويري للغرض الذي يقصده. عندما نظرت إلى تلك الصفوف اللانهائية من الجثث المُعلقة من أرجلها ورؤوسها إلى أسفل، تذكرت مشاهد الشتاء أمام محال الجزارة في المدن الشمالية بموطني الأصلي؛ حيث تتدلى أجسام الثيران والدببة والغزلان مُجمدة، ليتفحصها الذواقة.

تطلب الأمر قوة رجلين حُمر لرفع وحمل جسم واحد من تلك الأجسام المُغطاة بالجليد. ونظرًا لأن الضابط اختار عددًا فرديًا من العبيد، فقد بقيت دون شريك ليحمل الجثة معي؛ ولذا انتظرت الأوامر. شاهدني الضابط أقف بلا عملٍ، فناداني صائحًا: «هيه، أنت! لا تتسكع هكذا دون القيام بأي شيء؛ يمكنك جر أحدهم إلى البوابة».

انحنيت ورفعت إحدى الجثث على كتفي، وحملتها بمفردي إلى البوابة. رأيت ذهول الضابط، لأن ما فعلته كان عملاً فذاً يستحيل أن يتناسب وقوة أي مريخي. لم تكن قدرتي على القيام بذلك استثنائية، في واقع الأمر؛ فقوتي الهائلة غير العادية، بالإضافة إلى الجاذبية الأقل على المريخ، جعلت من السهولة نسبيًا أن أقوم بذلك.

كنت أفكر، طوال حملي هذا العبء المروع، في الشواء الذي تناولناه في الوجبة بيت جور-دون، وأتساءل! هل يمكن أن يتسم البشر المتحضرون بهذا الشر؟ يصعب تصديق ذلك على أناس مثل جور-دون وعائلته. شقيقته فتاة جميلة حقًا. هل يمكنها...؟ ارتجفت من المعنى الضمني.

حملنا الجثث إلى مبنى كبير عبر الشارع من البوابة الصغيرة. هنا توجد صفوف فوق صفوف ومستويات فوق مستويات من الطاولات المغطاة بطبقة من حجر الإرسايت^(٥٧)؛ وعندما وضعنا الجثث على بعضها، وفقًا لأوامر الضابط، بدا المكان وكأنه مشرحة.

دخل الآن عدد من الرجال إلى الغرفة وهم يحملون السكاكين الثقيلة. أعتقد أنهم الجزارون. ربطوا خراطيم مياه بالصنابير، ووقف كل منهم فوق جثة ورشها بماء دافئ، مع قطع الجليد بسكينه في الوقت نفسه. لم يستغرق الأمر وقتًا طويلاً.

وبعد تحرير الجثة الأولى تمامًا من الطبقة الجليدية التي تحيط بها، أردت أن أبتعد ببصري، لكنني لم أستطع - لقد سحرني الرعب وأنا أنتظر لأرى الجزار يستخدم سكينه؛ لكنه لم يفعل، بل استمر يرش الجسم بالماء الدافئ، ويدلكه أحيانًا. وأخيرًا، أخرج من جيب حقيبته حقنة تُعطى تحت الجلد، وحقن شيئًا في ذراع الجثة. وهنا حدث الشيء الأكثر ترويعًا: حركت الجثة رأسها جيئةً وذهابًا، وفتحت عينيها!

(٥٧) حجر الإرسايت: نوع من الحجر، جميل وملون، شائع في المربخ، ويستخدم في المباني والأثاث - <https://barsoom.fandom.com/wiki/Ersite> - المترجمة.

قال الضابط آمرًا: «استعدوا، أيها العبيد! قد يكون بعضهم جامحًا قليلًا في البداية - كونوا على استعداد للإمساك بهم».

جلست الجثة الأولى ونظرت حولها، وبدأت علامات الحياة تظهر على الآخرين. وسرعان ما كانوا جميعًا إما جالسين وإما واقفين يحدقون حولهم بنوع من الارتباك. أعطوا الآن كلاً منهم عتاد عبد. جاءت كتية من المحاربين لتتولى مسؤوليتهم، وعندئذٍ صرفونا نحن العبيد الآخرين. تذكرت الآن، وفهمت، ما كرره كثيرًا محاربو هين أبتول أنهم كانوا «مُحمدين». تصورت أنهم كانوا يقصدون كونهم يعيشون في مدينة قطبية محاطة بالثلوج والجليد.

خاطبني الضابط وأنا أغادر المبنى. سألني: «من أنت يا عبد؟».

أجبت: «أنا العبد والحارس الشخصي للبادوار جور-دون».

قال: «أنت رجل قوي جدًا، من أي بلد أنت؟».

«فيرجينيا»، أجبت.

«لم أسمع بها من قبل؛ أين هي؟».

«جنوب ميريلاند».

«حسنًا، لا يهم - دعنا نرى مدى قوتك؛ هل يمكنك حمل نهاية

هذه الطاولة الإرسايت بمفردك؟».

«لا أعرف».

قال آمرًا: «حاول».

أمسكت الطاولة بأكملها ورفعتها فوق رأسي. صاح الضابط:
«شيء لا يُصدق!». وقف المحاربون ينظرون نحوي في دهشة وأفواههم
مفتوحة.

سألني الضابط: «ما اسمك؟».

«دوتار سوجات».

قال: «جيد، يمكنك أن تذهب الآن».

عدت إلى منزل جور-دون، الذي أخبرني أنه كان متخوفاً بسبب
طول فترة غيابي. «أين كنت كل هذا الوقت؟»، سألني، «كنت قلقاً
عليك».

قلت له ضاحكاً: «كنت أذيب الجليد عن الجثث. قبل أن أرى
علامات الحياة تعود إليهم، تصورت أن الباناريين يأكلونهم. أخبرني،
ما فكرة تجميدهم؟».

«إنه جزء من خطة هين أبتول المجنونة لغزو برسوم كلها وتنصيب
نفسه جيداك جميع الجيداك وأمير الحرب في برسوم. وقد سمع عن
جون كارتر الشهير، الذي يحمل هذه الألقاب؛ ويحسده. وهو يحفظ
البشر بتجميدهم لمائة سنة بالكامل. كانت خطته في البداية مجرد
الاحتفاظ بأعداد كبيرة من العبيد المتاحين في أي وقت، دون الإنفاق
على طعامهم خلال فترة تجميدهم. وبعد أن سمع عن جون كارتر
وثرؤ هيليوم الهائلة، وعدد من الإمبراطوريات الأخرى، بدأ يتشكل
لديه هذا المخطط الرهيب للغزو».

«كان عليه أن يمتلك أسطولاً. ونظرًا لعدم وجود أحد في بانكور يعرف كيفية بناء السفن الفضائية، فقد كان يحصل عليها بالخداع والسرقة. وعندما تمكن قليلون من عبور حاجز الجليد في بعض المدن الشمالية، جرى إغراؤهم بالهبوط عن طريق إشارات الصداقة والترحيب، ثم القبض على أطقم تلك السفن وتجميدهم جميعًا باستثناء واحد أو اثنين. أولئك الذين وعدوا بتدريب الباناريين على التعامل مع السفن. كانت عملية بطيئة جدًا لبناء قوات بحرية؛ لكنه استكملها من خلال زيارة العديد من المدن الشمالية والتظاهر بالصداقة، ثم سرقة سفينة أو سفينتين، مثلما تظاهر بالصداقة مع جاهاان الجاثولي ثم سرق ابنته».

«وهجومه الحالي على جاثول هو مجرد حملة تدريبية لإعطاء ضباطه ومحاربيه الخبرة، وربما في الوقت نفسه الحصول على عدد من السفن».

سألته: «كم عدد الرجال المُجمدين؟».

أجاب جور-دون: «لقد تراكم لديه مليون رجل بالكامل في السنوات المائة الماضية؛ إنه جيش هائل، إذا كانت لديه سفن لنقله».

على هذا الكوكب المحتضر، الذي يتناقص سكانه باطراد منذ حوالي مليون سنة، فإن جيشًا من مليون محارب هو جيش هائل في الواقع. ولكن بقيادة هين أبتول وبضباط باناريين، لن يُشكل ٢ مليون محارب باناري لا يدينون بالولاء خطرًا كبيرًا على قوة مثل هيليوم.

قلت: «أخشى أن حلم هين أبتول لن يتحقق أبدًا».

«أتمنى ألا يتحقق. لا يتعاطف معه سوى عدد قليل جدًا من الباناريين. الحياة هنا سهلة، ونحن راضون بأن نُترك في حالنا ونترك الآخرين في حالهم. وبالمناسبة، هل عرفت شيئًا عن مكان لانا الجاثولية عندما خرجت؟»

«لا شيء؛ هل عرفت أنت؟»

أجاب: «لا؛ لكنني لم أقم بعد بأي استفسار مباشر. وأنتظر حتى أتمكن من التحدث مع بعض أصدقائي الذين يتركزون في القصر. لكنني أعرف أن هين أبتول عاد من جاثول، وأنه في قصره».

جاء عبد، ونحن نتحدث، ليعلن وصول ضابط من عند الجيداك، ويرغب في التحدث مع جور-دون.

قال سيدي: «أحضروه هنا». دخل بعد لحظات رجل يرتدي أغطية رائعة، وكنت أقف حينذاك خلف مقعد جور-دون، كعبد جيد التدريب وكما يجب أن يفعل الحارس الشخصي.

قدم الرجلان التحية لبعضهما بالاسم واللقب؛ ثم قال الزائر: «هل لديك عبد اسمه دوتار سوجات؟».

أجاب جور-دون: «نعم، إنه حارسي الشخصي، هنا».

نظر الضابط نحوي وسألني: «أنت العبد الذي رفع الطاولة الإرسايت اليوم بمفرده في مبنى الإنعاش؟».

«نعم».

التفت مرة أخرى إلى جور-دون، وقال: «سوف يمنحك الجيداك

شرف قبول هذا العبد كهدية».

انحنى جور-دون، وقال: «إنه لمن دواعي سروري العظيم، فضلاً
عن أنه شرف أن أهدي العبد دوتار سوجات إلى الجيداك». وغمز
لي جور-دون، عندما أبعد الضابط نظره لوهلة. فقد كان يعرف مدى
حرصه على الدخول إلى قصر هين أبتول.

وكعبد مطيع، تركت بيت جور-دون، البادوار، وتبعت الضابط إلى
قصر الجيداك.



الفصل (١٣)

يحيط جدار عالٍ بأراضي قصر هين أبتول في مدينة بانكور، على قمة العالم، ويسير الحرس فوق هذا الجدار ليلاً ونهاراً.

يقف عند البوابات أوتان كامل من مائة رجل؛ ويقف في الداخل، عند المدخل الكبير للقصر نفسه، أوتان آخر. لا عجب أنه يصعب اغتيال هين أبتول، الذي ينصب نفسه جيداً كل الجيد في الشمال.

يوجد مرج قرمزي مفتوح بجوار أحد جوانب القصر، حيث رأيت شيئاً أثار دهشتي - رأيت طائرتي الفضائية! إنها الطائرة التي سرقها مني هين أبتول في مدينة هورز المهجورة؛ والآن، كما عرفت لاحقاً، يعرضها هنا كدليل على عظمة شجاعته وقدرته.

كان يتفاخر بأنه استولى عليها بمفرده من أمير الحرب في برسوم، بعد أن هزمه في مبارزة. أضفى عدم الشك في أنها طائرتي الشخصية لونا إلى القصة؛ فقد كانت شارتي عليها، واضحة على مقدمتها، وبمقدور الجميع قراءتها. لا بد أنهم سحبوها من خلال إحدى البوابات، ثم طاروا بها إلى مكانها الحالي لتستقر؛ حيث لا يمكن أن تهبط أي طائرة، بطبيعة الحال، داخل قبة بانكور العظيمة.

تركوني في غرفة الحراسة التي تقع داخل مدخل القصر مباشرة، حيث يستريح بعض المحاربين من الحرس؛ يلعب اثنان منهم لعبة الجيتان، وهي لعبة الشطرنج المريخي، في حين يلعب الآخرون لعبة اليانو^(٥٨). نهضوا جميعًا عندما دخل معي الضابط إلى الغرفة. وعندما غادر، جلست على مقعد طويل في أحد الجوانب، كما جلس الآخرون واستأنفوا ألعابهم.

نظر أحدهم نحوي ووبخني، قال آمرًا: «قف، أيها العبد!».

«ألا تعرف أفضل من الجلوس في وجود محاربين بانارين؟».

قلت له: «سوف أقف إن استطعت أن تثبت أنك رجل أفضل مني». لم أكن في حالة مزاجية لتقبل أي شيء من هذا بخنوع؛ فقد سئمت، في واقع الأمر، من كوني عبدًا.

قفز المحارب على قدميه، وقال: «أوه، أنت وقح أيضًا! حسنًا، سأعلمك درسًا».

قال له أحد رفاقه مُحدِّرًا: «من الأفضل أن تتمهل، يا أوول-تو، أعتقد أن هذا الزميل جاء بناءً على أوامر الجيداك. وإذا تشاجرت معه، قد يغضب هين أبتول».

قال أوول-تو هادرًا: «حسنًا، يجب تلقيه درسًا؛ فالشيء الذي لا أتحمّله هو وقاحة عبد»، وتوجه نحوي. لم أنهض، فأمسكني من عتادي

(٥٨) يانو: لعبة حظ مريخية، من المفترض أنها قديمة قدم حضارة المريخ. وبها كرات مُرقمة وثقوب مُرقمة - <https://barsoom.fandom.com/wiki/Yano> - المترجمة.

وحاول سحبي إلى قدميه، ووجه لي ضربة في الوقت نفسه.

تفاديت ضربته، وأمسكت بعتاده؛ ثم وقفت ورفعته إلى أعلى فوق رأسي. ظللت ممسكاً به هكذا للحظة، ثم قذفته عبر الغرفة. قلت له: «هذا سوف يعلمك أن تكون أكثر احتراماً لمن هم أفضل منك».

كان بعض الحرس الآخرين يتدمرون بغضب، بينما كان الكثيرون يضحكون على أوول-تو الذي أسرع بالوقوف على قدميه وسحب سيفه الطويل وجاء نحوي. ونظرًا لأن أسلحتي كانت لا تزال معي، سحبت سيفي. وقبل أن نتمكن من الاشتباك، أمسك اثنان من رفاق أوول-تو به ومنعاه من الاستمرار. كان يلعن ويكافح لتحرير نفسه والاشتباك معي، عندما دخل ضابط من الحرس إلى الغرفة؛ من الواضح أن هذا الاضطراب جذب انتباهه. وعندما سمع ما حدث، التفت بغضب نحوي قائلاً: «يجب جلدك، لإهانتك محاربًا باناريًا والهجوم عليه».

قلت: «ربما ترغب في محاولة جلدي».

وهنا تحول وجهه إلى اللون الأرجواني، وتقريبًا أخذ يقفز صعودًا وهبوطًا وهو يستشيط غضبًا.

توجه إلى المحاربين صارخًا: «اقبضوا عليه! وأوسعوه ضربًا».

بدأ جميعهم يتحركون في اتجاهي، فسحبت سيفي. كنت أقف وظهري إلى جدار، وكان يمكن أن يتناثر العديد من الباناريين القتلى حول الغرفة خلال بضع دقائق، إن لم يأتِ الآن الضابط الذي أحضرني هنا.

سألني: «ما معني هذا؟».

أوضح ضابط الحرس ما حدث، على نحو يظهرني مخطئاً تماماً.
قلت للضابط: «إنه يكذب، لقد هُوجمت دون أن أثير أي استفزاز».
التفتَ إلى ضابط الحرس وقال له: «لا أعرف من الذي بدأ هذا،
وإنما من الجيد لرقبتك أن شيئاً لم يحدث لهذا الرجل»؛ ثم جردني من
سلاحي وطلب مني أن أتبعه.

قادني إلى خارج القصر ثانية، وكانت طائرتي تقف بجانب المبنى.
لاحظت أنها لم تكن مربوطة، حيث لا يوجد خطر من الرياح تحت تلك
القبة العظيمة؛ على أنني تمنيت أن تكون في العراء بحيث أتمكن من
الطيران بها إذا استطعت العثور على لانا الجاثولية؛ فهي فرصة للهرب
أرسلتها السماء، لو لم تكن توجد تلك القبة.

أخذني إلى وسط مساحة من العشب جيدة الصيانة، تواجه عدداً من
الناس الذين تجمعوا بجانب المبنى. كانوا من الرجال والنساء، وهناك
المزيد الذين يأتون من القصر. وأخيراً سمعت أصوات الأبواق، وجاء
الجيداك يرافقه الحاشية والنساء.

في هذه الأثناء، خرج رجل ضخيم ووقف على العشب بجانبني. كان
محارباً يرتدي المعدن الذي يرمز إلى أنه أحد أفراد الحرس الشخصي
لهين أبتول.

قال الضابط الذي أحضرني هنا: «لقد سمع الجيداك حكايات
عن قوتك العظيمة، ويرغب في رؤية عرضاً. هذا راب-زوف، ومن

المفترض أنه أقوى رجل في بانكور...».

«أنا أقوى رجل في بانكور، يا سيدي»، قاطعه راب-زوف، «أنا أقوى رجل على برسوم».

قلت: «لا بد أنه قوي جدًا. ماذا سيفعل بي؟».

«سوف تتصارعان لتسلية الجيداك وبلاطه. سوف يعرض راب-زوف كيف يمكنه بسهولة أن يلقي بك أرضًا ويقيقك على الأرض. هل أنت مستعد، يا راب-زوف؟».

قال راب-زوف إنه مستعد، وأشار لنا الضابط كي نبدأ. تحرك راب-زوف نحوي بعجرفة، وهو يلقي أحيانًا لمحات سريعة إلى الجمهور ليعرف ما إذا الجميع ينظرون إليه. كانوا ينظرون إليه بالفعل، ويُعجبون بضخامة حجمه.

قال راب-زوف: «هيا، يا زميل! عليك أن تخوض أفضل معركة في إمكانك؛ أريدها مثيرة لاهتمام الجيداك».

قلت: «أتمنى أن تثير اهتمامك أنت، يا راب-زوف».

ضحك بصوت عالٍ، وقال: «لن تشعر بالرغبة في المزاح عندما أهزمك».

قلت صائحًا: «هيا، يا ثرثار! أنت تتحدث كثيرًا».

كان يميل إلى الأمام في محاولة لحملي، عندما أمسكت أحد معصميه واستدردت بسرعة وألقيته فوق كتفي. تركته عمدًا يسقط بقوة، وكان لا يزال يترنح قليلًا عندما وقف على قدميه. كنت في انتظاره على

كثب، وأمسكت بعتاده ورفعته فوق رأسي، ثم بدأت أدور وأنا أحمله. كان عاجزاً تماماً. وعندما رأيت أنه مشوش بما يكفي، حملته وألقيته بقوة أمام هين أبتول. كان راب-زوف في حالة يثرى لها.

«أليس لديك رجال أقوياء في بانكور؟» سألته؛ ثم رأيت لانا الجاثولية تقف بجانب الجيداك. وهنا جاءني فجأة إلهام بخطة جنونية. قال هين أبتول بطريقة لطيفة: «ربما كان من الأفضل أن أرسل رجلين ضدك»؛ من الواضح أنه استمتع بالعرض.

سألته: «لماذا لا تجلب مبارزاً؟ أنا أستخدم السيف جيداً»؛ وقد كنت أحتاج إلى سيف بشدة الآن، أحجاجة لتنفيذ خطتي.

سألني هين أبتول: «هل تريد أن تُقتل، أيها العبد؟ لديّ في حربي أفضل مبارز في العالم».

قلت: «هات أفضل من لديك؛ قد أفاجئه، وأفاجئ شخصاً آخر»، ونظرت مباشرة إلى لانا الجاثولية وغمزت. وعندئذ تعرّفت عليّ، للمرة الأولى، مع تنكري.

سألني هين أبتول، وهو ينظر حوله: «لمن تغمز؟».

قلت: «دخل شيء في عيني».

تحدث هين أبتول مع ضابط يقف بالقرب منه. سأله: «من أفضل مبارز في الحرس؟».

أجاب الضابط: «لا يوجد أفضل من أوول-تو».

«أحضروه».

هكذا إذَنْ! مبارزة مع صديقي القديم أوول-تو. وهذا سيسعده -
لبضع لحظات.

أحضروا أوول-تو؛ وقد سعد كثيرًا عندما وجد أنه سيشتبك معي.
قال: «الآن، أيها العبد، سوف ألقنك الدرس الذي وعدتك به».
سألته: «مرة أخرى».

قال: «سيكون الأمر مختلفًا هذه المرة».

بدأنا الاشتباك بسيوفنا.

قلت: «مبارزة حتى الموت!».

أجاب أوول-تو: «حتى الموت يا عبد!».

قاتلتُ بدايةً في موقف دفاعي أغلب الوقت، ساعيًا إلى توجيه
خصمي إلى الموضع الذي أردته؛ وعندما حدث، ضغطت عليه فتراجع.
ظللت أدفعه في اتجاه الجمهور. ولأجعله سهل الانقياد إلى توجيهاتي،
بدأت في إصابته قليلًا. أردته أن يحترم سيفي وقدرتي. وسرعان ما غطته
الدماء، وكنت أجبره على التوجه إلى أي موقع أريد.

دفعته نحو الحشد الذي كان يتراجع إلى الخلف؛ ثم نظرت نحو
لانا وأومأت لها برأسي أن تتوجه إلى أحد الجوانب، ثم اقتربت منها
وهمست: «اركضي إلى الطائرة، عندما أقتله، وابدئي تشغيل المحرك».
وعندئذٍ دفعت أوول-تو بعيدًا عن الحشد، ورأيت لانا تتبعنا كما لو
أنها مهتمة بالمبارزة ولا تدرك ما تفعله.

همست: «الآن، لانا!». رأيتها تسير ببطءٍ إلى الوراء؛ إلى الطائرة.

ولجذب انتباه الحشد بعيداً عن لانا، ضغطت على أوول-تو ليتحرك نحو أحد الجوانب؛ وذلك باستعراض للمبارزة أعرف أنه سيثير اهتمام الجميع. ثم جعلته يستدير إلى حد التراجع إلى الوراء، على نحو يأخذني إلى أقرب موقع لسفينتي.

وفجأة سمعت هين أبتول يصيح: «الفتاة! أحضروها! لقد صعدت على متن تلك الطائرة!». «

وعندما بدأوا يتحركون، طعنت أوول-تو في قلبه واستدرت راکضاً إلى سفينتي. جاءت في أعقابي دزينة من المحاربين ممتشقين سيوفهم. لحق بي الشخص الذي كان أول من بدأ في التحرك، وكان أسرع من الآخرين، عندما اضطررت إلى التوقف للحظة على جانب الطائرة للتأكيد مرة أخرى من أنها غير مربوطة بأي شكل من الأشكال. استدرت وتفاديت طعنة خبيثة؛ ثم تحرك سيفي ثانية بسرعة الضوء، وتدحرجت رأس المحارب من فوق كتفيه.

قلت للانا صائحاً، وأنا أقفز إلى سطح السفينة: «طيري بها!». ما إن ارتفعت السفينة، حتىَّ أسرع إلى لوحات التحكم وتوليت القيادة.

سألته لانا: «إلى أين نذهب، جون كارتر؟».

أجبت: «إلى جاثول».

نظرت لانا إلى القبة فوقنا. بدأت تقول: «كيف...؟»، لكنها رأتني أدير مقدمة الطائرة إلى أعلى بزاوية ٤٥ درجة، وأفتح صمام السرعة -

وهنا عرفت إجابة سؤالها.

كانت السفينة الصغيرة، اللطيفة والسريعة كما أظير بها دائماً، تندفع خلال الهواء بانكور الدافئ بسرعة هائلة. اقترب كلانا من سطح قمرة القيادة الصغيرة - آملاً.

اهتزت الطائرة من الاصطدام الهائل؛ تناثر الزجاج المكسور في جميع الاتجاهات - ثم خرجنا إلى الهواء البارد، الهواء النقي في القطب الشمالي.

استقر الوضع، وتوجهت إلى جاثول بأقصى سرعة؛ فهناك خطر أن نتجمد حتى الموت إذا لم نصل قريباً إلى مناخ أكثر دفئاً، فليس لدينا فراء.

سألتها: «ماذا حدث لكل من بان دان تشي وجاد-هان؟».

أجابت لانا: «لم أرهما منذ القبض علينا جميعاً في جاثول. مسكين بان دان تشي؛ لقد قاتل من أجلي، وأصيب بجروح خطيرة. أخشى ألا أراه ثانية»؛ وامتلاً صوته بالدموع.

حزنت كثيراً على المصير المحتمل لكل من بان دان تشي وجاد-هان، لكن لانا الجاثولية على الأقل في أمان أخيراً. أم أن في هذا القول مبالغة شديدة؟

إنها آمنة على الأقل من هين أبتول، ولكن ماذا يحمل المستقبل؟ كانت مُعرضة لخطر مباشر يتمثل في التجمد حتى الموت، إذا وقع أي حادث يؤخرنا قبل أن نصل إلى خط عرض أكثر دفئاً؛ كما كانت توجد

مخاطر أخرى، لا تُعد ولا تُحصى، خلال عبور الأراضي القفر في هذا الكوكب الآخذ في الاحتضار.

ولأنني متفائل عنيد، شعرت أن لانا في أمان، وكان هذا شعورها أيضًا؛ وربما لأنه لا يمكن تصور خطر أكبر من ذلك الخطر الذي كان يتهدهدها عندما وقعت في أيدي هين أبتول.

لاحظت أنها تضحك، وسألتها عن السبب.

قالت: «هين أبتول يخشاك أكثر من أي رجل آخر على برسوم، وكنت أنت لديه دون أن يعرف ذلك. وقد حرّض ضدك، وأنت أعظم مبارز في عالمين، شخصٌ أخرق؛ في حين كان يمكنه إطلاق أوتان كامل عليك ويدمرك، على الرغم من أنه كان سيفقد بلا شك نصف محاربي الأوتان. أدعو فقط أن يأتي يوم يعرف فيه الفرصة التي فاتته، عندما سمح لجون كارتر، أمير الحرب في برسوم، الهرب منه».

قلت: «نعم، إنها قصة مُسلية. وكذلك تلك الحفرة التي تركناها في سقف مدينته الدافئة؛ لكنني أخشى أن حس الدعابة الذي يتمتع به هين أبتول لن يكون مساويًا لمُهمة تقديره».

أسرعنا نحو الجنوب، إلى مناخ أكثر دفئًا، وسعداء بهروبنا بمعجزة من طاغية بانار؛ ولم نكن ندرك، لحسن الحظ، ماذا يخبئه لنا المستقبل. كانت لانا الجاثولية في أمان - ولكن إلى متى؟ متى سنرى جاثول أو هيليوم ثانية؟

الكتاب الرابع
رجال المريخ غير المرئيين

الفصل (١)

نعم، أصبحت لانا الجاثولية في أمان أخيرًا. لقد أخذتها من الأسر في مدينة بانكور بالقطب الشمالي، سرقتها أمام هين أبتول الذي ينصب نفسه جيداك جميع الجيداك في الشمال؛ وكنا نسرع في طائرتي نحو جاثول، خلال الهواء الرقيق لكوكب المريخ الآخذ في الاحتضار. كنت سعيدًا بما حققته، لكنني كنت أشعر أيضًا ببرودة شديدة.

قالت لانا، بعد أن ابتعدنا عن بانكور بمسافة كبيرة: «قلت إنك تأخذني إلى جاثول. لا شيء يسعدني أكثر من العودة إلى والدي، ووالدتي، ومدينتي الأصلية؛ وإنما كيف يمكننا أن نأمل في الهبوط هناك، بينما جاثول مُحاطة بمحاربي هين أبتول؟».

أجبت: «البارناريون هم مجموعة عديمة الكفاءة من الأغبياء؛ ومعظم محاربي هين أبتول عبارة عن مُجندين بالإكراه، ولا يتعاطفون مع خوض الحرب من أجل سيدهم الطاغية. ويتحمل هؤلاء الرجال المُجندين المساكين ذلك لأنهم يعرفون أنه لا يوجد مفر؛ ويفضلون الحياة والوعي على إعادتهم إلى بانكور وتجميدهم ثانية إلى أن يحتاج هين أبتول سيوفهم في حرب في المستقبل».

صاحت لانا: «رجال مجمدون! ماذا تقصد بذلك؟».

سألتها مندهشًا: «ألم تسمعي أي شيء عنهم عندما كنت سجيناً في بانكور؟».

أكدت لانا قائلة: «لم أسمع أي شيء؛ أخبرني عنهم».

«يوجد خارج أسوار المدينة الدافئة صفوف عديدة من الأرفف، في رياح المنطقة القطبية الشمالية قارسة البرودة وشديدة الرياح. ويُعلق على هذه الأرفف آلاف المحاربين من أقدامهم، مثل لحم البقر في مستودع تخزين بارد. وهؤلاء المحاربون في حالة تجمد، حياة مُعلقة. إنهم الأسرى الذين قُبض عليهم في العديد من الغارات خلال فترة تمتد إلى مائة سنة كاملة. وقد تحدثت مع بعض الذين جُمّدوا لأكثر من ٥٠ سنة».

«وكنت في غرفة الإنعاش عند إذابة الجليد عن عدد منهم؛ بعد بضع دقائق، لا يبدو حالهم أسوأ نتيجة لهذه التجربة، لكن الفكرة كلها مقززة».

سألتني لانا: «لماذا يفعل ذلك؟ ولماذا يحتاج إلى آلاف منهم؟».

قلت: «أفضل القول آلاف فوق آلاف؛ فقد أخبرني أحد العبيد أن عددهم لا يقل عن مليون. ويحلم هين أبتول باستخدامهم في غزو برسوم كلها».

صاحت لانا: «يا للبشاعة!».

«لو لم يكن لقوات هيليوم البحرية وجود، لكان بإمكانه أن يمضي

على طريق تحقيق طموحه العظيم؛ ويجب أن تشكري أسلافك المُبجلين، يا لانا، أن القوات البحرية لهيليوم موجودة. بعد عودتك إلى جاثول، سوف أرحل إلى هيليوم لتنظيم حملة تضع نهاية لأحلام هين أبتول».

قالت لانا: «أتمنى قبل أن تفعل ذلك، أن تحاول معرفه ما حدث لبان دان تشي وجاد-هان؛ إذ قام الباناريون بالفصل بيننا بعد وقت قصير من القبض علينا».

قلت: «ربما نقلاهما إلى بانكور لتجميدهما».

صاحت لانا: «أوه، لا!؛ سيكون هذا فظيماً جداً».

سألتها: «أنت مولعة ببيان دان تشي، أليس كذلك؟».

أجابت ببعض الخشونة: «كان صديقاً جيداً جداً». لن تعترف هذه الفتاة العنيدة أنها تحبه - وربما لا تحبه؛ لا يمكنك أبداً قول أي شيء عن المرأة. لقد عاملته بفضاعة عندما كانا معاً؛ وعندما فصلاهما وكان يواجه الخطر، أظهرت أكبر قلق على سلامته.

قلت: «لا أعرف كيف يمكننا معرفة أي شيء عن مصيره، ما لم نتمكن من الاستفسار مباشرةً من الباناريين، وهذا قد يمثل خطورة نوعاً ما. أود أن أعرف ماذا حدث لهم، وأيضاً ماذا حدث لتان هادرون الهاستوري».

«تان هادرون من هاستور؟ أين هو؟».

«آخر مرة رأيته، كان على متن دوسار، وهي سفينة بانارية سرقها

منهم خارج جاثول؛ وتمرد الطاقم وأخذوا مني السفينة وأسروه. كان الطاقم يضم عددًا من القتلة، ويصرون على قتل تان هادرون بمجرد ما يصل بالسفينة إلى المكان الذي يقرروه؛ فلا يعرف أحد من الطاقم أي شيء عن الملاحاة الفضائية».

قالت لانا ثانية: «تان هادرون من هاستور؛ كانت والدته أميرة ملكية من جاثول، وتان هادرون نفسه أحد أعظم المقاتلين في برسوم».

أضفت: «وضابط رائع».

«يجب اتخاذ خطوات لإنقاذه أيضًا».

قلت: «إن لم يفت الأوان؛ وتكمن الفرصة الوحيدة لإنقاذ أي منهم في وصولي إلى هيليوم في الوقت المناسب لإحضار أسطول إلى جاثول قبل أن ينجح هين أبتول في إضعافها، ثم إلى بانكور إذا لم نجد الثلاثة بين سجناء هين أبتول في جاثول».

اقترحت لانا: «ربما من الأفضل أن نظير مباشرة إلى هيليوم. أسطول هيليوم يمكنه إنجاز شيء، في حين أننا نحن الاثنان بمفردنا قد لا ننجز أكثر من الوقوع ثانية في أسر الباناريين - وسيصعب عليك الأمر، يا جون كارتر، إذا وقعت ثانية في أيدي هين أبتول بعد ما فعلته في بانكور اليوم». ضحكت، ثم قالت: «لن أنسى أبدًا ما فعلته لراب-زوف، أقوى رجل في بانكور».

قلت: «ولن ينسى راب-زوف».

«ولا هين أبتول. هذا غير الثقب الذي أحدثته في القبة الزجاجية

التي تغطي المدينة، عندما طرت بالطائرة خلاله! أراهن أنهم عانوا جميعاً قشعريرة البرودة قبل إصلاح هذا الثقب. لا، لن ينسأك هين أبتول أبداً».

قلت لتذكير لانا: «لكنه لم يعرف مَنْ أنا بالفعل؛ فبعد إزالة تنكري، لم أعد رجلاً أحمر. ولا يمكنه أبداً تخمين أن جون كارتر كان بحوزته في يوم ما».

قالت لانا: «لن تختلف النتيجة بقدر ما يتعلق الأمر بك، وأعتقد أنه الموت في الحالتين».

قبل أن نبتعد كثيراً عن بانكور، قررت أن المسار الأكثر حكمة هو المضي مباشرة إلى هيليوم، والحصول على معونة تاردوس مورش، الجيداك. على الرغم من أنني أحمل لقب جيداك كل الجيداك وأمير الحرب في برسوم، التي منحها لي خمسة من جيداك خمس أمم، فقد كنت دوماً أعتبرها ألقاباً فخريّة إلى حد كبير، ولم أمارس أبداً السلطة التي تتضمنها، إلا في أوقات الحرب حتى عندما يكرمني جيداك هيليوم العظيم ويعمل تحت قيادتي.

بعد أن وصلت إلى قرار السفر إلى هيليوم وليس جاثول، أدت الطائرة نحو الجنوب الشرقي. أمامنا رحلة تقطع خلالها نصف المسافة حول الكوكب، وليس لدينا ماء أو طعام على الإطلاق. سرعان ما ظهرت أبراج هورز وأطلالها الفاخرة، وذكرتنا بظروف لقائنا مع بان دان تشي. وأعتقد أن لانا نظرت بحزن قليل إلى أسفل، على تلك المدينة الميتة منذ زمن طويل التي نُفي فيها حبيبها المفقود بسبينا. فهنا هربت من

هين أبتول، وهنا سرق هين أبتول طائرتي هذه التي وجدتها في عاصمته القطبية واستعدتها. نعم، تحمل هوزر لكلينا العديد من الذكريات؛ وأسعدني أننا تجاوزناها وأصبحت خلفنا - هذا الأثر الميت لماضي ميت.

تقع دوسار على بُعد، حيث يمكننا الحصول على المياه والطعام؛ بيد أن صداقة دوسار كانت محل شك. فلم تمضِ سنوات عديدة منذ كاد كارثوريس، أمير هيليوم، يُساق إلى موته على يد أستوك ابن نوتوس، جيداك دوسار؛ ولا يوجد أي تواصل بين هيليوم ودوسار منذ ذلك الحين. ولا توجد بعد دوسار أي مدينة ودية على طول الطريق إلى هيليوم.

قررت الهبوط على دوسار، ولذا طرنا فوقها وكانت غير مألوفة تمامًا بالنسبة لي. كان بلدًا جبليًا؛ لكنني رأيت في الوادي الطويل العميق أحد أندر المشاهد على المريخ: غابة رائعة. تعني لي الغابة وجود الفاكهة والجوز، وربما حيوانات للصيد؛ وكنا جائعين. توجد أيضًا بلا شك نباتات المانتاليا، التي يمكن من أن تروينا عصارتها؛ وهكذا قررت الهبوط. كان تقديري أن الهبوط محفوف بالمخاطر، وأثبتت الأحداث اللاحقة صحة ذلك.



الفصل (٢)

هبطت على الأرض بالقرب من الغابة، وطلبت من لانا البقاء على متن الطائرة على استعداد للإقلاع في أي لحظة، وذهبت للبحث عن الطعام. كانت الغابة تضم أساسًا أشجار السكيل^(٥٩)، والسورابوس، والسومبوس^(٦٠). كان النوعان الأولان من أشجار الخشب الصلب، ويحملان الجوز الكبير اللذيذ؛ في حين تحمل أشجار السومبوس ثمارًا تشبه الحمضيات وذات قشرة حمراء رقيقة. يُسمى لب هذه الثمرة «سومب»، ولا يختلف عن الجريب فروت، وإن كان أكثر حلاوة. ويعتبر البرسوميون ثمارها طعامًا شهياً، ويُزرع على طول العديد من القنوات المائية. على أنني لم أر من قبل أي شجرة منها بهذا الحجم الكبير؛ كما لم يسبق لي أن رأيت أشجارًا على المريخ بحجم العديد من تلك التي تنمو في هذه الغابة الخفية.

(٥٩) شجرة سكيل: شجرة من خشب مريخي صلب يُستخدم في بناء كل شيء من السكن إلى الأثاث. وتنتج أيضًا شجرة سكيل الجوز جيد المذاق - <http://barsoom.wikia.com/wiki/Skeel> - المترجمة.

(٦٠) شجرة سومبوس: شجرة مثمرة تنمو على المريخ، وتعتبر طعامًا شهياً - <https://barsoom.fandom.com/wiki/Sompos> - المترجمة.

جمعت أكبر قدر يمكنني حمله من الفاكهة والجوز، عندما سمعت لانا تناديني. هناك نبرة من الانفعال والاستعجال في صوتها، فأسقطت كل ما جمعته وركضت في اتجاه الطائرة.

سمعتها تصرخ قبل خروجي من الغابة مباشرة؛ وعندما خرجت، رأيت الطائرة ترتفع من الأرض. ركضت نحوها بأسرع ما يمكنني، وسرعتي هائلة في ظل ظروف الجاذبية الأقل التي تسود على المريخ. كنت أقطع ٤٠ أو ٥٠ قدم في القفزة الواحدة، ثم قفزت ٣٠ قدمًا كاملة في الهواء في محاولة للامساك بدرابزين الطائرة. لمست إحدى يدي الحافة العليا للطائرة، لكن أصابعي لم تنغلق على الدرابزين، فانزلقت إلى الخلف وسقطت على الأرض. على أنني تمكنت من إلقاء نظرة على سطح الطائرة، وما رأيته أثار دهشتي، ولسبب ما نقل لفروة رأسي شعورًا غريبًا بأن كل شعرة في رأسي تقف منتصبه - فقد كانت لانا بمفردها تمامًا على سطح السفينة، ولا يوجد أحد عند لوحات التحكم! قال صوت ورائي: «محاولة نبيلة؛ يمكنك القفز بالتأكيد».

استدردت ويدي على غمد سيفي؛ ولم يكن هناك أحد!

نظرت نحو الغابة؛ لا توجد أي علامة على وجود شيء حي حولي. سمعت خلفي ضحكة - ضحكة ساخرة، استفزازية. استدردت ثانية. لم أشهد، بقدر ما أمكنني الرؤية، سوى المشهد المريخي الطبيعي السلمي. حلقت الطائرة فوقتي واختفت وراء الغابة - طارت، دون وجود يد بشرية عند لوحات التحكم، بفعل قوة شريرة لم أتمكن من فهمها.

ومرة أخرى قال صوت خلفي: «حسنًا، علينا أن نمضي نحن أيضًا

في طريقنا. أظن أنك تدرك أنك سجيننا».

أجبت: «أنا لا أدرك أي شيء من هذا القبيل. إذا أردت أن تأخذني، تعال وخذني - عليك أن تأتي إلى العراء مثل الرجال؛ إذا كنت من الرجال».

قال الصوت: «ما من جدوى للمقاومة؛ نحن عشرون وأنت واحد فقط».

سألته: «من أنت؟».

قال الصوت: «أوه، عفوًا، كان يجب أن أقدم نفسي. أنا بنوكسوس ابن بتانتوس، جيداك إينفاك. ومن أنت، الذي كان لي شرف القبض عليه؟».

قلت: «لم تحظَ بعد بشرف القبض عليّ». لم يعجبني هذا الصوت، كان مدهنًا ومهذبًا.

قال الصوت المُسمّى بنوكسوس: «أنت غير متعاون على الإطلاق، ولا أريد استخدام أساليب مزعجة معك». لم يعد الصوت لطيفًا، شابهته مجرد مسحة خشونة بسيطة.

قلت: «أنا لا أعرف أين تختبئ؛ لكنكم إذا خرجتم، العشرون جميعًا، سوف أذيقكم طعم الفولاذ. لقد اكتفيت من هذه الحماقة».

قاطعني الصوت: «واكتفيت أنا أيضًا». بدا الأمر بشكل ما وكأنه فح الدب - انتهت المداهنة اللطيفة. «خذوه يا رجال!».

نظرت حولي بسرعة لأرى الرجال، لكنني لا أزال بمفردي - أنا

فقط، وذلك الصوت. هذا على الأقل ما اعتقدته، إلى أن أمسكت أيادٍ بكاحلي وهزت قدمي من تحتي. سقطتُ مسطحًا على وجهي، وشعرت وكأن نصف دزينة من رجال ضخام يقفزون على ظهري، ونصف دزينة من الأيادي تنتزع سيفي من قبضتي، والمزيد من الأيادي تجردني من أسلحتي الأخرى. ثم قامت أيادٍ غير مرئية بتقييد يدي خلف ظهري، وربطت أيادٍ أخرى حبالًا حول رقبتني، وقال الصوت: «انهض!».

وقفت. قال الصوت المُسمى بنوكسوس: «إذا أتيت دون مقاومة، سيكون الأمر أسهل كثيرًا بالنسبة لك ولرجالتي. يتسم بعض رجالتي بسرعة الغضب، وإذا جعلت الأمر صعبًا عليهم، قد لا تصل إلى إينفاك حيًّا».

قلت: «سوف آتي، ولكن أين؟ يمكنني انتظار الباقين».

قال بنوكسوس: «سوف يقودونك، واحرص أن تسير إلى حيث يقتادونك. فقد أثرت بالفعل ما يكفي من المتاعب».

أجبت: «أنت لن تعرف ما هي المتاعب حتى أتمكن من رؤيتك».

«لا تُهَدِّد؛ فقد راکمت لنفسك بالفعل ما يكفي من المتاعب».

سألته: «ماذا حدث للفتاة التي كانت معي؟».

قال بنوكسوس: «أعجبتي، وطلبت من أحد رجالتي الذين يمكنهم قيادة السفينة أن يأخذها إلى إينفاك».

يصعب أن أحكي لك مدى غرابة التجربة؛ أن يقودني خلال تلك الغابة رجال لا يمكنني رؤيتهم، وإنما يتحدثون معي بصوت ليس لديه

جسم. على أنني شعرت بالرضى عندما أدركت أنهم ربما يأخذونني إلى المكان الذي ذهبت إليه لانا الجاثولية، بل وكنت حريصًا على الانصياع لهم حيث يقتادوني.

يمكنني رؤية الجبل المتدلي من رقبتني يمتد أمامي، ويلتف في انحناء بسيط كقاعدة، ثم يختفي تدريجيًا - ما يماثل المشهد الانطباعي - وفجأة يمتد أحيانًا في خط مستقيم، وعندئذ أشعر برعشة خلف رقبتني. لكنني تعلمت تجنب المتاعب باتباع نهاية هذا الجبل الشبحي خلال أشجار الغابة ومراقبة عقدته بعناية، بغية توقع الرعشة المقبلة عند استقامة الانحناء.

وكنت أسمع باستمرار، أمامي وخلفي، أصواتًا توبخ أصواتًا أخرى: «تحسس أين تذهب، أيها المتخبط الأبله»، أو «كف عن الضغط على كعبي، يا أحمق»، أو «بمن تعتقد أنك تصطدم، يا ابن الكالوت!». بدت الأصوات تتداخل. وعلى الرغم من شعوري بخطورة وضعي، لم أستطع منع نفسي من هذه التسلية.

أشعر حاليًا بذراع تلمسني، أو على الأقل شعرت أنها ذراع، وباللحم الدافئ للذراع العارية؛ لمستني للحظة فقط ثم ابتعدت على الفور، ثم لمستني ثانية بإيقاع موزون، مثلما قد تفعل أذرع رجلين يسيران بخطواتهما جنبًا إلى جنب؛ ثم تحدث صوت بالقرب مني، وعرفت أن صوتًا يمشي معي.

قال الصوت: «سوف نسير عبر مكان سيئ؛ ومن الأفضل أن تمسك بذراعي».

تحسست بيدي اليمنى وعثرت على ذراع لا يمكنني رؤيتها.
أمسكت ما شعرت وكأنها ذراع علوية، وعندئذٍ اختفت يدي اليمنى!
تنتهي ذراعي اليمنى حاليًا عند المعصم، أو هذا ما يبدو على الأقل؛ لكن
بمقدوري أن أشعر بأصابعي ممسكة بهذه الذراع التي لا أستطيع رؤيتها.
هذا أغرب إحساس؛ وأنا لا أحب المواقف التي لا يمكنني فهمها.
وصلنا على الفور تقريبًا إلى مكان مفتوح في الغابة، حيث لا تنمو
الأشجار.

كانت الأرض مُغطاة بربوات صغيرة، وعندما صعدت عليها،
انخفضت غارقة لبضع بوصات. كان مثل المشي فوق زنبرك ملفوف
يكسوه العشب.

قال الصوت الذي يسير بجانبني: «سوف أرشدك. إذا سرت خلال
هذا الدرب بمفردك، سوف تُبتَلَع. أسوأ ما يمكن أن يحدث لك الآن
هو أن تطأه إحدى ساقيك، لأن بإمكانني أن أجذبك قبل أن يمسك بك
بقوة».

قلت: «شكرًا لك؛ هذا لطيف جدًا منك».

أجاب الصوت: «لا تفكر في ذلك. أشعر بالأسف تجاهك؛ وأشعر
دائمًا بالأسف على الغرباء الذين يقودهم مصيرهم إلى غابة إينفاك. لدينا
اسم آخر لها، واعتقد أنه أفضل وصف لها - 'غابة الرجال المفقودين'».

سألته: «هل من السيئ بالفعل الوقوع في أيدي شعبك؟».

أجاب الصوت: «أخشى ذلك؛ فما من مهرّب».

لم أهتم كثيرًا، لأنني سمعت ذلك من قبل. تتفاخر كثيرًا الشعوب الأدنى في برسوم: لديهم دائمًا أفضل المبارزين، وأرقى المدن، والثقافة الأكثر تميزًا؛ وبمجرد أن تقع في أيديهم، يحكمون عليك دائمًا بالموت أو حياة العبودية - ولا يمكنك الهروب أبدًا.

سألته: «هل يمكنني أن أطرح عليك سؤالاً؟».

قال الصوت: «بالتأكيد».

«هل أنت دائمًا صوت فقط؟».

أمسكت يد بذراعي، وافترضت أنها يده اليمنى، واعتصرتها بأصابع قوية وإن تكن غير مرئية؛ وضحك هذا الشيء الذي كان يسير بجانبى. وسألني: «هل تشعرك ذلك بأنني مجرد صوت؟».

قلت: «صوت جهوري. يبدو أنك تمتلك الصفات المادية لرجل من دم ولحم؛ هل لديك اسم؟».

«بالتأكيد؛ اسمي كاندوس؛ وما اسمك؟»، سأل بأدب.

قلت له: «دوتار سوجات»؛ مستخدمًا مرة أخرى اسمى المستعار القديم.

نجحنا في عبور المستنقع، أو أيًا ما كان، وأبعدت يدي عن ذراع كاندوس. أصبحت مرئيًا بالكامل على الفور، وظل كاندوس مجرد صوت. مشيت بمفردي ثانية، أنا والحبل الذي يبرز أمامي ويبدو كأنه يتحدى قانون الجاذبية. ولم يساعدني تخميني أن الطرف الآخر للحبل

مُثبت بصوت أنا أراه يتحرك بشكل صحيح؛ كانت أكثر طريقة غير لائقة يتصرف بها جبل.

كرر كاندوس: «دوتار سوجات؛ يبدو أشبه باسم رجل أخضر». سألته: «هل تعرف الرجال الأخضر؟».

«أوه، نعم. هناك جماعة منهم تتردد أحياناً على قيعان البحر الميت وراء الغابة؛ لكنهم تعلموا أن يتعدوا عنا بمسافة كبيرة. فعلى الرغم من ضخامة حجمهم وقوتهم، لدينا ميزة واضحة عليهم. وفي واقع الأمر، أعتقد أنهم يخشوننا كثيراً».

«يمكنني أن أتصور ذلك؛ فليس من السهل محاربة أصوات. فلا يوجد شيء يمكن طعنه بالسيف».

ضحك كاندوس، وقال: «أعتقد أنك تود طعني بسيفك».

قلت: «كلا بالتأكيد؛ لقد كنت لطيفاً جداً معي، لكنني لا أحب الصوت الذي يُسمى نفسه بنوكسوس. ولا أمانع في مبارزته».

قال كاندوس مُحدِّراً: «لا تتحدث بصوت عالٍ. يجب أن نتذكر أنه ابن الجيداك. علينا جميعاً أن نتعامل بلطف مع بنوكسوس - بغض النظر عن رأينا الشخصي فيه».

أدركت من كلامه أن بنوكسوس لا يحظى بشعبية. من المدهش حقاً كيف يمكن للمرء أن يحكم بسرعة على شخص من صوته؛ لم يحدث لي هذا من قبل بهذه القوة. لقد كرهت صوت بنوكسوس منذ البداية، حتى عندما كان لطيفاً، وربما بسبب ذلك؛ لكنني أحببت الصوت المُسمى

كاندوس - كان صوت رجل، صريحا ودون مكر؛ كان صوتا جيدا.

سألني كاندوس: «من أين أنت، دوتار سوجات؟».

قلت: «من فرجينيا».

«لم يسبق لي أن سمعت عن هذه المدينة. في أي بلد تقع؟».

أجبت: «في الولايات المتحدة الأمريكية، لكنك لم تسمع عنها أبداً أيضاً».

قال: «لا، لا بد أنه بلد بعيد».

قلت مؤكداً: «إنه بلد بعيد، على بعد ٤٣ مليون ميل من هنا».

قال: «يمكنك أن تتحدث طويلاً بمثل ما تقفز. أنا لا أمانع أن تمزح معي، ولو كنت مكانك لم أكن لأمزح مع بنوكسوس، ولا مع الجيداك بتانتوس؛ فلا يتمتع أي منهما بحس الفكاهة».

قلت بإصرار: «لكني لم أكن أمزح. هل رأيت جاسوم في السماء ليلاً؟».

أجاب: «بالطبع».

«حسناً، هذا هو العالم الذي جئت منه؛ تُسمى هناك كوكب الأرض، ويُسمى برسوم كوكب المريخ».

قال كاندوس: «أنت تبدو وتتحدث كرجل شريف. وفي حين أنني لا أفهم، فأنا أميل إلى تصديقك؛ ومع ذلك، من الأفضل أن تختار مكاناً في برسوم موطناً لك عندما يسألك أي شخص آخر في إينفاك؛ وهم سرعان ما يستجوبونك - فنحن على أبواب المدينة الآن».

الفصل (٣)

إينفاك! مدينة في غابة الرجال المفقودين. لم أر في البداية سوى البوابة، نظرًا لكثافة الأشجار التي تخفي سور المدينة - الأشجار والكرمات التي تغطي السور.

سمعت اعتراضًا صوتيًا مع اقترابنا من البوابة، وسمعت صوت بنوكسوس يرد: «أنا بنوكسوس، الأمير، ومعني عشرون محاربًا وسجينًا». قال الصوت: «فليتقدم شخص واحد ليقول كلمة السر».

أدهشني أن حارس البوابة لم يستطع التعرف على ابن الجيداك، ولا على أي من المحاربين العشرين معه. أتصور أن شخصًا تقدم وهمس بكلمة السر؛ لأن صوتًا قال الآن: «ادخل، يا بنوكسوس، مع محاربيك العشرين وسجينك».

تأرجحت البوابات مفتوحة على الفور. رأيت ممرًا مضاءً وأنا سأ يتحركون. جذب الحبل حول رقبتني وسرت قُدُما نحو البوابة، وظهر أمامي فجأة رجال مسلحون وراء عتبة البوابة واحدًا تلو الآخر، كما لو

أنهم يتجسدون من الهواء الرقيق، واستمر وجودهم على طول الممر المُضاء. اقتربت من البوابة، كما لو كنت بمفردي، وما إن خطوت العتبة، حتى وجدت محاربًا بجانبني في نفس المكان الذي كان يسير فيه صوت كاندوس.

نظرت إلى المحارب، ومن المؤكد أن دهشتي الواضحة كانت بادية على وجهي، حيث ابتسم المحارب. نظرت خلفي، ورأيت محاربًا تلو محارب يتجسد كرجل بدم ولحم بمجرد عبوره العتبة. لقد سرت في الغابة برفقة أصوات، والآن يسير عشرة محاربين أمامي وتسعة خلفي وواحد بجانبني.

سألت المحارب الذي يسير إلى جانبي: «هل أنت كاندوس؟».

قال: «بالتأكيد».

قلت صائغًا: «كيف يمكنك القيام بذلك؟».

أجاب: «ببساطة شديدة، لكنه سر الإينفاكيين. ومع ذلك، يمكنني أن أخبرك أننا غير مرئيين نهارًا، أو بالأحرى عندما لا تُضيئنا تلك المصابيح التي تنير مدينتنا. وإذا لاحظت بنية المدينة ونحن نسير، سترى أننا نستفيد تمامًا من فرصتنا الوحيدة في أن نكون مرئيين».

سألته: «لماذا تهتمون برؤية الآخرين أو عدم رؤيتهم لكم؟ ألا يكفي أنكم ترون أنفسكم؟».

قال: «للأسف هناك عقبة. يمكننا أن نراكم، لكننا لا نستطيع رؤية بعضنا بأكثر مما يمكنك أن ترانا».

يُفسر هذا إذن التذمر واللعنات التي سمعتها خلال مسيرتنا عبر الغابة؛ حيث كان المحاربون يتصادمون لعدم قدرتهم على رؤية بعضهم أكثر من قدرتي على رؤيتهم.

قلت: «لقد اكتسبتم التخفي بالتأكيد، أم خرجتم من بيض غير مرئي؟».

أجاب: «لا، نحن أناس عاديون؛ لكننا تعلمنا أن نجعل أنفسنا غير مرئيين».

رأيت عندئذ ساحة مفتوحة أمامنا، ويختفي المحارب بمجرد خروجه من الممر المضاء إلى الساحة. وعندما خرجت مع كاندوس من الممر، أصبحت أسير بمفردي ثانية. يا للغرابة.

تناثرت تلك الساحات في المدينة لتمنحها التهوية؛ لأن المدينة كانت مسقوفة تمامًا ومضاءة بشكل مصطنع بأضواء مدهشة تتيح لسكانها رؤية كاملة. نمت الأشجار في كل ساحة، وتنمو الكرمات على سطح المدينة؛ ولذا، ومع تشييدها في وسط غابة الرجال المفقودين، كانت المدينة غير مرئية تقريبًا، مثلها مثل سكانها، سواء من الأرض أو من الجو.

توقفنا أخيرًا في ساحة كبيرة تضم العديد من الأشجار، بها حلقات حديدية وسلاسل تربطها بها. وهنا امتدت أياد خفية ووضعت قيدًا حول أحد كاحليّ، وتثبيت القيد في نهاية إحدى هذه السلاسل.

همس الآن صوت في أذني: «سأحاول مساعدتك؛ لأنك أثرت

إعجابي - على المرء أن يُعجب برجل يمكنه القفز ثلاثين قدمًا في الهواء؛ وعلى المرء أن يهتم برجل يقول إنه أتى من عالم آخر يبعد بمسافة ٤٣ مليون ميلٍ عن برسوم».

كان كاندوس هو المتحدث. شعرت بأنني محظوظ بوجود صديق هنا، لكنني تساءلت كيف يمكنه مساعدتي. ذلك أن كاندوس لم يكن الجيداك، ومصيري يقع على الأرجح في يد بتانتوس.

يمكنني سماع أصوات تعبر الساحة ذهابًا وإيابًا. ويمكنني رؤية أناس يأتون من الممرات أو الشوارع ثم يتلاشون بمجرد دخولهم الساحة. ويمكنني رؤية ظهور رجال ونساء فجأة في مداخل الشوارع وهم يغادرون الساحة. وفي عدة مناسبات، كانت أصوات تقف بجانب شجرتي وتناقشني. كانوا يُعلقون على بشرتي الفاتحة وعينيَّ الرماديتين. وذكر أحد الأصوات قفزتي الكبيرة في الهواء، التي رواها واحد ممن خطفوني.

توقف عطر لطيف بالقرب مني، وقال صوت جميل: «يا له من رجل مسكين، وهو وسيم جدًا!».

هدر صوت رجل: «لا تكوني حمقاء، يا روجاس، إنه عدو؛ وعلى أي حال، مظهره ليس جيدًا جدًا».

قال الصوت الجميل بإصرار: «أعتقد أنه وسيم جدًا، وكيف تعرف أنه عدو؟».

قلت: «لم أكن عدوًا عندما هبطتُ بسفيتتي بجوار الغابة، لكن

المعاملة التي تلقيتها سرعان ما ستجعل مني عدوًّا.

قال الصوت الجميل: «أرأيت، لم يكن عدوًّا. ما اسمك، أيها الرجل المسكين؟».

أجبت ضاحكًا: اسمي دوتار سوجات، لكنني لست مسكينًا.

قال صوت الرجل: «ربما هذا ما تعتقده. هيا، يا روجاس، قبل أن تُظهري نفسك كحمقاء».

قلت: «إذا أعطيتني سيفًا وخرجت من حالة الخفاء الجبانية، سوف أجعل منك أحمق، يا كالوت».

ركلني إصبع قدم خفية، لكنه مادي، في فخذي وقال الصوت هادرًا: «احفظ مركزك يا عبد!».

اندفعت إلى الأمام، وجدت يدي طريقها مصادفة على هذا الزميل؛ وعندئذ أمسكته من عتاده لفترة تكفي لتحسس مكان وجهه، وعندما عثرت عليه، ضربته بيدي اليمنى ضربة قوية لا بد أنها ألقت به في منتصف الطريق عبر الساحة.

قلت: «هذا سوف يعلمك عدم ركل رجل لا يستطيع رؤيتك».

«هل ركلك موتوس؟»، صاح الصوت الجميل، إلا أنه لم يكن جميلًا الآن، بل كان صوتًا غاضبًا، صوتًا مصدومًا. «يبدو أنك ضربته - وآمل أن تكون فعلت ذلك».

قلت: «لقد ضربته بالفعل، ومن الأفضل أن تتأكدي من وجود طبيب في المنزل».

صاحت الفتاة: «موتوس، أين أنت؟».

لم يرد؛ لا بد أن موتوس اختفى كضوء. وسرعان ما سمعت بعض الألفاظ النابية، وصوت رجل يقول: «من أنت، يا من ترقد هنا في الساحة؟». من الواضح أن صوتًا ما قد تعثر في موتوس.

قلت في الاتجاه الذي جاء منه صوت الفتاة: «لا بد أنه موتوس. من الأفضل أن تجدي من يحمله».

قال صوتها، وهي تبتعد: «لا يهمني، يمكنه أن يظل راقداً هناك إلى أن يتعفن». وعلى الفور تقريباً رأيت فتاة نحيفة تتجسد عند مدخل أحد الشوارع. يمكنني القول من ظهرها أنها كانت فتاة غاضبة؛ وإذا كان ظهرها يُشكل أي معيار، فهي فتاة جميلة - على أي حال، صوتها جميل وقلبها طيب. ربما هؤلاء الإينفاك ليسوا سيئين.



الفصل (٤)

قال صوت خلفي: «كان رائعاً ما فعلته في موتوس».

لم أكن مهتماً حتى بالالتفات، فما فائدة الاستدارة وعدم رؤية أحد؟ ولكن عندما قال الصوت: «أراهن أن هذا الكالوت الإينفاكي القدر سيظل هناك لأسبوع»، استدرت لأنني أعرف أن أي إينفاكي لن يقول مثل هذا الكلام.

رأيت رجلاً مقيداً بالسلاسل إلى شجرة بالقرب مني، وكان رجلاً أحمر آخر (من الغريب أنني أعتبر نفسي دائماً رجلاً أحمر هنا في برسوم؛ ومع ذلك، ربما ليس غريباً على الإطلاق. أنا رجل أحمر، باستثناء لون بشرتي - أنا رجل أحمر، حتى النخاع، من حيث تفكيرتي وشعوري. لم أعد أعتبر نفسي فيرجينيًا، فقد أصبح حبي لهذا العالم متأصلاً إلى حد اعتباره عالمي). سألته: «حسنًا، من أين أتيت؟ وهل أنت واحد من هؤلاء غير المرئيين؟».

أجاب الرجل: «أنا لست منهم. أنا كنت هنا دائماً. لا بد أنني كنت نائماً خلف شجرتي عندما أحضروك هنا، لكن الناس الذين يقفون للتعليق عليك أيقظوني. سمعتك تخبر الفتاة أن اسمك دوتار سوجات.

إنه اسم غريب لرجل أحمر. اسمي بتور فاك، أنا من زودانجا».

بتور فاك! تذكرته الآن؛ كان أحد الإخوة بتور الثلاثة الذين صادقوني عندما كنت أريد دخول زودانجا بحثاً عن ديجاه ثوريس. ترددت في البداية أن أقول له مَنْ أنا بالفعل؛ لكنني كنت أعرف أنه رجل شريف وكنت على وشك إخباره بهويتي عندما صاح فجأة: «باسم أم القمر الأقرب! تلك العينان، وتلك البشرة!».

قلت مُحذراً: «ششش! أنا لا أعرف بعد طبيعة هؤلاء الناس، ولذا تصورت أنه من الحكمة أن أكون دوتار سوجات».

سأل صوت يقف عند كوعي: «إن لم تكن دوتار سوجات، فمَنْ أنت؟». هذه هي المشكلة مع الاختفاء - أن يتسلل رجل ويتنصت عليك، وليس لديك أدنى فكرة أن هناك أي شخص بالقرب منك.

قلت أول اسم تبادر إلى ذهني: «أنا سلطان سوات».

سأل الصوت: «ما السلطان؟».

أجبت: «جيداك».

«في أي بلد؟».

«في سوات».

قال الصوت: «لم أسمع عن سوات من قبل».

«حسنًا، ما دام الأمر أصبح معروفًا الآن، فمن الأفضل أن تخبر الجيداك أن لديه سلطانًا مقيّدًا بالسلاسل هنا في الساحة الخلفية».

لا بد أن الصوت ابتعد، لأنني لم أسمع منه بعد ذلك. كان بتور فاك

يضحك، قال: «يمكنني القول إن الأمور سوف تتحسن قليلاً الآن، لأنك هنا. تقديري العميق لأي من أسلافك الذي منحك روح الدعابة. هذه أول مرة أضحك منذ أن أمسكوا بي».

«منذ متى وأنت هنا؟».

«منذ عدة أشهر. كنت أجرب مُحركًا جديدًا طورناه في زودانجا، وأحاول إعداد سجل للملاحة الدورانية في برسوم عند خط الاستواء. ويقع هذا المكان بالطبع على خط الاستواء، وتعطل محركي هنا. كيف أتيت أنت إلى هنا؟».

«كنت قد هربت من بانكور مع لانا، ابنة جاهان الجاثولي، وكنا في طريقنا إلى هيليوم لنعود بأسطول يُعلّم هين أبتول درسًا. لم يكن لدينا طعام أو ماء على طائرتنا؛ لذلك هبطت إلى جوار هذه الغابة للحصول على الطعام والماء. بينما كنت في الغابة، صعد أحد هؤلاء الإينفاك على متن الطائرة، ولم تره لانا بالطبع، وأقلع ومعه لانا؛ ثم هاجمني أكثر من عشرين منهم وأخذوني سجينًا».

«كانت معك فتاة! هذا سيء جدًا. قد يقتلوننا، لكنهم سيقون عليها».

قلت بمرارة: «قال بنوكسوس إنه مُعجب بها».

قال بتور فاك موضحًا: «بنوكسوس كالوت، وابن كالوت، وحفيد كالوت». لا يمكن تقييم بنوكسوس بدقة أكثر من ذلك.

سألته: «ماذا سيفعلون معنا؟ هل لدينا أي فرصة للهرب، تعطيني

أيضاً فرصة لأخذ لانا؟».

«حسنًا، لا يمكنك الهرب ما دمت هنا مقيدًا بالسلاسل إلى شجرة؛ وهذا ما فعلوه معي منذ أن أنيت. أعتقد أنهم ينوون استخدامنا في نوع ما من المباريات، لكنني لا أعرف ما هي. انظرا!»، صاح ضاحكًا ومشيرًا بيده.

نظرت في الاتجاه الذي أشار إليه، ورأيت رجلين يحملان هيئة عرجاء ثالثة إلى أحد الشوارع.

قال بتور فاك: «لا بد أن هذا هو موتوس». وفجأة قال بصوت رصين: «أخشى أن يوقعك هذا في ورطة».

قلت: «يستحق ما ناله، مهما كانت المتاعب التي سأواجهها. فكر في ركل رجل لا يُبصر، وهذا معنى ما قام به. وقد جُن جنون الفتاة لما فعله، لا بد أنها طيبة. روجاس - هذا اسم جميل».

قال بتور فاك: «إنه اسم سيدة من طبقة النبلاء».

سألته: «هل تعرفها؟».

«لا، لكن بإمكانني معرفة انتماء أو عدم انتماء الشخص إلى طبقة النبلاء من نهاية اسمه، وأعرف الانتماء من عدمه إلى العائلة الملكية من بداية ونهاية اسمه. تنتهي أسماء طبقة النبلاء الذكور بـ'وس' والإناث بـ'اس'. وتنتهي الأسماء الملكية بالمثل، لكنها تبدأ دائمًا بحرفين ساكنين: مثل بنوكسوس وبتانتوس».

قلت: «إذن موتوس ينتمي إلى النبلاء».

«نعم، وهذا ما سيجعل وضعك سيئاً».

قلت: «أخبرني، كيف يجعلون أنفسهم غير مرئيين؟».

«لقد تمكنوا من تطوير شيء يمنحهم الخفاء ربما لمدة يوم؛ وهو شيء يأخذونه داخلهم - مثل حبة دواء كبيرة. وأعتقد أنهم يأخذون واحدة كل صباح، للتأكد من وضع الخفاء إذا كان عليهم الخروج من المدينة. تستغرق هذه حوالي ساعة قبل أن يبدأ تأثيرها؛ وإذا هاجم عدو المدينة، سيكون وضعهم سيئاً إذا اضطروا للخروج والقتال وهم مرئيين».

سألته: «ما نوع الأعداء هنا؟ أخبرني كاندوس أنه حتى الرجال الخضر يخافونهم».

قال بتور فاك موضحاً: «توجد مدينة أخرى في الغابة يسكنها فرع من هذه القبيلة، وتُسمَّى أونفاك؛ ويمتلك شعبها أيضاً سر الخفاء. يأتي الأونفاك أحياناً لمهاجمة الإينفاك، أو ينتظرون مجموعات الإينفاك للصيد عندما تخرج إلى الغابة».

قلت: «أعتقد أنه يصعب نوعاً ما القتال في معركة لا يستطيع خلالها المرء أن يرى العدو أو الصديق».

«نعم. أتصور أنه لا تحدث أبداً أضرار كبيرة، إلا أنهم قد يقبضون أحياناً على سجين. قبض الإينفاك في آخر معركة على سجينين، واكتشفوا عند وصولهم إلى المدينة أنهما من رجالهم. لا يعرفون أبداً كم يقتلون من شعبهم؛ فهم يضربون بسيوفهم كيفما اتفق، ولتساعد

إيسوس مَنْ يكون في طريقهم».

ما إن أنهى بتور فاك حديثه، حتَّى شعرت بيدٍ تفعل شيئًا في الأغلال المحيطة بكاحلي؛ والآن فكت اليد الأغلال وأزالتها.

قال الصوت: «تعال يا عبد»، ثم أمسكني أحدهم من ذراعي وقادني نحو مدخل أحد الشوارع.

رأيت لحظة دخولنا محاربًا بجاني، وآخرين أمامي وخلفي. اقتادوني على طول هذا الشارع، عبر ساحتين آخرين، حيث أصبح المحاربين على الفور غير مرئيين، بطبيعة الحال، وأصبحت أنا أبدو وكأنني أسير بمفردي مع مجرد شعور بضغط يد على ذراعي. أخذوني إلى غرفة كبيرة، تضم عددًا من الناس الذين يقفون أمام مكتب وعلى جانبه. جلس على المكتب رجل متجههم شرس الوجه.

اقتادوني إلى المكتب ثم وقفنا. أخذ الرجل الجالس وراء المكتب ينظر نحوي ويتفحصني في صمت لعدة ثوانٍ. كان يرتدي عتادًا جيدًا، حيث الجلود منحوتة بشكل جميل، ومرصعة بالأحجار الكريمة. وعلى ما يبدو أن غمد سيفه، الذي رأيتَه فوق مكتبه، كان من الذهب، ومرصعًا أيضًا بتلك الأحجار الكريمة النادرة والجميلة في برسوم، والتي تتحدى أي وصف بكلمات لغات كوكب الأرض. التف حول جبينه إكليل من الجلد المنحوت، كُتب عليه من الأمام بالأحجار الكريمة الحروف الهيروغليفية البرسومية التي تُنطق 'جيداك'. هذا إذن بتانتوس، جيداك إينفاك. شعرت أنني ولانا لا يمكن أن نقع في أيدي أسوأ من ذلك.

الفصل (٥)

نظر بتانتوس في وجهي بشراسة، بحيث كنت على يقين أنه يحاول إخافتي. يبدو أنها طريقة الطغاة والمتنمرين في محاولة لتحطيم معنويات الضحية قبل تدميره. لكنه لم يثر إعجابي كثيرًا، وتوقفت عن النظر إليه تدفعني رغبة حمقاء في مضايقته. أعتقد أن هذا أزعجه كثيرًا، لأنه ضرب بقبضته بقوة على المكتب وانحنى إلى الأمام.

زأرت تقريبًا في وجهي: «يا عبد! التفت لي».

قلت لتذكيره: «أنت لم تقل أي شيء حتى الآن. سوف أسمعك عندما تقول أي شيء يستحق الاستماع، وليس عليك أن تصيح في وجهي».

التفت بغضب إلى ضابط، وقال: «إياك أن تجلب أي سجين أمامي ثانية قبل إعطائه تعليمات كيف يتصرف في حضرة الجيداك».

قلت له: «أنا أعرف كيفية التصرف في حضرة جيداك؛ فقد سبق أن كنت في حضرة بعض أعظم الجيداك في برسوم، وأنا أعامل الجيداك

كما أعامل تمامًا أي رجل آخر - كما يستحق. سيحظى باحترامي إذا كان نبيل القلب، ولن يحظى به إن كان فظًا».

كان التلميح واضحًا، وتلون وجه بتانتوس. قال: «كفَّ عن وقاحتك. أعرف أنك زميل مثير للمشاكل، وأنتك أزعجت بنوكسوس، الأمير، كثيرًا بعد القبض عليك، كما أنك ضربت أحد النبلاء وجرحته بشدة».

قلت: «قد يمتلك هذا الرجل لقبًا، لكنه ليس نبيلًا؛ فقد ركلني وهو غير مرئي - موقف يماثل ركل رجل أعمى».

«هذا صحيح»، قال صوت فتاة خلفي قليلًا على الجانب. استدرت ونظرت، كانت روجاس.

سألها بتانتوس: «هل رأيت ذلك، يا روجاس؟».

«نعم، أساء لي موتوس؛ وهذا الرجل، دوتار سوجات، وبَّخه. فركله موتوس».

«هل هذا صحيح، يا موتوس؟»، سأله بتانتوس وهو يدير رأسه وينظر إلى الجانب الآخر. استدرت ونظرت في هذا الاتجاه، ورأيت موتوس ووجهه مُغطًى بالضمادات؛ كان مشهده يبعث على الأسى.

قال هادرًا: «لقد أعطيت العبد ما يستحقه؛ فهو زميل وقح».

قال بتانتوس: «أتفق معك تمامًا، وسوف يموت عندما يحين الوقت. لكنني لم أستدعِه هنا لمحاكمته. أنا، الجيداك، أقرر دون شهادة أو مشورة. لقد أرسلت في استدعائه لأن أحد الضباط أخبرني أن بإمكانه القفز لثلاثين قدمًا في الهواء. وإذا كان يستطيع القيام بذلك

فعلاً، قد يجدر إبقائه لفترة من الوقت لتسلّيتي».

لم أتمكن من منع ابتسامة صغيرة؛ فربما كانت قدرتي على القفز هي التي حفظت حياتي منذ وصولي إلى برسوم من سنوات عديدة، عندما أمسكت بي جحافل ثارك الخضراء، وأمرني تارس تاركاس^(٦١) أن أقفز أمام لوركواس بتوميل، الجد؛ والقفز الآن على وشك أن يعطيني مهلة قصيرة على الأقل قبل الموت.

سألني بتانتوس: «لماذا تبسم؟ هل تجد الأمر مضحكاً؟ عليك أن تقفز الآن، وبسرعة».

نظرت إلى السقف، وكان على بُعد حوالي ١٥ قدماً من الأرضية. قلت: «ستكون مجرد قفزة قصيرة».

قال بتانتوس: «حسناً، لتكن قفزة قصيرة».

التفتُ ونظرت خلفي. كان الرجال والنساء يزدحمون بكثافة لمسافة عشرين قدماً تقريباً بيني وبين المدخل. وبفضل خفة حركتي الهائلة وجاذبية المريخ الأقل، قفزت بسهولة فوقهم. كان بإمكانني أن اندفع نحو الباب ثم أقفز إلى سقف المدينة وأهرب؛ وكنت لأفعل ذلك لو لم تكن لانا الجاثولية سجينة هنا.

ملأت هتافات الدهشة الغرفة؛ فهي بالنسبة لهم خفة حركة رائعة. وعندما قفزت مرة أخرى، دوت موجة من التصفيق.

(٦١) تارس تاركاس: قائد جماعة ثارك، من المريخيين الحُضر، وحليف جون كارتر - http://ps://barsoom.fandom.com/wiki/Tars_Tarkas - المترجمة.

سألني بتانتوس: «ماذا يمكنك أن تفعل أيضًا؟».

قلت: «يمكنني بالسيف أن أجعل موتوس يبدو كالأحمق، وكذلك بقبضتي، إذا واجهني تحت الأضواء حيث يمكنني رؤيته».

ضحك بتانتوس فعلاً، وقال: «أعتقد أنني سأدعك تفعل ذلك في وقت ما عندما أنتهي معك؛ لأن موتوس سوف يقتلك بالتأكيد. ربما لا يوجد في برسوم كلها مبارز أفضل من النبيل موتوس».

قلت: «يسعدني أن تسمح له بالمحاولة، وأعطيك وعدًا بأنني سوف أستمّر قادرًا على القفز بعد أن أقتل موتوس». ثم واصلت قائلاً: «لكنك إذا أردت حقًا أن ترى بعض القفز، خذني أنا والفتاة التي قبضت عليها معي إلى الغابة، وسوف نريك شيئًا جديرًا بالاهتمام». إذا استطعت فقط الخروج من البوابات مع لانا، أعرف أن بإمكاننا الفرار؛ لأن بمقدوري أن أسبق أيًا منهم حتى لو اضطررت إلى حمل لانا.

قال بتانتوس: «خذوه؛ أعيدوه إلى مكانه وقيدوه. لقد رأيت وسمعت ما يكفي اليوم». أعادوني إلى الساحة وربطوني بشجرتي.

قال بتور فاك، بعد أن تصور مغادرة الحراس: «حسنًا، كيف سار الأمر؟».

أخبرته بما حدث في حضرة الجيداك؛ فقال إنه يأمل أن أحصل على فرصة مبارزة موتوس؛ لأن بتور فاك يعرف جيدًا سمعتي كمبارز.

بعد أن حل الظلام في تلك الليلة، جاء صوت وجلس بجانبني. كان كاندوس.

قال: «من الجيد أن قفزت أمام بتانتوس اليوم؛ فقد تصور الشيطان العجوز أن بنوكسوس كان يكذب عليه، وبعد أن يثبت أنك لا تستطيع القفز، كان بتانتوس سيدمرك فوراً بطريقة سيئة للغاية يتعامل بها مع من يثيرون غضبه أو استياءه».

قلت: «أتمنى أن أتمكن من تسليته لفترة من الوقت».

قال كاندوس: «لن يختلف الأمر في النهاية. ولكن إذا كان هناك أي شيء يمكنني القيام به لتيسير أسرك، فسوف يسعدني أن أقوم به».

«سوف تخفف عني إذا كنت تستطيع إخباري ماذا حدث للفتاة التي قبُضَ عليها في نفس الوقت عند القبض عليّ».

«إنها محبوسة في مساكن الإماء. هناك، في ذلك الجانب من المدينة وراء القصر»، وأشار إلى ذلك الاتجاه.

سألته: «وماذا تعتقد سيحدث لها؟».

أجاب: «يتشاجر حولها بتانتوس وبنوكسوس. وهما يتشاجران دائماً حول أي شيء؛ يكرهان بعضهما. بنوكسوس يريد لها، ولذلك لا يرغب بتانتوس في إعطائها له؛ وبالتالي فهي في أمان، حالياً على الأقل. يجب أن أذهب الآن». ثم قال بعد لحظة، ويمكنني القول من اتجاه صوته إنه نهض، «إذا كان هناك أي شيء يمكنني القيام به، تأكد أن تخبرني».

قلت: «إذا أمكنك أن تجلب لي بعض الأسلاك، سأكون ممتناً».

سألني: «ماذا ستفعل بالأسلاك؟».

قلت: «لمجرد تمرير الوقت؛ أقوم بشني الأسلاك وصنع أشكال مختلفة وصغيرة لأسلي نفسي. أنا لست معتاداً على البقاء مقيداً

بالسلاسل إلى شجرة، والوقت يمر ثقیلاً جداً».

قال: «بالتأكيد، يسعدني أن أجلب لك الأسلاك؛ سأعود بها بعد لحظات. وحتى ذلك الحين، إلى اللقاء».

قال بتور فاك: «أنت محظوظ لأن لك صديق هنا. أنا هنا منذ عدة أشهر ولم أكتسب ولو صديقاً واحداً».

قلت: «أظن أن قدرتي على القفز هي السبب؛ فقد خدمتني بشكل جيد من قبل، ومن نواحٍ عديدة».

لم يمض وقت طويل قبل أن يعود كاندوس ومعه الأسلاك. شكرته، وغادر على الفور.

كان الوقت الآن ليلاً، والقمران في السماء. أضواء الضوء الخافت الفناء، بينما اجتاحت رحلة القمر ثوريا السريعة عبر السماء ظلال الأشجار، وحولتها إلى حركة دائمة التغير فوق المرج القرمزي، مع تحوله الآن إلى اللون الأرجواني في ضوء القمر.

كانت سلسلتي وسلسلة بتور فاك طويلة بما يكفي ليسمح لنا فقط بالجلوس جنباً إلى جنب، ورأيت أن طلبي للأسلاك قد أثار فضوله، لأنه واصل النظر إليها في يدي. وفي النهاية لم يستطع الانتظار، فسألني: «ماذا ستفعل بهذا السلك؟».

قلت: «سوف تُفاجأ»؛ توقفت لبرهة لشعوري بوجود شخص ما بالقرب مني، ثم واصلت: «بالأشياء الذكية التي يمكن للمرء أن يفعلها بقطعة من السلك».

الفصل (٦)

لو عشت هنا في إينفاك بقية حياتي، من المؤكد أنني لن أتمكن من التأقلم مع تلك الموجودات الخفية الغريبة، أو مع معرفة احتمال وجود شخص يقف دائماً على مقربة مني ويستمع إلى حديثي مع بتور فاك.

أشعر الآن بيدٍ ناعمة على ذراعي، ثم أسمع نفس الصوت الجميل الذي سمعته من قبل يقول: «أنا روجاس».

قلت: «أنا سعيد لأنك جئت. تمنيت أن أجد فرصة لأشكرك على شهادتك عني اليوم أمام بتانتوس»

أجابت: «أخشى أنها لن تجلب لك الكثير من الخير؛ ذلك أن بتانتوس لا يحبني».

سألتها: «ولماذا يكرهك؟».

«أرادني بنوكسوس زوجة له وأنا رفضته؛ لذلك، وعلى الرغم من أن بتانتوس لا يحب بنوكسوس، فقد شعر أنني جرحته كرامته؛ ويصب جام غضبه على عائلتي من ذلك الحين». اقتربت مني، ويمكنني أن أشعر بدفء ذراعها على ذراعي وهي تميل نحوي. قالت: «دوتار سوجات،

تمنيت أن تكون إينفاكيًا، حتّى يمكنك البقاء هنا إلى الأبد في أمان». قلت: «هذا لطيف جدًّا منك، يا روجاس، لكنني أخشى أن مصيري يختلف عن ذلك».

تسللت الذراع الناعمة حول كتفي. ملأ عطرها اللطيف أنفي، ذلك العطر الذي أعلن عن وجودها أول مرة بعد ظهر ذلك اليوم، وشعرت بتنفسها الدافئ على خدي. «دوتار سوجات، هل ترغب في البقاء هنا»، توقفت ثم قالت: «... معي؟».

أصبح الوضع مُحرجًا. شعر حتى بتور فاك بالحرج، رغم عدم التفاف أذرع لينة خفية حول رقبتة. عرفت أنه مُحرج لأنه ابتعد بمقدار طول سلسلته بأكملها. لا يمكنه بالطبع رؤية روجاس بأكثر ما أستطيع، لكنه لا بد سمع كلماتها. وكونه رجلًا مهذبًا، فقد أبعد نفسه قدر الإمكان، ويجلس هناك الآن وظهره نحونا. يا له من وضع رومانسي أن تبشي الحب فتاة جميلة في حديقة تحت ضوء القمر، لكن عدم رؤية الفتاة يماثل أن يبشك شبح الحب؛ على الرغم من أنني أؤكد لك أن روجاس لم تكن تشعرك على الإطلاق بأنها كالشبح.

قالت: «أنت لم تُجب على سُؤالي، دوتار سوجات».

أنا لم أحب أبدًا سوى امرأة واحدة - ديجاه ثوريس التي لا تُضاهي؛ ولست مثل بعض الرجال الذين يتظاهرون بالحب لنساء أخريات. أنا ثابت في مكاني، كما تقولون في أمريكا. يقولون إن كل شيء جائز في الحب والحرب؛ وبقدر ما يتعلق بي الأمر بي، كنت بالتأكيد في حالة حرب مع الإينفاك. وها هي إحدى فتيات العدو، ويمكن أن تؤدي

إجابتي إما إلى الفوز بولائها وإما إثارة كراهيتها المريرة.

لم أكن لأتردد لو كان الأمر يتعلق بي فقط؛ لكن مصير لانا الجاثولية يفوق جميع الاعتبارات الأخرى، ولذا فقد ماطلت.

قلت: «لا يهم كم أود أن أكون معك دائماً، يا روجاس، أعرف أن هذا مستحيل. سوف أخضع هنا لأهواء الجيداك، ومن ثم سوف يفصل الموت بيننا إلى الأبد».

صاحت وهي تُقرب خدي من خدها: «أوو، لا، دوتار سوجات، يجب ألا تموت - لأنني أحبك».

اعترضتُ قائلاً: «ولكن، روجاس، كيف يمكنك أن تحبي رجلاً لم تعرفه سوى لبضع ساعات فقط، بل لبضع دقائق؟».

أجابت: «عرفت أنني أحبك في اللحظة التي وقعت فيها عيناك عليك، وقد رأيتك أكثر كثيراً من بضع دقائق. كنت أحضر باستمرار تقريباً إلى الساحة منذ رأيتك أول مرة وأراقبك. عرفت جميع تعبيرات وجهك المتغيرة. شاهدت في عينيك ضوء الغضب، والفكاهة، والصدقة. لو عرفتك طوال حياتي، لم أكن لأعرفك بشكل أفضل. قبّلني، دوتار سوجات». أنهت كلامها، وقمت بشيء سأخجل منه دائماً. أخذت روجاس بين ذراعيّ وقبّلتها.

هل سبق لك أن حملت شبحاً بين ذراعيك وقبّلته؟ يهينني الاعتراف بأنها لم تكن تجربة غير سارة. لكن روجاس تشبث بي بإحكام ولفترة طويلة، بحيث غمرني الارتباك والإحراج.

تنهدت روجاس: «أوه، يمكننا أن نظل هكذا دائماً».

أتصور شخصياً أن الأمر مهما كان لطيفاً، فربما كان غير مريح بعض الشيء.

ومع ذلك، قلت: «ربما ستأتين ثانية كثيراً، يا روجاس، قبل أن أموت».

صاحت: «أوه، لا تتحدث عن الموت».

«لكنك تعرفين أن بتانتوس سوف يقتلني - إلا إذا هربت».

«الهرب!»، بالكاد ما لفظت الكلمة.

أضفتُ بصوت حاولت ألا يبدو متفائلاً: «لكنني أعتقد أنه لا مهرب بالنسبة لي».

كررت: «الهرب، الهرب! آه لو أمكنني أن أذهب معك».

سألتها: «ولم لا؟». لقد تماديت إلى هذا الحد، وشعرت أنني قد أوصل على هذا الطريق إذا كان ذلك سيساعدني على إطلاق سراح لانا الجاثولية من الأسر.

كررت روجاس: «نعم، لم لا؟ وإنما كيف؟».

قلت: «إذا تمكنت من أن أصبح غير مرئي».

فكرت للحظات ثم قالت: «ستكون خيانة. وسوف تعني الموت، موت رهيب، إذا أمسكوا بي».

قلت: «لا أستطيع أن أطلب منك ذلك»؛ وشعرت أنني منافق، لأنني

أعرف أن بإمكانني أن أطلب منها ذلك إذا تصورت أنها ستفعله. كنت مستعداً للتضحية عن طيب خاطر بحياة كل شخص في إينفاك، بما في ذلك حياتي، إذا كان يمكنني تحرير لانا الجاثولية بهذه الطريقة. كنت يائساً، ويلجأ الرجل عندما يشعر باليأس إلى أي وسيلة تتيح له الفوز بما يريد.

«أنا تعيسة هنا»، قالت روجاس، في محاولة طبيعية وإنسانية للتبرير. وأضافت: «وبالطبع، إذا نجحنا، ما من فارق عندما يعرفون أنني التي فعلتها؛ لأنهم لن يتمكنوا من العثور علينا. سيكون كلانا خفيًا، ويمكننا معاً أن نشق الطريق إلى بلدك». كانت تخطط لكل شيء جيداً.

سألتها: «هل تعرفين أين الطائرة التي جلب الفتاة السجينة؟».

«نعم، هبطت على سطح المدينة».

قلت: «هذا سيُسيِّط الأمور بشكل كبير. إذا أصبحنا جميعاً غير مرئيين، يمكننا الوصول إليها والهرب بسهولة».

سألتني: «ماذا تعني بـ'جميعنا'؟».

قلت: «لأنني أريد أن آخذ معي بتور فاك، ولانا الجاثولية التي قبضوا عليه في نفس وقت القبض عليّ».

تجمدت روجاس فوراً، وأنزلت ذراعيها من حولي. وقالت: «الفتاة، لا».

قلت بإصرار: «لكنني يجب أن أنقذها، يا روجاس». لم ترد. انتظرتُ لحظة، ورأيت ظهرها النحيل يتجسد في مدخل أحد الشوارع في مواجهتي. ظهر نحيل يعلوه رأس عنيد. وكان هذا الظهر يشع بغضب أنثوي.

الفصل (٧)

غرقت في أعماق اليأس بعد أن غادرت روجاس. لو انتظرت، كنت لأوضح لها كل شيء ونهرب نحن الأربعة.

أعترف أنني لم أتمكن أبدًا من فهم طرق النساء، لكنني شعرت أن روجاس لن ترجع أبدًا. أعتقد أن اقتناعي كان متأثرًا بتلك السطور من مسرحية 'عروس في ثوب الحداد' (٦٢): 'ما من غضب في الجنة مثل تحول الحب إلى كراهية، وما من ضراوة في الجحيم مثل امرأة في موضع ازدراء'.

ومع ذلك، لم أتخلَّ عن الأمل بالكامل - لا أفعل أبدًا. وبدلاً من التبرم، عُدتُ إلى العمل على قفل قيودي باستخدام الأسلاك التي أحضرها لي كاندوس. اقترب بتور فاك لمشاهدتي. جلست في مواجهة شجرتي، على مقربة منه، وانحنيت لأنجز عملي؛ كما انحنى بتور فاك أيضًا لمساعدتي. كنا نحاول إبقاء ما أحاول القيام به بعيدًا عن الأنظار. ونظرًا لأننا كنا في وقت متأخر ليلاً، كنا نأمل ألا يوجد أحد في الساحة غيرنا.

(٦٢) أشهر مسرحيات الكاتب المسرحي الإنجليزي وليام كونجريف - المترجمة.

وجدت التركيبة أخيراً، ولم يستغرق فتح قيد بتور فاك سوى بضع ثوانٍ. ثم تحدث صوت خلفنا.

سأل: «ماذا تفعلان؟ لماذا لستما نائمين؟».

سألته، وأنا أخفي السلك تحتي: «كيف يمكننا النوم والناس تزعجنا باستمرار؟».

قال الصوت: «قفا»، وعندما وقفنا سقطت الأغلال عن كاحلينا.

قال الصوت: «هذا ما ظننته». ثم رأيت قطعة الأسلاك ترتفع من الأرض وتختفي. «أنت ذكي جداً، لكنني لا أعتقد أن بتانتوس سوف يُقدر ذكاءك عندما يسمع عن هذا. سوف أُعين حارساً لمراقبتكما باستمرار منذ الآن فصاعداً».

«كل شيء يسير على نحو خاطئ»، قلت لبتور فاك بعد لحظة، بعد أن رأيت محارباً يدخل أحد الشوارع، على أمل أن يكون المحارب الذي تحدث إلينا ولا يوجد آخرون حولنا.

قال بتور فاك: «يبدو الأمر ميؤوساً منه، أليس كذلك؟».

«لا»، قاطعته، «ليس ونحن لا نزال أحياء».

جاء صوت كاندوس بعد الظهر، وجلس بجانبني. سأل: «كيف حالكما؟».

قلت: «فطيع».

سأل: «كيف؟».

قلت: «لا يمكنني التحدث؛ فعلى الأرجح يقف هنا حارس

للاستماع إلى كل ما أقول».

قال كاندوس: «لا يوجد أحد هنا غيرنا».

سألته: «كيف تعرف؟ فشعبك غير مرئي بالنسبة لك كما هو بالنسبة لي».

أوضح: «لقد تعلمنا الشعور بوجود الآخرين. لكنني لا أستطيع أن أخبرك كيف نقوم بذلك».

قلت: «لا يهم كيف تقوم بذلك، ما دمت على يقين بعدم وجود أحد هنا يستمع إلينا. سوف أتحدث معك بصراحة. لقد نجحت في إزالة قيودي وقيود بتور فاك. أمسكني شخص ما، وأخذ قطعة الأسلاك مني». لم أخبر كاندوس أنني قطعت السلك الذي أحضره إلى نصفين، وما زلت أحتفظ بالنصف الثاني في جيب حقيبتني. فما من فائدة في قول كل شيء تعرفه حتى إلى صديق.

سألني: «كيف كنت تأمل أساسًا في الهرب، حتى وإن فككت أغلالك؟».

قلت له: «كانت مجرد الخطوة الأولى. ليس لدينا خطة بالفعل، لكننا نعرف أننا لا يمكننا الهرب بالتأكيد ما دمنا مُكبّلين».

ضحك كاندوس. وقال: «هناك فكرة في كلامك». صمت للحظة ثم قال: «الفتاة التي قُبِضَ عليها معك».

سألته: «ماذا عنها؟».

أجاب: «أعطاها بتانتوس إلى موتوس؛ قام بذلك فجأة. ولا يعرف

أحد السبب؛ لأن بتانتوس لا يحب موتوس بوجه خاص».

إذا كان كاندوس لا يعرف السبب، فأعتقد أنني أعرفه. فقد تصورت دور روجاس الشيطاني سبباً - الغيرة وحش بلا قلب. سألته: «هل يمكن أن تقوم بشيء آخر من أجلي، كاندوس؟».

أجاب: «بكل سرور، إن كان بإمكانني».

قلت: «قد يبدو طلباً سخيًّا، وأرجوك ألا تطلب مني تفسيرًا. أريدك أن تذهب إلى روجاس وتخبرها أن لانا الجاثولية، الفتاة التي أعطاهما بتانتوس إلى موتوس، هي ابنة ابنتي». قد يبدو غريبًا لكم، أنتم سكان كوكب الأرض، أن روجاس يمكن أن تتعلق بحب جد، لكن عليك أن تتذكر أن المريخ ليس كوكب الأرض، وأنا لا أعرف كم أبلغ من العمر، جميع رجال كوكب الأرض الآخرين؛ أنا لا أعرف كم أبلغ من العمر، ولا أتذكر طفولتي. يبدو لي دائمًا أنني كنت موجودًا وأنا الشخص نفسه دون تغيير. فمظهري الآن لا يختلف عن مظهري عندما قاتلت مع الجيش الكونفيدرالي خلال الحرب الأهلية - كنت في حوالي الثلاثين من عمري. وهنا في برسوم لا تؤثر الاختلافات العمرية؛ حيث تمتد فترة العمر الطبيعية إلى حوالي ألف سنة، ولا تبدأ علامات الشيخوخة تظهر على الناس إلا قبل فترة وجيزة من موتهم. يمكنك أن تقع في حب فتاة جميلة في برسوم؛ وبقدر ما يتعلق الأمر بالمظهر، قد يكون عمرها ١٧ سنة أو ٧٠٠ سنة.

قال كاندوس: «أنا لا أفهم، بالطبع، لكنني سأفعل ما تطلبه».

قلت: «سأطلب منك الآن معروفًا آخر. وعدني بتانتوس بأنه

سيسمح لي بمبارزة موتوس، مع تأكيد أنه موتوس سيقتلني. هل توجد أي إمكانية للترتيب لخوض تلك المباراة اليوم؟».

قال كاندوس: «سوف يقتلك».

قلت: «ليس هذا ما سألته».

قال كاندوس: «لا أعرف كيف يمكنني تحقيق ذلك».

قلت مقترحًا: «إذا كانت دماء الرياضة تجري في عروق بتانتوس، ويحب المراهنة من حين لآخر، عليك أن تراهنه بأن موتوس إذا قاتلني وهو مرئي، فإنه لن يستطيع أن يقتلني وإنما يمكنني أن أقتله عندما أريد».

قال كاندوس: «لكنك لن تتمكن من ذلك. موتوس هو أفضل مبارز في برسوم. أنت ستقتل، وأنا سأخسر أموالي».

قلت: «كيف يمكنني إقناعك؟ أعرف أن بإمكانني قتل موتوس في معركة. إذا كان لدي أي شيء ثمين، لكنت أعطيته لك كضمان لرهانك».

قال بتور فاك: «أنا لدي شيء ثمين، ويمكنني المراهنة به وبكل شيء آخر ممكن لصالح دوتار سوجات». وضع يده في جيب حقيبته، وأخرج ميدالية رائعة مرصعة بالجواهر. قال لكاندوس: «هذه بقيمة فدية جيداك - خذها كضمان وراهن بقيمتها على دوتار سوجات».

اختفت الميدالية في ثانية، فعرفنا أن كاندوس مديده وأخذها.

قال صوت كاندوس: «لا بد أن أذهب وأفحصها، لأنني بالطبع لا أستطيع رؤيتها الآن لأنها أصبحت خفية. لن أتغيب كثيرًا».

قلت: «هذا موقف لطيف منك جدًّا، يا فور تاك، لا بد أن هذه الميدالية لا تُقدر بثمان».

أوضح فور تاك: «كان أحد أسلافي البعيدين جيدًا؛ وهذه الميدالية كانت ملكًا له، وما زالت مع العائلة منذ آلاف السنين».

قلت: «لا بد أنك تثق تمامًا في قدرتي على المباراة».

أجاب: «نعم؛ وحتى لو كنت أقل ثقة، كنت لأفعل نفس الشيء».

قلت: «هذه هي الصداقة، وأنا ممتن لك».

قال صوت بجانبني: «إنها لا تُقدر بثمان». عرفت أن كاندوس عاد.

«سأذهب على الفور لأرى ما يمكنني عمله بشأن المباراة».

قلت لتذكيره: «ولا تنسَ ما طلبت منك أن تقوله لروجاس».



الفصل (٨)

مضى الوقت متثاقلاً، بعد أن غادر كاندوس. أصبحنا بعد الظهر، في وقت متأخر جداً إلى حد جعلني أتأكد أنه فشل في مهمته. كنت جالساً أفكر بحزن في مصير لانا الجاثولية الذي قد يتحدد سريعاً. أعرف أنها ستقتل نفسها، وكنت عاجزاً عن الحيلولة دون هذه المأساة. وبينما كنت غارقاً في أعماق اليأس، شعرت بيدٍ توضع على كتفي. يد ناعمة، وقال صوت جميل: «لماذا لم تخبرني؟».

قلت: «أنت لم تعطيني فرصة؛ فقد ابتعدتِ دون إعطائي فرصة للشرح».

«أنا آسفة»، قال الصوت، «أعتذر عن الضرر الذي سببته للانا الجاثولية؛ والآن حكمت عليك بالموت».

سألتها: «ماذا تعنين؟».

«لقد أصدر بتانتوس أمره إلى موتوس بقتالك وقتلك».

ألقيت بذراعيّ حول روجاس وقبّلتها. لم أستطع كبح جماح نفسي، فقد كنت في قمة السعادة.

صحت: «جيد! على الرغم من أن كلينا لم يدرك ذلك حينذاك، فقد قدمت لي معروفًا كبيرًا».

سألتني: «ماذا تقصد؟».

«لقد أعطيتني فرصة الاشتباك مع موتوس في معركة عادلة؛ وأعرف الآن أن لانا الجاثولية ستكون في أمان - بقدر ما يتعلق الأمر بموتوس».

قالت روجاس بإصرار: «موتوس سوف يقتلك».

سألتها: «هل ستكونين هناك لمشاهدة المباراة؟».

قالت: «لا أريد أن أراك تُقتَل»، وتشبّثت بي بإحكام.

«لا داعي للقلق، لن أُقتَل؛ ولن يحصل موتوس أبدًا على لانا الجاثولية أو أي امرأة أخرى».

قال بتور فاك: «يمكنك إبلاغ أصدقائه البدء في حفر قبره فورًا».

قالت روجاس: «أأنت متأكد إلى هذا الحد؟».

قال بتور فاك: «لدينا الأميرة»؛ وهذا قول يماثل في أمريكا «كل شيء في الحقيقة». والتعبير الذي قاله بتور فاك مُشتق من لعبة الشطرنج البرسومي، الجيتان، حيث يفوز مَنْ يأخذ الأميرة وتنتهي اللعبة.

قالت روجاس: «أتمنى أن تكون مُحققًا. فقد شجعتني على الأقل للتصديق، وليس من الصعب تصديق أي شيء عن دوتار سوجات».

سألتها: «هل تعرفين موعد المباراة؟».

أجابت روجاس: «هذا المساء، أمام البلاط بأكمله في غرفة العرش بالقصر».

سألتها: «وبعد أن أقتله؟».

قالت روجاس: «عليك أن تخشى من ذلك أيضًا. سوف يغضب بتانتوس؛ فلن يقتصر الأمر على فقدانه أحد مقاتليه، وإنما سيخسر كذلك كل المال الذي راهن به في المباراة».

ثم أضافت: «الوقت يمر، وسرعان ما سيحين موعد المباراة. يجب أن أذهب الآن». رأيتها تفتح حقيبتى وتُسْقِطُ فيها شيئًا، ثم اختفت.

عرفت من طريققتها الخفية أنها لا ترغب في أن يعرف أي شخص ما وضعته في جيب حقيبتى، أو أنها وضعت أي شيء على الإطلاق؛ ولذا لم أتأكد من الأمر على الفور، خوفًا من وجود أحد يراقبنا وأثير شكوكه. بدأ يتملكني ضغط دائم من الشعور بوجود أعين خفية تراقبني وآذان خفية تستمع إلى كل كلمة أقولها؛ وأصبحت عصبيًا مثل قطرة لديها سبع قطط صغيرة.

بعد صمت طويل، قال بتور فاك: «ماذا ستفعل معها؟».

كنت أعرف ما يقصده؛ لأن نفس السؤال كان يثير قلقي. قلت: «إذا نجحنا في الخروج من هنا، سوف آخذها معي إلى هيليوم، وأترك لديجاه ثوريس مهمة إقناعها بوجود العديد من الرجال الأكثر جاذبية مني». فقد حدث من قبل أن وقعت نساء أخريات في حبي، ولن تكون المرة الأولى التي تحل فيها ديجاه ثوريس هذه الأمور. فهي تعرف أنها المرأة الوحيدة التي أحبها، بغض النظر عن عدد النساء اللاتي وقعن في حبي.

قال بتور فاك: «أنت رجل شجاع».

أجبت: «أنت تقول ذلك لأنك لا تعرف ديجاه ثوريس؛ ليس أنني رجل شجاع، بل هي امرأة حكيمة».

جعلني هذا الحديث أفكر فيها ثانية، على الرغم من أنني يجب أن أعترف أنها نادرًا ما تغيب عن فكري. أتخيلها الآن في قصرنا الرخامي في هيليوم، محاطين برجال ونساء رائعين يحتشدون في صالوناتنا. وأشعر بيدها في يدي ونحن نرقص الرقصات البرسومية الرائعة التي تحبها كثيرًا. ويمكنني رؤيتها كأنها تقف أمامي هذه اللحظة، وأرى ثوفيا البتارية وكارثوريس وتارا الهيليومية وجاهان الجاثولي. تلك المجموعة الرائعة من الرجال الوسيمين والنساء الجميلات المرتبطين بعلاقات الحب والزواج. يا للذكريات التي يثيرونها!

داعبت يد ناعمة خدي، وقال صوت متوتر وعصبي: «لا بد أن تعيش! لا بد أن تعيش من أجلي! سأعود في منتصف الليل، ويجب أن تكون هنا». ثم ذهبت.

لسبب ما أو آخر، لم أستطع تفسيره، هدأت أعصابي نتيجة لكلماتها.

لقد أعطتني كلماتها الثقة بأنني سأكون حرًا في منتصف الليل. وذكّرني وجودها أنها أسقطت شيئًا في جيب حقويتي، ففتحته وأدخلت يدي. لمست أصابعي عددًا من المواد الكروية، في حجم الرخام، وعرفت أنه سر الخفاء.

اقتربت من بتور فاك. وفتحت قفل أغلاله بالجزء المتبقي معي من الأسلاك، ثم أعطيته إحدى الكُرات التي تركتها لي روجاس.

انحنيت بالقرب من أذنه وهمست: «خذ هذا، وخلال ساعة ستصبح غير مرئي. اذهب إلى أقصى نهاية الساحة وانتظر. وعندما أعود، سأكون أنا أيضًا غير مرئي. وعندما أطلق هذا الصغير، أجبني». أطلقت صفيراً بالنعيمات الافتتاحية لنشيد هيليوم الوطني، وهي الإشارة التي كثيرًا ما نستخدمها أنا وديجاه ثوريس.

قال بتور فاك: «فهمت».

«ماذا فهمت؟»، سأل صوت.

اللعنة! كان هناك عدو خفي، والآن ذهبت جميع خططنا في أدراج الرياح. ترى ما القدر الذي سمعه الزميل؟ وماذا رأى؟ ارتجفت داخليًا، خوفًا من الإجابة. ثم شعرت بيدين عند كاحلي، ورأيت قيودي تنفتح.

«حسنًا»، كرر الصوت بشكل قاطع، «ماذا كان ما فهمته؟».

قلت: «كنت أخبر بتور فاك كيف سأقتل موتوس، وقال إنه فاهم تمامًا».

سألني الصوت: «هل تعتقد إذن أنك ستقتل موتوس؟ حسنًا، سوف تُدهش كثيرًا لبضع دقائق، وبعدها ستكون ميتًا. تعال معي؛ فالمبارزة على وشك أن تبدأ».

تنفست الصعداء. من الواضح أن الزميل لم يسمع أو يرى شيئًا مهمًا.

قلت: «أراك لاحقاً، بتورفاك».

أجاب: «إلى اللقاء، وحظاً سعيداً». دخلت بعد ذلك، برفقة المحارب، إلى أحد شوارع المدينة في طريقي إلى غرفة عرش بتانتوس، جيداك إينفاك.



الفصل (٩)

قال المحارب الذي يسير إلى جانبي، وكان مرئيًا لي الآن: «تظن
إذن أنك ماهر في استخدام السيف؟».

أجبت: «نعم».

«حسنًا، ستتلقى الليلة درسًا في المبارزة. لكنه لن يفيدك كثيرًا
بالطبع، لأنك ستموت في النهاية».

قلت: «يا له من تشجيع؛ لكنك إذا كنت مُعجبًا بموتوس، أقترح أن
تحتفظ بتشجيعك له. فهو سيحتاجه».

قال المحارب: «أنا لست مُعجبًا بموتوس، ولا يوجد أحد مُعجب
بموتوس. إنه كالوت، مع اعتذاري للكالوت لمقارنته بهم. أتمنى أن
تقتله، لكن لن تستطيع بالطبع. إنه يقتل مبارزه دائمًا، لكنه مخادع.
احترس من ذلك».

سألته: «هل تعني أنه لا يقاتل بشرف؟».

قال المحارب: «لم يُعلمه أحد أبدًا هذه الكلمة».

قلت: «حسنًا، شكرًا لك على تحذيرك لي؛ وأتمنى أن تبقى لمشاهدة المعركة، ربما سوف تُفاجأ».

قال: «سأبقى بالتأكيد للمشاهدة، لن يفوتني ذلك. لكنني لن أفاجأ؛ لأنني أعرف ما سيحدث. سوف يلعب معك لخمس دقائق، وبعدها سيقتلك؛ وهذا لن يُسعد بتانتوس الذي يحب المبارزات الطويلة».

قلت: «أوه، يحب المبارزات الطويلة، فعلاً؟ حسنًا، سي شاهد إذن مباراة طويلة». وهذا يناسب خططي تمامًا. كنت قد ابتلعت كرة إخفاء قبل أن يفك المحارب أصفادي مباشرة، وأعرف أن تأثيرها يبدأ بعد حوالي ساعة. قد يصعب إطالة المباراة لمدة ساعة، لكنني كنت آمل في الحصول على القليل من الوقت بالمطالبة قبل أن تبدأ المباراة. وقد حققت ذلك الآن بالسير ببطء لقتل أكبر قدر ممكن من الوقت، كما توقفت مرتين لتشديد رباط صندلي.

سألني المحارب: «ما الأمر؟ لماذا تسير ببطء؟ هل أنت خائف؟». أجبت: «أنا مرعوب. فقد أخبرني الجميع أن موتوس سوف يقتلني بسهولة. ولذا، هل تعتقد أنني أريد أن أركض إلى موتي؟».

قال المحارب: «حسنًا، لا ألوّمك، ولن أستعجلك».

أبدت ملاحظة: «الكثير منكم، أنتم الإينفاك، زملاء جيدون جدًا».

قال: «بالطبع. ماذا يجعلك تتصور غير ذلك؟».

أجبت: «بنوكسوس، وموتوس، وبتانتوس».

ابتسم المحارب قائلاً: «أعتقد أنك زميل شديد الذكاء، بحيث فهمتهم بسرعة».

قلت: «تبدو كراهية الجميع لهم؛ لماذا لا تتخلصون منهم؟ سأبدأ الليلة بالتخلص من موتوس».

قال المحارب: «ربما أنت مبارز جيد، لكنك تتفاخر كثيرًا. ولم أعرف من قبل أي متفاخر تمكن من 'أخذ الأميرة'».

قلت: «أنا لا أتفاخر؛ بل مجرد أذكر الحقائق». في واقع الأمر، أدرك في كثير من الأحيان أن حديثي عن مهارتي في المبارزة قد يبدو للآخرين تفاخرًا، لكنني لا أشعر في الحقيقة أنني أتفاخر. أعرف أنني أعظم مبارز في عالمين. من الغباء أن أبذو خجولًا، وأمص أصبعي، وأقول إنني لست مبارزًا ماهرًا. أنا وكل من شاهدني أقاتل يعرف أنني ماهر. هل من الغطرسة قول حقيقة بسيطة؟ لقد أنقذت مهارتي عددًا من الأرواح؛ لأن الشباب المتهور لا يكف عن مواجهتي.

يمكنك القول إن القتال هو عملي طوال حياتي. لا يوجد سلاح فتاك قيد الاستخدام ولا أتفوق في استخدامه؛ لكن السيف هو سلاح المفضل. أحب النصل الجيد، وأحب المعركة الجيدة، وتمنيت أن أجدهما الليلة.

تمنيت أن يتمتع موتوس بكل ما قالوه عنه. ربما سيطرت هذه الفكرة على وعي بعض الرجال، لكنها لم تتبادر إلى ذهني إطلاقًا. يقولون إن الإفراط في الثقة يؤدي غالبًا إلى الهزيمة، لكنني لا أعتقد أنني بالغت أبدًا في ثقتي. أنا مجرد واثق تمامًا، وأرى وجود اختلافات في هذا العالم.

وصلنا أخيرًا إلى قاعة العرش. لم تكن نفس القاعة التي رأيت فيها بتانتوس أول مرة؛ بل كانت أكبر بكثير، وأكثر زخرفة. ارتفعت منصة عند أحد جوانبها، وفوقها عرشين. لا يزال العرشان خاليين؛ فلم يظهر الجيداك والجيدارة بعد. ازدحم المستوى الأرضي من القاعة بالنبلاء ونسائهم. وامتدت على طول جوانب القاعة الثلاثة عدة مستويات من المقاعد الطويلة، تبدو مؤقتة؛ فمن الواضح أنهم أحضروها خصيصًا لهذه المناسبة. كانت مُغطاة بأقمشة ووسائد مبهجة، لكنها لا تزال فارغة؛ فلا يمكن أن يجلس أحد، بطبيعة الحال، إلا بعد دخول الجيداك وجلوسه.

أثار دخولي إلى القاعة انتباه بعض الناس، وسرعان ما توجهت العديد من الأعين نحوي.

بدوت باهتًا في عتادي القتالي البالي، وسط مجموعة العناد الرائعة بجلودها المنحوتة والمرصعة بالجواهر. الإينفاك شعب وسيم، مثله مثل معظم الأمم الحمراء في برسوم. وكان هؤلاء الحاضرون من هذه الأمة الصغيرة في قاعة العرش، والمُختفين في غابة الرجال المفقودين، يتمتعون بمظهر شجاع تحت الأضواء الغربية الجميلة التي تتيح رؤيتهم. سمعت العديد من التعليقات عني. قالت امرأة: «لا يبدو برسوميًا على الإطلاق».

وقال صوت جميل، تعرفت عليه فورًا: «إنه وسيم للغاية»، ونظرت للمرة الثانية في وجه روجاس. أراها ترتعش كلما التقت أعيننا. كانت فتاة جميلة، أجمل من جميع النساء في القاعة، أنا متأكد.

قالت لامرأة ورجلين يقفون معها: «فلنذهب لتحدث معه».

قالت المرأة: «هذا مثير للاهتمام»، وسار الأربعة منهم نحوي.

نظرت روجاس في عيني مباشرة، وسألني دون أي لمحة توضع معرفتنا: «ما اسمك؟».

أجبت: «دوتار سوجات».

قال أحد الرجلين: «سلطان سوات، مهما كان السلطان وأيضا كانت سوات». بالكاد ما أمكنني كبح جماح ابتسامة.

استفسرت المرأة: «أين تقع سوات؟».

أجبت: «في الهند».

قال أحد الرجلين: «أعتقد أن الزميل يحاول أن يسخر منا. إنه يخترع هذه الأسماء؛ إذ لا توجد أماكن بهذه الأسماء في برسوم».

أجبت عليه: «لم أقل إنها في برسوم. بل على بُعد ٤٣ مليون ميلاً من برسوم».

سألني الرجل: «إذا لم تكن في برسوم، فأين تقع؟».

أجبت: «على جاسوم».

قال الرجل: «هيا، لقد اكتفيت من وقاحة هذا العبد».

قالت المرأة: «أجده مثيراً جداً للاهتمام».

وقالت روجاس: «وأنا كذلك».

قال الرجل: «حسناً، استمتعا به الآن؛ فسوف يموت خلال بضعة دقائق».

سألته: «هل راهنت على ذلك؟».

قال متذمرًا: «لم أتمكن من العثور على أي شخص للمراهنة ضد موتوس. كاندوس هو الأحمق الوحيد الذي قام بذلك، وغطى الجيداك رهانه بأكمله».

قلت: «هذا سيئ للغاية؛ أن يفقد شخص فرصة كسب بعض المال». سألتني روجاس، وهي تحاول إخفاء الحماسة في صوتها: «هل تعتقد أنك ستفوز؟».

أجبت: «سأفوز بالطبع. أنا دائمًا أفوز. يبدو أنك فتاة ذكية جدًا؛ إذا جاز لي أن أتحدث معك بمفردك، سأقول لك سرًا صغيرًا».

أدركت أن لديّ شيئًا أريد قوله لها سرًا. لكنني أعترف أنني وضعتها في موقف مُحرج. بيد أن المرأة الأخرى ساعدتني.

قالت وهي تحت روجاس: «هيا، يا روجاس. أعتقد من الممتع معرفة ما لديه ليقوله».

وهكذا تشجعت روجاس، وأخذتني إلى جانب، وسألتني: «ما هو؟».

قلت لها: «لانا الجاثولية، كيف سنحصل عليها؟».

حبست أنفاسها، وقالت: «أنا لم أفكر في ذلك».

سألتها: «هل يمكنك إعطاءها كرة الخفاء الآن؟».

قالت: «من أجلك، نعم. سأفعل أي شيء من أجلك».

«جيد. وأخبريها أن تخرج إلى ساحة مساكن الإماماء. وسوف تسمع صفييري بعد منتصف الليل بقليل. وسوف تتعرف عليه، وعندئذ تجيب وتنتظرنني. هل ستفعلين ذلك من أجلي، يا روجاس؟».

«نعم، ولكن ما تبرير مغادرتي الذي أقوله لأصدقائي؟».

قلت: «أخبريهم أنك ذاهبة للحصول على بعض المال للرهان لصالحي».

ابتسمت روجاس، وقالت: «هذه فكرة رائعة». وبعد لحظة كانت قد قدمت مبرراتها إلى أصدقائها، ورأيتهما تغادر قاعة العرش.



الفصل (١٠)

كان اضطراب الحشد يتنامى انتظارًا للجيداك، على أن هذا التأخير أسعدني كثيرًا؛ لأن من شأنه تقليص الفترة التي يجب أن أنتظرها قبل أن يسري مفعول الكرة وأصبح خفيًا.

يبدو الآن أن كل شيء قد ترتب بشكل جيد؛ فعندما رأيت روجاس تعود إلى قاعة العرش وتعطيني ابتسامة سريعة عابرة، اقتنعت أن آخر همومي على وشك الانتهاء. لم يكن في ذهني بالفعل سوى شك واحد متبقٍّ، وهو ما قد يحدث لي بعد أن أقتل موتوس. ليس لدي أي شك في غضب بتانتوس؛ وكونه طاغية يتسم بردود أفعال الطاغية، فقد يأمر بوفاتي على الفور.

لذلك، ومع توقعي هذا، قررت أن أركض إلى أقرب ساحة؛ وإذا كان الوقت الكافي للتخفي قد انقضى منذ تناولتي لكرة الإخفاء، لن يتطلب الأمر سوى الخروج إلى العراء للإفلات منهم. وأعرف أنني سأتمكن من الهرب بمجرد وصولي إلى إحدى الساحات مُختفيًا.

دوت الأبواق فجأة، وتراجع الناس إلى جوانب قاعة العرش.

دخل بتانتوس والجيدارة، بعد عازفي الأبواق، إلى قاعة العرش، برفقة مجموعة من رجال البلاط يرتدون أغطية فاخرة.

نظرت إلى الساعة الكبيرة المعلقة على الحائط. الوقت الآن الزود الثامن تمامًا، ما يعادل الساعة العاشرة و٤٨ دقيقة مساءً بتوقيت كوكب الأرض. سوف تكتسب لانا الجاثولية وضع التخفي بحلول منتصف الليل - إذا كانت روجاس قد أعطتها الكرة. هذا هو السؤال. على أن روجاس لم تخذلني حتى الآن. ولديّ اعتقاد راسخ أنها أدت دورها.

سار الزوجان الملكيَّان ببطء عبر القاعة إلى المنصة، وجلسا على عرشيهما. ووجد النبلاء ونسائهم أماكنهم على المقاعد الطويلة.

ظهر موتوس من مكان ما. أصبحت أنا والمحارب الذي يحرسني، وموتوس والنبيل الذي يرافقه، بمفردنا على أرضية الحلبة. ثم ظهر رجل خامس، اكتشفت لاحقاً أنه ما قد تسمونه حكماً أو مُحكِّماً. استدعاني لأتقدم، وتقدمنا نحن الخمسة إلى العرش ووقفنا أمامه.

قال مخاطباً بتانتوس: «أحضرت لك النبيل موتوس؛ ودوتار سوجات، سلطان سوات، اللذين سيتقاتلان حتى الموت بالسيوف الطويلة».

أوماً الجيداك، وقال: «فليبدأ القتال»، ثم أضاف وهو يصرخ نحوي: «وتأكد أنك تقاتل بشرف».

قلت: «أعتقد أن موتوس لا يقاتل بشرف، لكن هذا لا يهمني. سأقتله مهما كانت طريقة قتاله».

كان الحَكَم بجواري تقريباً وشعر بالإحراج. همس: «عليك بالصمت، يا عبد!» كان يحمل سيفاً إضافياً سلمه إليّ، ثم أوما لنا كي نبدأ باشتباك سيوفنا.

بيد أن موتوس لم يلتزم بهذه العادة الشريفة، ووجه طعنة إلى قلبي. تفاديت طعنته وأنا أقول له: «هذا تصرف غير حكيم، ياموتوس، ولذا سوف أزيد معاناتك قليلاً».

قال الحَكَم: «الصمت يا عبد».

أجبت: «عليك إسكات نفسك، يا كالوت، وابتعد عن طريقي؛ فليس من المفترض أن أقاتل رجلين»، ثم وخزت الجانب الأيمن من صدر موتوس بحيث نzf، وواصلت قائلاً: «وإنما يسعدني أيضاً إذا سحبتي سيفك».

اقترب مني موتووس مجدداً، لكنه كان حذراً، كما كان مبارزاً جيداً.

قلت: «وجهك بأكمله أسود ومتورم، يا موتوس. يبدو أن شخصاً ضربك؛ وهذا ما يناله ابن كالوت عندما ير كل رجلاً أعمى».

صرخ الحَكَم: «اصمت».

قاتلت على جانب الدفاع في البداية، وعيني على الساعة الكبيرة. مر أكثر من نصف ساعة منذ أن ابتلعت كرة التخفي، وقد كانت خطتي أن أترك موتوس حياً لنصف ساعة أخرى حتى أتأكد تماماً أنني اكتسبت وضع التخفي المحتمل قبل أن أجهز عليه.

نظرًا لأنني كنت أقاتل في وضع الدفاع، أجبرت موتوس على القيام بالعمل كله. وبتكراري تجنبت أكثر طعناته شرًا، وتركتها تنزلق على نصلي بحيث يضطر إلى القفز بسرعة إلى الوراء، عانى موتوس من توتر عصبي وإجهاد بدني شديدين؛ وأصبح العرق الآن يتدفق على جسمه. بدأت ألمسه هنا وهناك؛ واختلط الدم مع العرق إلى أن أصبح المشهد يدعو إلى الأسف، على الرغم من أنه لم يتلقَّ أي جرح شديد في أي مكان.

كان الحشد بأكمله مؤيدًا لموتوس، أعني كل من يرفعون أصواتهم. أعرف اثنين على الأقل يأملون أن أفوز، وأتصور أن هناك العديد من الآخرين الذين يكرهون موتوس لكنهم لا يجروؤن على الهتاف لأجنبي وعبد.

قلت له: «أنت مُتعب، يا موتوس، أليس من الأفضل أن تجهز عليَّ الآن قبل أن تُستنفَد كليًا؟».

عاد لمواجهتي وقال: «سوف أجهز عليك، يا عبد، إذا صمتَ وقاتلت».

قلت له بعد أن ألقيت نظرة خاطفة على الساعة: «لم يحن الوقت لقتلك بعد، يا موتوس، سأقتلك عندما تشير الساعة إلى الزات الأحد عشر بعد الزود الثامن».

صرخ الحَكم: «صمًّا».

سأل بتانتوس بصوت جهوري: «ماذا يقول العبد؟».

صرخت في وجهه: «قلت إنني سأقتل موتوس عندما تشير الساعة إلى الزات الأحد عشر بعد الزود الثامن بالضبط. راقب الساعة، يا بتانتوس؛ ففي تلك اللحظة ستخسر رهانك ويخسر موتوس حياته». قال الجيداك آمرًا: «صمتًا».

همست: «والآن، يا موتوس، سوف أدعك ترى كيف يمكنني أن أقتلك بسهولة عندما يحين الوقت»، وهنا أطحت بسلاحه، وسقط سيفه مصلصلاً على الأرض.

لهث الجمهور بقوة؛ إذ من حقي، وفقاً لقواعد هذا النوع من المبارزة، أن أطعن موتوس في قلبه. لكنني بالأحرى وضعت سيفي على الأرض وتحولت إلى الحَكم.

وقلت: «اذهب لإحضار سيف موتوس، وأعطه له».

كان موتوس يرتجف قليلاً. رأيت اهتزاز ركبتيه لا إرادياً. وعرفت عندئذ ما كنت أفترضه - شحب لون موتوس.

وعندما كان الحَكم يستعيد سيف موتوس، سرت موجة صغيرة من التصفيق خلال المدرجات. بيد أن بتانتوس جلس متجهماً بشراسة؛ أخشى أنه لم يكن مُعجباً بي.

عندما عاد السيف إلى موتوس، هاجمني بشراسة؛ وكنت أعرف تماماً ما يدور في ذهنه: كان يريد قتلي على الفور.

أطحت بسلاحه ثانية. وأنزلت سيفي مرة أخرى، بينما ركض الحَكم لإحضار النصل دون انتظار أن يُطلب منه ذلك.

أصبح موتوس أكثر حذرًا الآن. أدركت أنه كنت يحاول دفعي إلى موضع معين يريدني فيه. لاحظت أن الحكم لم يعد في نطاق رؤيتي، وبلمحة سريعة وجدته يقف خلفي مباشرة. لم يكن الحدس هو ما دلني على سبب ذلك؛ فقد شاهدت تلك الخدعة من قبل، يمارسها مبارز محتال مع شريك له. سمعت بعض التذمر يتصاعد من المدرجات؛ فعرفت أنني على حق، فلا يمكن لأي شخص شريف أن يشهد ذلك دون التعبير عن رفضه.

عندما يهجم موتوس، على أمل أن يجبرني على التراجع ويكون الحكم خلفي 'بطريق الخطأ'، فسوف أصطدم به وهنا يضعني موتوس تحت رحمته. إنها خدعة حقيرة، ولا بد أن بتانتوس عرف بأنها ستحدث، لكنه لم يتحرك لمنعها.

راقبت عيني موتوس، وعرفت منهما نيته تجاهي قبل هجومه بلحظة، حيث اندفع مُلقياً بثقله كله. انحنيت قليلاً توقّعاً لما سيفعله، وحملتني جانباً عضلاتي المنتمية إلى كوكب الأرض، وغاص سيف موتوس حتى غمده في جسم الحكم.

ساد الهرج للحظة في قاعة العرش. وقف الجمهور بأكمله في المدرجات، وتصاعدت هتافاته وتذمراته، وأشعرني شيئاً ما أن الهتافات موجهة لي والتذمر موجه لموتوس والحكم.

توترت أعصاب موتوس بدرجة رهيبة وهو يهز نصله لسحبه من جسم الرجل الميت، لكنني لم أمهله. اندفعت نحوه بقوة، وإن لم يكن لقتله بعد، وأصوبته بجرح بالغ في فكه المتورم.

قلت: «لن تكون جثتك حسنة المظهر الآن، يا موتوس. وقبل أن أقتلك، سيزداد مظهرك سوءًا».

قال: «أنت كالوت!»، ثم اندفع نحوي في هجوم عنيف. تفاديت كل طعنة وإصابة، ونسجت شبكة من الصُّلب حوله بحيث أجرحه ويسيل دمه من بقعة جديدة في جسده، بعد كل مرة أتفادى فيها طعنته. قلت: «أمامك ٣ زات تعيشهم؛ فمن الأفضل أن تستفيد بهم قدر الإمكان».

اندفع نحوي كالمجنون؛ لكنني خطوات جانبًا، وعندما استدار اقتلعت إحدى أذنيه بدقة مثلما يمكن لجراح أن يفعل - تصورت أنه سيفقد الوعي؛ لأن ركبتيه بدأتا تنهاران تحته، وترنح لوهلة.

انتظرته حتى يستعيد السيطرة على نفسه، ثم توجهت نحوه ثانية. حاولت نحت الأحرف الأولى من اسمي على صدره، لكنني لم أجد مكانًا كافيًا؛ إذ كان جسمه، من الخصر إلى أعلى، يشبه طبق هامبورجر نبيء.

أصبحت الأرضية الآن مُغطاة بدمه. ولما اندفع نحوي بشراسة ثانية، انزلق وسقط. رقد للحظة صارخًا في وجهي، وكنت على يقين أنه يتوقع مني أن أجهز عليه؛ لكنني قلت له بالأحرى: «لديك زات ونصف لتعيشها، يا موتوس».

وقف مترنحًا وحاول إلقاء نفسه فوقي، وهو يصرخ باللعنات. أعتقد أن موتوس جن جنونه تمامًا الآن من الألم والرعب. لم أشعر بأي

تعاطف معه - كان جردًا، ويقا تل الآن كجر ذ محاصر.

قلت له: «الأرضية هنا زلقة للغاية، دعنا نذهب أمام عرش الجيد اك
- وأنا واثق أنه يريد مشاهدة النهاية».

قمت بتحريكه في موقعه، وسندته على الأرض إلى أن وقفنا مباشرة
أمام بتانتوس.

نادرًا ما عاقبت رجلًا مثلما عاقبت موتوس؛ لكنني شعرت أنه
يستحق ذلك. كنت بمثابة المدعي، والنائب العام، وهيئة المحلفين،
والقاضي؛ وكنت أيضًا الجلاد.

كان موتوس يثرثر، ويوجه نحوي طعنات عقيمة بنصله. وكان
بتانتوس يصرخ في وجهي، الجمهور يحبس أنفاسه بتوتر من التوقعات.
رأيت العديد من الأعين تنظر إلى الساعة.

فقلت: «تال آخر يا موتوس»؛ والتال حوالي ثمانية أعشار الثانية
بمقاييس كوكب الأرض.

وهنا استدار موتوس فجأة وركض صارخًا نحو المدخل الكبير
الذي يؤدي إلى قاعة العرش. وقف الجمهور ثانية، وارتفعت صيحات
وهتافات: «جبان!».

كان المتفق أنه قتال حتى الموت، وراهن بتانتوس أنني لن أقتل
موتوس. خشيت أنني إذا لم أقتله، أن يطالب بتانتوس بالمال؛ ولذلك
خاطرت بكل شيء في الفن الذي مارسته في أغلب الأحيان للمتعة.
رفعت يدي التي تحمل السيف إلى أعلى خلف كتفي اليمنى، ثم

أحضرتها إلى الأمام وأنا ألقي بالسيف، مع رأسه أولاً، بكل قوتي. طار
السيف كسهم سريع، وغاص أسفل كتف موتوس اليُسرى؛ وذلك في
الزات الأحد عشر من الزود الثامن بالضبط.

* * *

الفصل (١١)

استدرت وانحنيت أمام بتانتوس، دون وجود السيف معي لتحيته به. كان يجب أن يُقدر هذه المجاملة المتعارف عليها، لكنه لم يفعل أي شيء من هذا القبيل، بل صرخ في وجهي ووقف. وقفت الجيدارة أيضًا؛ وسارا والأبواق أمامهما والحاشية خلفهما إلى خارج قاعة العرش، مع اضطرابهم جميعًا للدوران مسافة كبيرة تجنبًا للدماء والجثتين.

وبعد مغادرتهم، جاء المحارب الذي جلبني من الساحة ولمس ذراعي. قال: «تعال. كل ما ستحصل عليه بعد كل ذلك هو تقييدك في شجرتك ثانية».

أجبت، وأنا أرافقه عبر قاعة العرش: «لقد فزت بأكثر من ذلك بكثير؛ فقد أراحني الانتقام من ركلة جبانة».

وعندما وصلنا إلى المدخل، بدأ أحدهم بالهتاف وتبعه عمليًا الجمهور كله. قال المحارب: «هذه مظاهرة غير عادية، لكنك تستحقها. لم يرَ أحد في برسوم أبدًا مبارزة مثل هذه - وكنت أعتقد أنك تتفاخر!»، وضحك.

أعرف أنه من الضروري أن نعبر ساحتين قبل أن نصل إلى الساحة التي كنت محبوبًا فيها؛ وأدركت أنني إذا اختفيت فجأةً أمام أعين المحارب، سيعرف أنني حصلت على كُرات الاختفاء؛ ولأنه لن يتمكن بالطبع من إيجادني، سوف يبدأون البحث ويعرقلون خطط هروبنا. وإذا عرفوا أنني أتحرك براحتي وغير مرئي، من الطبيعي أن يكون وضع حارس عند طائرتي هو أول الأشياء التي يقومون بها.

بيد أنهم إذا تصوروا أنني هربت وحسب، ولست غير مرئي، سيشعرون أنهم بحاجة إلى البحث عني وإيجادني بسرعة. ويمكنهم بالطبع، في هذه الحالة أيضًا، وضع حارس عند الطائرة؛ لكنه لن يكون في حالة تأهب، وعندئذ لا يزال بإمكاننا الصعود إلى متن السفينة والطيران قبل أنهم يدركوا وجودنا.

عندما اقتربنا من الساحة الأولى، انفصلت فجأةً عن حارسي وركضت بكل سرعتي كشخص ينتمي إلى كوكب الأرض. صاح المحارب لكي أتوقف، وبدأ يركض خلفي. وصلت إلى مدخل الساحة، وتظاهرت أنني أختبئ وراء زاوية، وهي تُخفيني منه بالطبع.

لا بد أن أعترف أن قلبي كان يخفق بشدة خلال هذا السباق القصير؛ فلم أكن أعرف، بطبيعة الحال، ما إذا كنت قد أصبحت خفيًا أم لا.

على أنني اختفيت تمامًا في لحظة تركي الممر المُضاء؛ إذ لم أتمكن من رؤية أي جزء من جسمي - كان أغرب إحساس شعرت به على الإطلاق.

وضعت خططي، وركضت الآن إلى أقصى نهاية الساحة، ثم قفزت بخفة إلى سطح المدينة.

سمعت صوت المحارب الحارس وهو يركض وينادي؛ فمن المؤكد أن اختفائي أدهشه؛ لأنه لا يعرف أنني تمكنت من أن أصبح غير مرئي، ولا توجد بالفعل أي وسيلة ليعرف ذلك، إلا بناء على نظرية أنني ركضت إلى مدخل شارع آخر. بيد أنه على الأرجح كان واثقاً من أنني لم أحصل على وقت كافٍ للقيام بذلك.

حسنًا، لم أهتم به كثيرًا أو بكيفية تفكيره؛ بل تحركت بالأحرى عبر السطح بحثًا عن الساحة التي ينتظرني فيها بتورفاك، وحيث كنت أتوقع أن أقابل روجاس في منتصف الليل؛ وكان الوقت يقترب جدًا مما نسميه منتصف الليل - منتصف الليل البرسومي هو في الزات الخامس والعشرين بعد الزود الثامن.

ينقسم يوم المريخ إلى عشرة أجزاء متساوية يُسمى كل منها زود؛ ويضم الزود خمسين فترة أقصر تسمى زات، أي أن الزود يتكون من ٥٠ زات؛ وينقسم كل زات إلى ٢٠٠ فترة زمنية قصيرة تُسمى تال، أي أن الزات الواحد يتكون من ٢٠٠ تال. توضع على أقراص ساعاتهم أربع دوائر مركزية. وتوضع بين الدائرة الداخلية والدائرة التالية الخارجية علامات من ١ إلى ١٠ للدلالة على الزود؛ وتوضع في الدائرة التالية علامات من ١ إلى ٥٠ بين كل زودين، للدلالة على الزات؛ وتوضع في الدائرة الخارجية ٢٠٠ علامة تدل على الزات، وتقع بين أنصاف الأقطار التي تمر عبر أرقام الزود، وتمتد إلى المحيط الخارجي للقرص. كما

تضم الساعة ثلاثة مؤشرات مختلفة الأطوال والألوان؛ تشير أحدها إلى الزود، والثاني إلى الزات، والثالث وهو الأطول يشير إلى التال (٦٣).

لم أجد أي صعوبة في العثور على الساحة التي كنت مُقيداً فيها؛ وأطلقت الصغير بمجرد وصولي، وأجابني فور تارك. نزلت إلى الساحة، وأطلقت الصغير ثانية. وعندما أجاب فور تارك، تلمست حولي إلى أن اصطدمت به.

قال: «يبدو مظهرك جيداً»، وضحكنا. واصل قائلاً: «لقد استغرقت وقتاً أطول مما كنت تتوقع للتخلص من موتوس».

أوضحت: «اضطرت إلى إطالة المدة للتأكد من أنني غير مرئي عند عودتي إلى هنا».

سألني بتورفاك: «والآن ماذا؟».

تحسست حتى وجدت رأسه، ووضعت شفتي بالقرب من إحدى أذنيه وهمست: «بعد أن تأتي روجاس، سنعب السقف إلى مساكن الإماء لإحضار لانا الجاثولية. وفي غضون ذلك، يمكنك تسلق هذه الشجرة التي تصل إلى السطح، وتنتظر مجيئنا.

قال: «أطلق صغيرك عندما تأتون»، ثم تركني.

اكتشفت أن الخفاء مُزعج للغاية. لا يمكنني رؤية أي جزء من جسدي، كنت مجرد صوت دون مادة مرئية - صوت يقف في ساحة مهجورة، ربما تكون مملوءة بالأعداء، في حدود معرفتي. ليس

(٦٣) يوجد أمامي الرسم التخطيطي للساعة المريخية، رسمه جون كارتر منذ سنوات عديدة - ملحوظة من محرر النسخة الإنجليزية الأصلية.

بمقدوري حتى أن أسمعهم إذا كان أي منهم موجودًا؛ فقد اتخذ الإينفاك الاحتياطات اللازمة لتغطية جميع الأجزاء المعدنية من أدواتهم، بحيث لا يُسمع صوت قعقة المعادن المعتادة عندما يتحركون.

ولعلمي أنهم لا بد شرعوا في البحث عني، شعرت بأنه من المؤكد وجود محاربين إينفاك في الساحة، على الرغم من عدم سماعي أو رؤيتي أي شخص.

انتظرت روجاس، وقررت كاحتياط عدم التحرك خشية الاصطدام عن غير قصد بشخص قد يطلب مني تحديد هويتي. لكني لا أستطيع منع أي شخص من الارتطام بي، وهذا بالضبط ما حدث. شعرت بيدني على كتفي، وسألني صوت فظ: «مَن أنت؟».

يا له من مأزق. ماذا أفعل؟ تشككت في إمكانية تعاملتي بوصفي رجلًا من الإينفاك - أنا لا أعرف عنهم سوى القليل جدًا حتى أنجح في ذلك؛ ولذا فعلت أفضل شيء آخر تبادر إلى ذهني.

قلت بصوت يوحى بالقبور: «أنا شبح موتوس. وأبحث عن الرجل الذي قتلني، لكنه ليس هنا».

أبعدت اليدان قبضتها عني، وشعرت بأن الزميل يتعد عني. ثم قال صوت آخر: «شبح موتوس، كلا - أنا أعرف هذا الصوت، إنه صوت العبد الذي قتل موتوس. اقبضوا عليه!»

قفزت إلى الجانب، فوجدتني بين ذراعي صوت آخر، وأمسك بي صائحًا: «لقد قبضت عليه! كيف أمكنك الحصول على أسرار الخفاء، أيها العبد؟».

تلمست يدي اليسرى مقبض سيف الزميل؛ وعندما وجدته قلت:
«أنت أخطأت»، وأغمدت السيف في قلب الصوت.

أطلق صرخة حادة واحدة، تحررت بعدها. حملت سيفي بحيث
كان رأسه عاليًا واستدرت، ثم ركضت إلى الشجرة التي تسلكها بتور
فاك إلى السطح. اصطدم إحدى كتفيَّ بجسم، لكنني وصلت إلى الشجرة
بأمان.

وخلال تسلقي بحرص إلى فرع منخفض، حتى لا أكشف عن
وجودي باهتزاز أوراق الشجر، سمعت صفيّرًا منخفضًا. كانت
روجاس.

سأل صوت في مكان ما من الساحة: «من أطلق هذا الصفيّر؟». لم
يرد أحد.

ما من توقيت أسوأ كان يمكن أن تأتي فيه روجاس. لم أرد عليها؛
ولم أكن أعرف ماذا أفعل، لكن من الواضح أن بتور فاك كان يعرف
ماذا يفعل، فقد رد عليها بصفيّر. لا بد أنه تصور أنني أنا من يطلق
الإشارة له.

صاح صوت: «إنهم على السطح! أسرع! فلتسلق تلك الشجرة!».
كانت هذه هي الشجرة الوحيدة التي تصل إلى السطح؛ فإذا بقيت
فوقها، سوف يكتشفونني بالتأكيد. لم يكن أمامي سوى شيء واحد،
وهو الصعود إلى السطح. وقد فعلت ذلك بأسرع ما يمكن.

لم أكن قد أكملت ٦ خطوات بعد أن وصلت قبل أن أصطدم
بشخص.

همست: «زودانجا؟»، فلم أرغب في ذكر اسم بتور فاك، لكنني
عرفت أنه سيتفهم الأمر إذا ذكرت اسم البلد الذي جاء منه.
أجاب: «نعم».

«عليك أن تعثر على الطائرة، وابقَ بالقرب منها إلى أن آتي». ضغط
على ذراعي ليوضح أنه فهم، ثم ذهب.

رأيت الشجرة التي تسلقتها تهتز بعنف، عرفت بالتالي أن عددًا من
المحاربين يتسلقونها سعيًا للإمساك بي، على الرغم من أنني لا أعرف
كيف يتوقعون العثور عليّ.

كان وضعًا مذهلًا؛ لا بد أن عددًا لا يقل عن دزينة من الرجال على
السطح، وربما لا يزال هناك آخرون في الساحة حيث توجد روجاس.
على أن كلاً من السطح والساحة كان يبدو مهجورًا - لا يمكن للعين
أو الأذن تصور وجود أي كائن حي؛ إلا إذا تحدث شخص وبدد هذا
الوهم. سمعت الآن صوتًا على مسافة قصيرة. «ربما ذهب في هذا
الطريق؛ إذ إن سور المدينة يقع أقرب في هذا الاتجاه. انتشروا ومشطوا
السطح كله، وصولًا إلى سور المدينة».

قال صوت آخر: «هذه مضیعة للوقت. إذا كان قد حصل على سر
الإخفاء من أي شخص، فلن يمكننا أبدًا العثور عليه».

قال صوت ثالث: «لا أعتقد أنه حصل عليه؛ على أي حال، ما من

سبيل لكي يصبح غير مرئي - لقد كان شبح موتوس دون شك هو الذي تحدث».

بدأت الأصوات تبتعد الآن، وشعرت أن المكان آمن ويمكن الافتراض أن جميع المحاربين ذهبوا للبحث عني؛ فمشيت إلى حافة السطح وقفزت إلى الساحة. وقفت للحظة لتركيز كل قواي العقلية في محاولة للشعور بوجود الآخرين بالقرب مني، كما أخبرني كاندوس أنه قادر على القيام بذلك، ولكن لم أشعر بأي رد فعل. وهذا قد يعني إما أنني أخفقت في الشعور بوجود الآخرين، وإما أنه لا يوجد أحد - على الأقل بالقرب مني؛ لذلك اقتنصت الفرصة وأطلقت الصفير مرةً أخرى. سمعت الرد من الجانب الآخر للساحة؛ فانتظرت.

سمعت عن قرب الآن صوت صفير منخفض، وأجبت - وبعد لحظة لمستني روجاس.

لم أتحدث ثانية خشية جذب مطاردين آخرين، لكنني قدتها إلى الشجرة وساعدتها على التسلق إلى السطح.

همستُ: «أين طائرتي؟».

أمسكتني من ذراعي وقادتني اتجاه بزوايا قائمة، إلى حيث اتجه المطاردون. بدا المشهد أكثر إشراقاً على الفور.

مشيت مع روجاس ويدي بيدها، حتى لا نفقد بعضنا. رأيت طائرتي تقف هناك تحت ضوء القمر الأبعد، وبدت بالتأكيد جيدة.

سألتُ روجاس همساً: «تقع مساكن الإماء بالقرب من هنا، أليس كذلك؟».

«هناك تحديداً»، وافترضتُ أنها أشارت بيدها؛ ثم قادتني إلى حافة السطح التي تطل على الساحة.



الفصل (١٢)

وقفت ويدي في يد روجاس عند حافة السطح ننظر نحو الساحة التي تبدو مهجورة أسفلنا. سألتها: «هل أعطيت لانا الجاثولية كرة الخفاء؟».

أجابت روجاس: «نعم، ولا بد أنها خفية الآن». ثم همست وهي تضغط على يدي: «لقد قاتلت ببراعة. يعرف الجميع أنك كنت تستطيع قتل موتوس عندما تريد، وأنا فقط خمنت لماذا لم تُسرع في قتله. بتانتوس غاضب، وأمر بتدميرك فوراً».

قلت: «روجاس، ألا تعتقدين أن عليك إعادة النظر في قرارك بالمجيء معي؟ يوجد جميع أصدقائك وأقاربك هنا في إينفاك، وقد تصبحين وحيدة وغير سعيدة بين شعبي».

قالت: «سأكون سعيدة أينما تكون أنت. وسوف أقتل نفسي إذا لم تأخذني معك».

وعلى هذا النحو، فقد قمت بتوريث نفسي في مثلث ربما يتسبب في إحراج كبير أو حتى مأساة. شعرت بالأسى على روجاس، وأزعجني

بل أهانني الدور الذي كنت مُجبرًا على أدائه. وإنما لم تكن هناك طريقة أخرى؛ كانت المسألة إما سعادة روجاس أو حياتنا أنا ولانا وبتور فاك. كنت أعرف أنني اخترت بحكمة، لكنني لم أكن سعيدًا.

بدافع من عاداتي طوال حياتي، أجهدتُ عيني بحثًا عن لانا الجاثولية، التي ربما توجد في مكان ما بالساحة. ومع إدراكي لعدم جدوى البحث عنها، أطلقت صغيرًا. سمعت استجابة فورية في أسفل، فقفزت من السطح. لم نستغرق وقتًا طويلًا لنحدد موقعينا؛ ولما لم يعترضنا أحد، افترضت أننا محظوظين لنكون وحدنا.

لمست لانا يدي وقالت: «تصورت أنك لن تأتي أبدًا. أخبرتني روجاس عن المباراة التي كان عليك خوضها؛ ورغم عدم شكي في قدرتك على المباراة، كنت أدرك أن هناك دائمًا خطر وقوع حادث أو خدعة. لكنك هنا أخيرًا. يا لغرابة عدم القدرة على رؤيتك. كنت خائفة بالفعل عندما خرجت إلى الساحة هنا واكتشفت أنني لا أستطيع حتى رؤية نفسي».

قلت: «إنها معجزة الخفاء التي ستقذنا، ولن ينقذنا سوى معجزة. يجب أن تصعدي إلى السطح الآن».

لا توجد شجرة متدلية في هذه الساحة، ويبلغ ارتفاع السطح ١٥ قدمًا من الأرض. قلت: «أنتِ على وشك المرور بتجربة جديدة يا لانا». سألتني: «ماذا تقصد؟».

قلت لها: «سوف أُلقي بك إلى السطح، وآمل أن تهبطي على قدميك».

قالت: «أنا مستعدة».

يمكنني رؤية السطح تمامًا، لكنني لا أستطيع رؤية لانا؛ وليس أمامي سوى الدعاء أن يتحقق هدفي. «حافظي على جسمك كله صلبًا تمامًا إلى أن أُلقي بك، ثم افري قدميك واسترخي. قد تسقطين بشكل سيء، لكنني لا أعتقد أن ذلك قد يضر بك كثيرًا؛ فالسطح مملوء بالكرمات».

قالت لانا: «هيا، فلنفعلها».

أمسكت إحدى ساقيها عند الركبة بيدي اليمنى، وحملت جسدها بساعدي الأيسر. ثم أرجحتها ذهابًا وإيابًا بضع مرات، وقذفتها عاليًا في الهواء.

قد تكون لانا الجاثولية غير مرئية، لكن لها جسم بالطبع. سمعت هبوطها على السطح، جالجلة غير مرئية، فتنفست الصعداء. قفزت بخفة إلى السطح، بفضل قوة عضلاتي المنتمية إلى كوكب الأرض، وسرعان ما تجمع ثلاثتنا بتصفير منخفض. حذرت الفتيات بضرورة الصمت، ومشينًا جنبًا إلى جنب في اتجاه الطائرة.

وكانت هذه هي اللحظة التي أثارت أكبر مخاوفي؛ إذ ربما كانت الطائرة مُحاطة بمحاربين غير مرئيين. وبقدر ما أعرف، كان السيف الوحيد لدينا هو ذلك الذي أخذته من المحارب بعد أن قتلت في الساحة؛ ولكن، ربما كان مع روجاس سيف.

همست: «هل لديك سيف، يا روجاس؟».

قالت: «نعم، لقد أحضرت سيفًا».

سألتها: «هل يمكنك استخدامه؟».

أجابت: «لم يسبق لي أن استخدمت سيفًا».

«أعطيه إذن إلى لانا الجاثولية، فهي تستطيع استخدامه عند الضرورة، وبشكل فعال أيضًا».

اقتربنا من الطائرة بحوالي مائة قدم، وتوقفنا. هذه هي اللحظة الحاسمة؛ كنت خائفة من الصغير، لكنني فعلت. وجاءني رد فوري من موقع بجوار الطائرة. انتظرت للحظات للاستماع إلى أي أصوات قد توضح وجود العدو، لكنني لم أسمع أي شيء.

تقدمنا بسرعة، وساعدت الفتاتين على الصعود عبر الدرايزين. ثم سألت: «أين أنت، بتور فاك؟ هل أنت بمفردك؟».

أجاب: «أنا على سطح السفينة، ولا أعتقد أن هناك أي شخص».

قلت: «قد يأتي الآن جميع محاربي إينفاك»، ووصلت إلى لوحات التحكم وبدأت تشغيل المحرك.

ارتفعت السفينة بعد لحظة برشاقة في الهواء، وسمعنا على الفور تقريبًا صيحات ولعنات تأتي من أسفل. شاهد الإينفاكيون السفينة، لكن أوان منع هروبنا قد فات. نحن في أمان. لقد أنجزنا ما كان يبدو قبل بضع ساعات مستحيلًا؛ عندما كنت وبتور فاك مقيدين بالسلاسل إلى الأشجار، وكانت لانا الجاثولية أسيرة في جزء آخر من المدينة.

قلت: «نحن مدينون لروجاس بدين كبير من الامتنان».

أجابت: «هذا الدين يسهل عليك جدًّا، وأتمنى أن يسعدك سداده». أزعجني ردها؛ فقد أدركت أنني سأواجه وقتًا عصيبًا. أفضل مواجهة دزينة من الرجال بسيفي أكثر من مواجهة امرأة غاضبة أو مُحطمة القلب. فكرت أن أخبرها قبل وصولنا إلى هيليوم، لكنني قررت الانتظار إلى أن نتخلص من وضع الإخفاء.

ربما كان من الأسهل أن أخبرها وكلانا غير مرئي، لكنني اعتبرتها طريقة جبانة.

سألني لانا: «سوف نذهب إلى هيليوم، جون كارتر؟».

قلت: «نعم».

سألني: «ماذا سيظنون عن طائرة قادمة بنفسها، دون وجود أحد على متنها؟».

أجبت: «علينا أن ننتظر إلى أن نصبح مرئيين، قبل أن نقترّب من المدينة. وعلينا ألا نتناول المزيد من كُرات الإخفاء».

سألت روجاس: «مَن هو جون كارتر؟ هل يوجد هنا شخص آخر لا أعرفه؟».

أجبت: «أنا جون كارتر. أما دوتار سوجات، فهو مجرد اسم اتخذته مؤقتًا».

سألني روجاس: «أنت إذن لست سلطان سوات؟».

أجبت: «لا، أنا لست سلطان سوات».

«لقد خدعتني».

قلت: «أنا آسف يا روجاس؛ لم أكن أحاول خداعك - بشأن اسمي. وفي واقع الأمر، لم يسبق لي أن قلت لك إنني سلطان سوات، بل قتلها للمحارب الذي استجوبني». إذا كان خداعي لها بشأن اسمي ووضعيتي قد أغضبها، فكيف ستعامل مع حقيقة أنني لم أحبها، وأنني متزوج بالفعل! كنت تعيش، مثل ثعبان السمك حيًا في مقلاة؛ ثم قررت فجأة أن أغامر وأخبرها بكل شيء. بدأت قائلاً: «روجاس، على الرغم من أنني لم أخدعك بشأن اسمي، فقد خدعتك في مسألة أكثر أهمية بكثير».

سألتني: «وما هي؟».

«لقد استخدمت... صداقتك للفوز بالحرية لانا الجاثولية. تظاهرت بأنني أحبك؛ لكنني متزوج بالفعل».

انتظرت الانفجار، لكنه لم يحدث؛ بل سمعت رنينًا خافتًا، والقليل من الضحك. واصلت الانتظار؛ لم تتحدث، وأصبح الصمت ثقيلًا. توقعت للحظات أن تقذفني بخنجر، أو أن تقفز روجاس من متن السفينة؛ وإنما لم يحدث أي شيء. جلست أمام لوحات التحكم متسائلًا عن ضحكها. ربما أدت صدمة اعترافي إلى عدم توازن عقلها. تمنيت أن أتمكن من رؤيتها، وفي الوقت نفسه كنت سعيدًا لأنني لا أستطيع رؤيتها - وكنت سعيدًا بالتأكيد لعدم قدرة أي شخص على رؤيتي، فقد شعرت أنني أحمق.

لم أتمكن من التفكير في أي شيء أقوله، ونصورت أن الصمت

سيدوم إلى الأبد، لكن لانا الجاثولية حطمت الصمت أخيرًا. سألت:
«إلى متى سنبقى غير مرئيين؟».

قالت روجاس: «أكثر قليلاً من ١٠ زود منذ لحظة تناول الكرة.
سأصبح أنا مرئية أولاً، وربما بعد ذلك إما جون كارتر أو بتور فاك،
لأنني أتصور أنهما تناولا الكرات في نفس الوقت تقريباً؛ وأنت يا لانا
ستكونين آخر من يصبح مرئياً». كان صوتها طبعياً تماماً، دون أي أثر
لعصبية أو مرارة. لم أستطع فهم الفتاة.

ربما كانت من النوع الذي يستغرق وقتاً قبل أن يبدأ في انتقام
رهيب. وأقول لك، كان لديّ الكثير لأفكر فيه حول هذا الموضوع
خلال تلك الرحلة إلى هيليوم.



الفصل (١٣)

رأيت بعد الفجر بفترة وجيزة ظاهرة مذهشة - رأيت مجرد بعض خطوط عريضة لشيء مظلل بجانبى، وبدأت يتخذ شكلاً ببطء: كانت روجاس تتجسد! بدأ تأثير تركيبة الخفاء يزول، ومع زواله ظهرت روجاس. كانت تجلس وتحقق ببصرها في مشاهد المريح الطبيعية، وابتسامة سعيدة على شفيتها؛ ذكرتني على نحو ما بقط ابتلع لتوه عصفور الكناري.

قلت لها: «كاور!»، وهي كلمة تعني بلغة برسوم صباح الخير، أو مرحباً، أو كيف حالك؟ - وبعبارة أخرى، هي كلمة التحية بلغة برسوم. توجهت روجاس ببصرها نحوي، لكنها بالطبع لم تستطع رؤيتي. أجابت مبتسمة: «كاور! لا بد أنك مُتعب للغاية، جون كارتر؛ أنت لم تنم طوال الليل».

أجبت: «سوف أنام عندما تستيقظ لانا الجاثولية؛ فهي تستطيع التعامل مع لوحات التحكم جيداً، مثلي تماماً».

قالت روجاس: «لم أتجاوز أبدًا غابات إينفاك، يا له من عالم موحش وحيد هذا».

قلت: «سوف تجدِين مدينتي هيليوم التوأم جميلتين جدًّا. أتمنى أن تُحبِّي المكان هناك، يا روجاس».

قالت: «أنا متأكدة من أنني سأحب المكان؛ وأنتطلع إلى الوجود في هيليوم معك، جون كارتر».

تساءلت ماذا تعني بذلك. كانت الفتاة لغزًا؛ فتوقفت عن محاولة إيجاد حل لها. تحدثت لانا الجاثولية بعد لحظات، فعرفت أنها استيقظت وطلبت منها أن تتولى أمر لوحات التحكم.

قلت: «سوف نبحر حول هيليوم من الخارج إلى أن نتخلص من تأثير الخفاء»؛ ثم استلقيت ونمت.

زال تأثير كُرات الإخفاء عنا جميعًا في وقت متأخر من تلك الليلة، فاقتربت من هيليوم في صباح اليوم التالي. جاء زورق دورية فضائي لمقابلتنا، وسار إلى جانبنا بمجرد أن تعرّف على طائرتي. كان الضابط قائد الزورق، والطاقم بأكمله في واقع الأمر، في سعادة غامرة لرؤيتنا - أنا ولانا الجاثولية - في قيد الحياة وآمنين. رافقنا زورق الدورية إلى حظيرة الطائرات على سطح قصري، حيث تلقينا ترحيبًا هائلًا؛ حيث تصور الجميع أننا في عداد الموتى منذ فترة طويلة.

كان كل من بتور فاك، ولانا، وروجاس، خلفي عندما أخذت ديجاه ثوريس بين ذراعي؛ ثم استدرت وقدمت لها روجاس وبتور فاك.

قلت لديجاه ثوريس: «لولا روجاس، ما كان أحد منا هنا»، ثم أخبرتها بإيجاز عن القبض علينا وحبسنا في إينفاك.

راقبتُ روجاس عن قُرب عندما وضعت ديجاه ثوريس يديها في يدي روجاس وقبّلتها على جبينها؛ ولدهشتي، أَلقت روجاس ذراعيها حول أميرتي وقبّلتها في فمها مباشرة - يا لها من فتاة مُحيرة تمامًا.

وبعد أن تناولنا جميعًا طعام الإفطار، سألتني ديجاه ثوريس عن خططي الحالية. أجبت: «سوف ألتقي على الفور بتاردوس مورس، وبعد أن أنتهي من ترتيبات إرسال أسطول إلى جاثول، سوف أطيّر إلى هناك بمفردي للاستطلاع».

سألتني ديجاه ثوريس: «لماذا بمفردك؟ ولكن لماذا أسألك؟ أنت لك دائمًا طريقتك في القيام بالأشياء بمفردك».

قابلت تاردوس مورس، واتخذت الترتيبات اللازمة لإرسال أسطول إلى جاثول؛ ثم عُدت إلى قصري لتوديع ديجاه ثوريس. وخلال مروري بالحديقة، رأيت روجاس تجلس هناك وحدها.

قالت: «جون كارتر، تعال هنا لحظة؛ أريد أن أخبرك بشيء».

فكرت أن اللحظة قد حانت؛ حسنًا، يجب حل المسألة عاجلاً أم آجلاً، وسوف يريحني حلها على الفور.

قالت: «أنت خدعتني، جون كارتر».

أجبت: «أعرف أنني خدعتك بالفعل».

قالت: «أنا سعيدة جدًا لأنك خدعتني؛ لأنني خدعتك أنا أيضًا. لقد

أُعجبت بك كثيرًا، جون كارتر، لكنني لم أحبك أبدًا. كنت أعرف أنك جئت إلى إينفاك في طائرة، وأنني إذا ساعدتك في الهروب بالطائرة ربما يقنعك هذا أن تأخذني معك. أنا أكره إينفاك، وكنت تعيش هناك إلى حد استعدادي إلى بيع روحي لكي أتمكن من الهرب؛ ولذلك حاولت أن أجعلك تحبني لكي تأخذني بعيدًا عن إينفاك. تصورت أنني نجحت، وكنت أخجل من نفسي كثيرًا. ولا يمكنك أن تتصور أبدًا مدى شعوري بالراحة عندما اكتشفت أنني فشلت؛ ذلك أنني شديدة الإعجاب بك ولا أُرغب أن أكون سببًا في تعاستك».

سألتها: «ولكن، لماذا ادعيت أنك شديدة الغيرة من لانا الجاثولية؟».

قالت: «حتى يبدو حبي لك حقيقياً».

«لقد أزلت عن ضميري ثقلًا مهولًا، روجاس. أتمنى أن يعجبك المكان هنا، وأن تكوني سعيدة».

قالت: «أحب ذلك؛ لأنني أحببت ديجاه ثوريس بالفعل، وقد طلبت مني البقاء هنا معها».

قلت: «أعرف الآن أنك ستكونين سعيدة هنا».

«أنا متأكدة من ذلك، جون كارتر - وقد رأيت بعض الرجال الذين يتمتعون بالوسامة بالفعل، وبالتأكيد ليسوا جميعًا متزوجين».

كانت الرحلة إلى جاثول خالية من الأحداث. تناولت كرة إخفاء قبل مغادرة هيليوم بفترة قصيرة، وأصبحت خفيًا تمامًا قبل أن أصل إلى جاثول. رأيت مع اقترابي من المدينة جيش هين أبتول يحاصرها، وقد زاد

حجم الجيش كثيرًا عما كان عليه عندما هربت في دوسار. وجدتُ على الصف الذي سرقت منه السفينة ما يزيد على مائة طائرة إضافية على الأقل، من بينها العديد من سفن الحرب الكبيرة وبعض سفن نقل الجنود.

حلّق عدد من زوارق الدورية لمقابلي. لم تحمل طائرتي أي ألوان، ولم أرد عندما وجهوا لي التحية. جاء زورقان بجانبني، وسمعت صيحات دهشتهم عندما اكتشفوا عدم وجود أحد على متن السفينة وعدم وجود طيّار عند لوحات التحكم.

أعتقد أنهم كانوا بالأحرى خائفين؛ فلم يحاول أحد أن يصعد على متن سفينتي، وسمحوا لي بالطيران دون تدخل.

هبطتُ إلى صف طائرات بانار، ووضعت طائرتي بجانب آخر سفينة في الصف. هبطت أيضًا إحدى زوارق الدورية، وسرعان ما احتشد الضباط والمحاربون حول سفينتي وعلامات الفضول مرسومة على وجوههم.

قلت بصوت عالٍ: «الموت هو مَنْ يقود هذه السفينة، والموت هو مصير كل مَنْ يقترب منها أو يحاول الصعود على متنها».

توقف الرجال عندئذٍ، وتراجع معظمهم. نزلت من السفينة وتجولت حولي، مستهدفًا جمع ما يمكنني من المعلومات خلال أحاديث الضباط. على أن اهتمام هؤلاء الرجال كان منصبًا على سفينتي بحيث لم أحصل على أي معلومات منهم؛ فابتعدتُ وتجولت عبر الصف وصولًا إلى سفينة القيادة وصعدت على متنها، مرورًا بالحارس

أسفل السلم والمراقب على سطحها. كان السير غير مرئي بين أفراد العدو غريبًا، وكل المطلوب هو تجنب التماس مع أي منهم، وبالتالي كنت في مأمن من الكشف عن وجودي.

توجهت إلى مقصورة قائد الأسطول. كان جالسًا مع العديد من كبار الضباط، ويعطيهم التعليمات.

كان يقول: «بمجرد وصول هين أبتول من بانكور، سوف نأخذ عدة آلاف من الرجال المزودين بمحركات التوازن ليهبطوا في المدينة مباشرة. وبعد ذلك، ومع اتخاذ جاثول كقاعدة، سوف نتحرك إلى هيليوم ومعنا مليون رجل».

سأل أحد الضباط: «متى سيصل هين أبتول؟».

أجاب القائد: «الليلة أو صباح الغد. سوف يأتي مع أسطول كبير». حسنًا، أخيرًا عرفت شيئًا، ووضعت خططي على الفور. تركت سفينة القيادة وعُدت إلى طائرتي، التي كان يفحصها عدد كبير من الضباط والرجال، وإنما من مسافة آمنة.

وجدت صعوبة في المرور بين الضباط دون لمس أي منهم، لكنني نجحت أخيرًا، وسرعان ما وقفت أمام لوحات التحكم.

وعندما ارتفعت الطائرة من الأرض دون توجيه من أي شخص، كما بدا لهم، تبعها صيحات الرهبة والدهشة. سمعت رجلًا يصيح: «إنه الموت؛ الموت عند لوحات التحكم».

طرت منخفضًا فوقهم. صحت: «نعم، إنه الموت عند لوحات

التحكم؛ الموت الذي جاء ليأخذ كل مَنْ يهاجم جاثول»، ثم ارتفعت عاليًا بسرعة مع تحويل مقدمة سفيتني نحو بانكور.

ابتعدت بمسافة كافية عن جاثول حتى لا تراني قوات هين أبتول، ثم طرت في دوائر واسعة وعلى ارتفاعات كبيرة انتظارًا لأسطول هين أبتول.

وأخيرًا رأيت -بعد فترة طويلة- أسطوله على بُعد. كان معه الرجل الذي يستطيع -مع هذا العدد الهائل من مُجنديه- أن يستولي بالتأكيد على جاثول ويسلبها، دون أن يتمكن أحد من إيقافه.

حددت فورًا موقع سفينة القيادة في أسطول هين أبتول، وانخفضت إلى جانبها. لم تثر طائرتي الصغيرة أي إنذار؛ لأنها بلا حول ولا قوة وسط هذا الأسطول الكبير. ولكن عندما رأى الرجال على متن سفينة القيادة أن الطائرة تُحلق دون سيطرة بشرية، انطلق فضولهم بلا حدود وتزاحموا عند الدرابزين للإلقاء نظرة أفضل.

حلقت بسفيتني مقتربًا أكثر فأكثر. تمكنت من رؤية هين أبتول على الجسر مع عدد من الضباط، ورأيت مدى اندهاشهم، مثلهم مثل المحاربين على السطح.

كان هين أبتول يميل على الدرابزين للإلقاء نظرة أفضل نحوي؛ تحركت مقتربًا، ولمس جانب طائرتي الجسر بخفة.

نظر هين أبتول مُحدقًا إلى سطح سفينة وإلى الغرفة الصغيرة التي تضم لوحات التحكم. قال: «لا يوجد أحد على متن هذه السفينة. يبدو

أن شخصاً ما اكتشف وسيلة للتخليق عن طريق التحكم من بُعد».

قمت بتثبيت عجلة القيادة بإحكام كنت في مواجهة الجسر، ثم قفزت إلى سطح سفينة هين أبتول وأمسكته من عتاده، ثم سحبته عبر الدرابزين إلى سطح طائرتي. وبعد لحظة كنت أقف أمام لوحات التحكم وهين أبتول لا يزال في قبضتي. وجهت مقدمة طائرتي إلى أسفل، وحلقت تحت سفينة القيادة بكامل سرعتي.

سمعت صيحات الدهشة مختلطة بصرخات الغضب والخوف.

طارت بعض السفن الصغيرة ورائي؛ لكنني كنت أعرف أنهم لا يستطيعون اللحاق بي، ولن يجرؤ أي منهم على إطلاق النار خشية قتل هين أبتول.

كان هين أبتول يرتجف بجانبني، يكاد الرعب أن يصيبه بالشلل. وأخيراً قال متلعثماً: «مَن أنت؟ وماذا ستفعل معي؟».

لم أرد، مُعتقداً أن هذا سيزيد من خوفه؛ وهذا ما حدث؛ لأنه بعد فترة توصل لي أن أتكلم.

طرنا عاليًا فوق جاثول، التي أصبحت الآن آمنة من الهجوم. وفي وقت مبكر من صباح اليوم التالي، رأيت أسطولاً كبيراً يأتي من الجنوب الشرقي - كان أسطول هيليوم الذي أحضره تاردوس مورس لإنقاذ جاثول.

ومع اقترابي من الأسطول، بدأ أثر كُرة الإخفاء يتقلص بسرعة، وتجسدتُ أمام أعين هين أبتول المذهولة.

سألني: «مَن أنت؟ ما أنت؟».

أجبت: «أنا الرجل الذي سرقت أنت طائرته في هورز. وأنا الرجل الذي استعادها أمامك في بانكور ومعه لانا الجاثولية - أنا جون كارتر، أمير هيليوم؛ هل سمعت عني من قبل؟».

عندما زاد اقترابي من الأسطول، أطلقت ألواني وشارتي -شارة أمير هيليوم- فارتفع هتاف هائل من سطح جميع السفن التي تعرفه ألواني وشارتي.

أما ما حدث بعد ذلك، فقد أصبح من التاريخ الآن - كيف دمر أسطول هيليوم العظيم أسطول هين أبتول، وكيف هزم جيش هيليوم القوات التي حاصرت جاثول لفترة طويلة.

وعندما انتهت هذه الحرب الوجيهة، حررنا ما يقرب من مليون رجل من الرجال المُجمدين في بانار؛ ثم عُدت إلى هيليوم وديجاه ثوريس، التي أتمنى ألا أنفصل عنها ثانية.

أحضرت معي جاد-هان وبان دان تشي، اللذين وجدناهما بين سجناء بانكور. وعلى الرغم من عدم وجودي في اللقاء الذي جمع بين بان دان تشي ولانا الجاثولية، فقد أكدت لي ديجاه ثوريس أن المخاطر والتقلبات التي عانى منها بان دان تشي لحبه للجاثولية الجميلة لم تكن دون جدوى.



